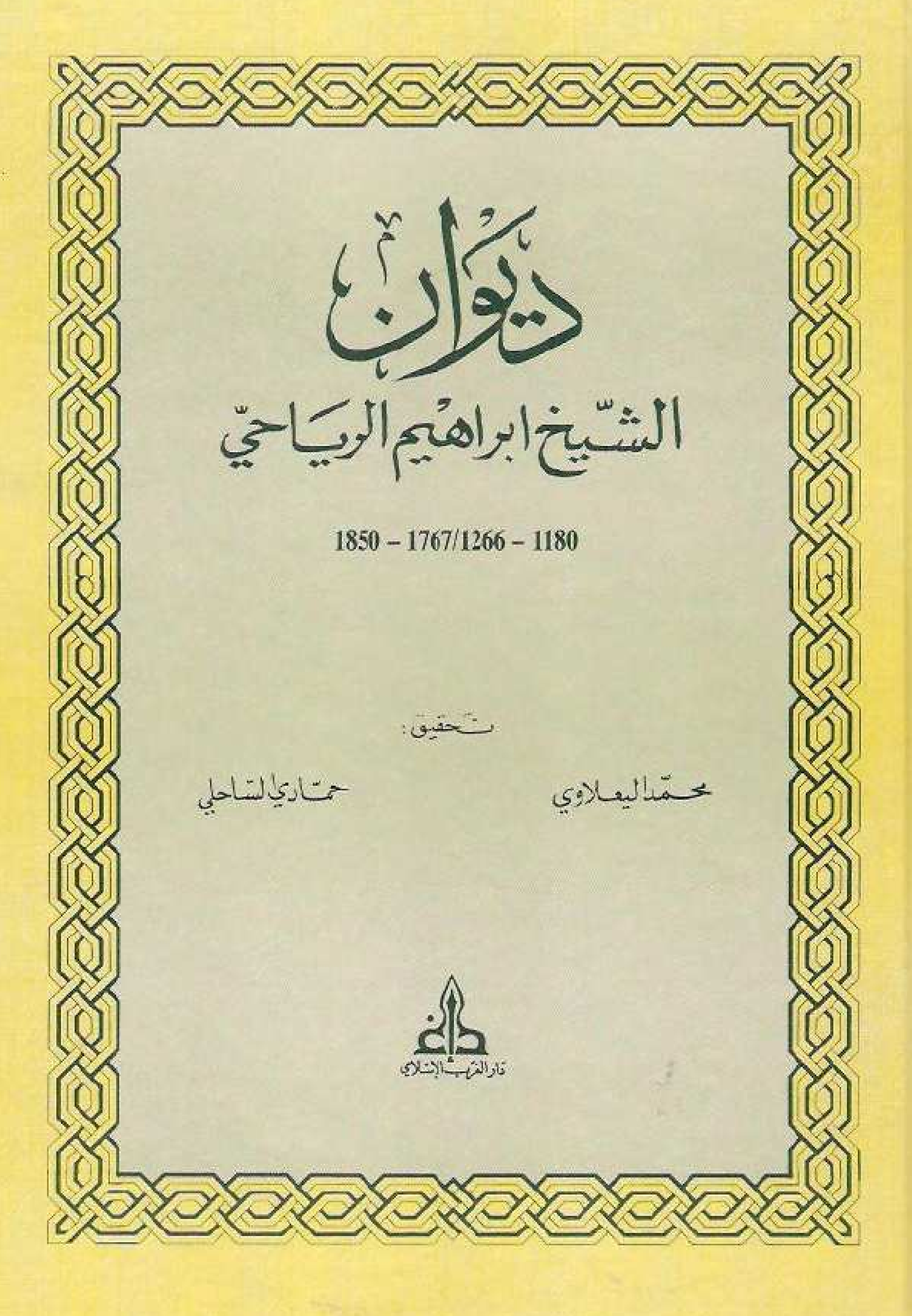

ديوان
الشيخ ابراهيم الرياحي
1180 - 1266/1767 - 1850
تحقيق:
محمد اليعلاوي
حمادي الساحلي
دار الغرب الإسلامي



1850 - 1767/1266 - 1180

تحقيق:

محمد اليعلاوي — حمادي الساحلي



بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم
الشيخ إبراهيم الرّياحي
حياته وآثاره

1 ـ مولده ونشأته[1]

هو الشيخ إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد الرّياحي . قدم جدّه الأعلى إبراهيم المحمودي الطرابلسي من طرابلس إلى البلاد التونسية واستقرّ بالمكان المعروف باسم العروسة والتابع لعمل رياح (منطقة مجاز الباب الآن) ، حيث اشتغل بتحفيظ القرآن للصّبيان . ثم انتقل ابنه أحمد إلى بلدة تستور ، حيث وُلِد حفيده إبراهيم بن عبد القادر سنة 1180هـ/ 1767م[2] .

وبعد أن حفظ الفتى القرآن الكريم بتستور ، ارتحل إلى تونس العاصمة لطلب العلم . فسكن أوّلاً بمدرسة حوانيت عاشور (أو المدرسة العاشورية) ثم بمدرسة بير الحجار بنهج الباشا والتحق بجامع الزيتونة حيث تتلمذ إلى نخبة من علماء عصره نخصّ بالذكر منهم المشايخ صالح الكوّاش ومحمد الفاسي وإسماعيل التميمي ومحمّد الطاهر بن مسعود وعمر المحجوب وحسن الشريف وحمزة الجبّاس وغيرهم من علماء الزيتونة ، « إلى أن ظهر عليه فضل العلم والعمل ، وبلغ من تحصيله غاية الأمل »[3] ، فأجازه شيوخه وانتصب للتدريس بالجامع الأعظم ، وقد أثار من أوّل

---

(1) انظر ترجمته المفصّلة في المراجع التالية :

- أحمد بن أبي الضياف ، « إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان» ، الجزء السابع ، 73-82.
- محمد السنوسي « مسامرات الظريف بحسن التعريف » ، الجزء الأول ، 139-231.
- عمر الرياحي « تعطير النواحي بترجمة الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي » ، الجزء الأول.

(2) وفي عنوان الأريب ، سنة 1181 .

(3) محمد السنوسي ، المرجع المذكور .

وهلة إعجاب زملائه وتلاميذه ، بما كان يتميّز به من قوّة الحافظة وحدّة الذكاء وحضور البديهة ، وابتكر طريقة جديدة في التدريس وصفها ابن أبي الضياف بقوله : « وكيفيّة إلقائه أنه ينقل الدرس ويمليه من حفظه ثم يقرّر ما يظهر له ، ثم يسرد كلام المصنّف على كيفيّة تبعث النشاط في النفس ، هو أوّل من اخترعها واتّخذها فحول العلماء من بعده »[1] .

ورغم ما أحرزته دروسه من نجاح ، لم تتحسّن أحواله المادّيّة وسئم ضيق العيش والإقامة بمدرسة سكنى الطلبة ، فقرّر الهجرة من تونس في طلب الرزق . وبلغ ذلك الخبر إلى علم صاحب الخيرات الوزير يوسف صاحب الطابع ، فأولاه خطّة التوثيق (العدالة) وأهدى له دارا مجهّزة بكامل المرافق وتكفّل بنفقات زواجه ، وعندئذ عدل الشيخ عن الهجرة « فاطمأنّت به الدار وقرّ له القرار » ، على حدّ تعبير ابن أبي الضياف .

2 ـ أسفاره

ـ في سنة 1804 كانت البلاد التونسية مهدّدة بالمجاعة بسبب انحباس الغيث ، ففكّر الأمير حمّودة باشا في إيفاد الشيخ صالح الكوّاش إلى المغرب لطلب الميرة من السلطان مولاي سليمان ، ولكن الشيخ قد اعتذر عن القيام بتلك المهمّة بسبب تقدّمه في السن[2] واقترح على الباي أن يكلّف بها تلميذه الشيخ ابراهيم الرياحي ، لما يتوسّم فيه من مقدرة على الاضطلاع بها على أحسن وجه ممكن . فسافر الشيخ إبراهيم الى المغرب محمّلاً برسالة من الشيخ عمر المحجوب وحظي بالمثول لدى السلطان مولاي سليمان بقصره في فاس وألقى بين يديه قصيدته الشهيرة التي مطلعها :

إن عزّ من خير الأنام مزار   فلنا بزورة نجله استبشار

---

(1) ابن أبي الضيّاف : المرجع المذكور .

(2) وقد توفي إثر وصول الشيخ إبراهيم الرياحي الى المغرب وذلك في أوّل فيفري 1804 .

وقد أجاب السلطان طلبه وقضى حاجته . واغتنم الشيخ فرصة وجوده بالمغرب لربط الصلة مع كبار الأدباء والعلماء المغاربة وتبادل معهم من بعد الرّسائل الوديّة والقصائد .

- وفي سنة 1822 سافر مع الشيخ الطّاهر بن عبد الصّادق إلى بلدة تماسين بجنوب القطر الجزائري للاجتماع بالشيخ علي التماسيني خليفة الشيخ أحمد التجاني وشيخ شيوخ الطريقة التجانية .

- وفي سنة 1826 سافر إلى البقاع المقدّسة لأداء مناسك الحجّ ، وقد اغتنم تلك الفرصة للاجتماع بعلماء الحرمين الشريفين .

- وحجّ مرة ثانية في سنة 1836 نيابة عن الأمير مصطفى باي . فتوقّف بالقاهرة في طريقه إلى البقاع المقدّسة ، وقد سبقته إليها سمعته كعالم مفتٍ وفقيه متفوّق وأديب أريب . فتسابق العلماء إلى الترحيب به وألقى دروساً في الجامع الأزهر نزولاً عند رغبتهم ،وبعدما قضى نسكه رجع الى تونس يوم 13 اكتوبر 1837 بعد وفاة مصطفى باي بثلاثة أيام ، وآرتقاء ابنه أحمد باي إلى العرش .

- وفي سنة 1838كلّفه الأمير الجديد بالقيام بمهمّة لدى السلطان العثماني باسطنبول ، لإعفاء الولاية التونسية من دفع الضريبة التي كانت مطالبة بتسديدها كلّ عام إلى خزينة الدولة العثمانية ، بوصفها ولاية تابعة للباب العالي . فسافر المترجم له إلى البلاد التركية محمّلاً برسالة من الأمير أحمد باي من إنشاء الشيخ أحمد بن أبي الضياف . وهي أوّل رسالة يوجّهها باي تونس إلى الباب العالي محرّرة باللغة العربية بدلاً عن التّركيّة .

ولمّا بلغ الشيخ إلى الأستانة احتفل به العلماء والفقهاء وآجتمع بالخصوص بشيخ الإسلام أحمد عارف وتوطّدت علاقته به .

وقد حظي بالمثول بين يدي السلطان محمود ومدحه بقصيدة عصماء ، كان مطلعها :

العزّ بالله للسلطان محمود   ابن السلاطين محمود فمحمود

وتمكّن بعد إجراء مفاوضات رسميّة مع الصدر الأعظم من الحصول على إعفاء البلاد التونسية من الضريبة مدة بضع سنوات .

3 ـ انضمامه إلى الطريقة التجانية

لقد آنتمى الشيخ إبراهيم الرّياحي في أوّل أمره إلى الطريقة الشاذليّة وأخذ مبادئها عن الوليّ الصّالح الشيخ البشير الزواوي . ثم التقى بتونس ـ سنة 1796 بالشيخ علي حرازم الفاسي[1] أحد أتباع الشيخ أحمد التجاني ، فأخذ عنه الطريقة التجانية وعمل على نشرها بالبلاد التونسية وأسّس لها زاوية بالقرب من حوانيت عاشور في النهج الذي أصبح يحمل اسمه إلى يومنا هذا (نهج سيدي إبراهيم الرياحي) .

واغتنم فرصة زيارته للمغرب سنة 1804 للالتقاء بالشيخ أحمد التجاني وتلقّى الطريقة التجانية عنه مباشرةً . وبعد رجوعه إلى تونس أصبح الممثّل الرسمي لتلك الطريقة في بلاده . وإثر وفاة الشيخ التجاني حرص المترجم له على الالتقاء بخليفته الشيخ علي التماسيني ، فسافر إلى تماسين كما أسلفنا واجتمع به .

4 ـ وظائفه ومهامّه الرسميّة

لمّا أُعْفِيَ الشيخ عمر المحجوب من خطّة القضاء سنة 1806 ، آستدعى الأمير حمّودة باشا الشيخ إبراهيم الرياحي وعرضها عليه ، فرفض ذلك العرض رفضاً باتّاً « متعلّلاً بأنه لا يسوغ له أن يتقدّم على شيخَيْه إسماعيل التميمي وأحمد بوخريص »[2] فأجبره الباي على قبول تلك الخطة . ولكنه فرّ إثر ذلك الى زاوية سيدي علي عزّوز بزغوان . ولمّا علم حمّودة باشا بالخبر اضطّر الى تعويضه بالشيخ اسماعيل التميمي الذي بقي في ذلك المنصب إلى أن ارتقى الى خطّة باش مفتي المالكيّة . أمّا الشيخ إبراهيم الرّياحي ، فقد رجع بعد ذلك إلى تونس واستأنف دروسه بالجامع الأعظم .

ولما أتمّ الوزير صاحب الطابع بناء جامعه بالحلفاوين سنة 1814 عيّن الشيخ

---

(1) تعطير النواحي ، الجزء الأول ، ، ص 11 .

(2) الإتحاف ، المرجع المذكور .

إبراهيم الرياحي مدرّساً به ومكلّفاً بمشيخة المدرسة التابعة له ، فبدأ الشيخ دروسه بشرح « القسطلاني لصحيح البخاري » و« المختصر » في الفقه المالكي ، كما ألقى دروساً في النحو[1] . وبعد وفاة الشيخ محمد الفاسي سنة 1817 تقدّم عوضه للتدريس في نفس الجامع ، فتولّى إلقاء درسين الأوّل في تفسير البيضاوي والثاني في صحيح البخاري .

ولما توفّيّ كبير أهل الشورى الشيخ اسماعيل التميمي سنة 1832 عرض الأمير حسين باي الثاني ذلك المنصب على صاحب التّرجمة ، فرفضه في أوّل الأمر ثم قبله على مضضٍ منه .

وإثر وفاة الشيخ محمد بن عبد الكبير الشريف سنة 1839 ، عيّنه المشير أحمد باي الأوّل إماماً أكبر وخطيباً بجامع الزيتونة . وهو أوّل من جمع بين رئاسة المذهب المالكي بتونس وإمامة جامع الزيتونة المعمور .

وبمقتضى الأمر الذي أصدره أحمد باي سنة 1842 ، والمتعلّق بتنظيم التعليم بالجامع الأعظم ، أصبح الشيخ إبراهيم الرياحي عضواً في مجلس النّظارة العلمية الذي يشرف على شؤون التعليم بجامع الزيتونة ويضمّ كلًّا من شيخ الإسلام الحنفي وكبير أهل الشورى (باش مفتي المالكية) والقاضِيَيْن الحنفي والمالكي[1] .

5 ـ آثاره

ترك المترجم له عدّة آثار مخطوطة ومطبوعة ، نخصّ بالذكر منها ما يلي :

أ ـ مجموعة خطب جمعيّة ، نشر بعضها ابنه الشيخ علي الرياحي .

ب ـ مجموعة فتاوى في مسائل فقهيّة متعدّدة .

ج ـ عدّة رسائل ، من أشهرها :

---

(1) محمد بن الخوجة ، تاريخ معالم التوحيد ، الطبعة الثانية ، ص 100 .

● « دفع اللجاج في نازلة ابن الحاج » ، للردّ على قاضي الحاضرة الشيخ محمد البحري بن عبد الستار .

● « مبرد الصوارم والأسنّة في الردّ على من أخرج الشيخ التجاني من دائرة أهل السُّنّة » (وقد نشرت هذه الرّسالة في تعطير النواحي ، الجزء الأول من صفحة 36 إلى صفحة 60) .

د ـ حاشية على شرح الفاكهي للقطر ، وهو كتاب جمال الدين عبد الله بن أحمد الفاكهي المكي : « مجيب النّدا لشرح قطر النّدى » .

هـ ـ شرح الخزرجية في علم العروض (وهي منظومة تنسب إلى أبي محمد عبد الله الأنصاري الخزرجي) .

و ـ منظومة نحويّة ، لتقريب الأجروميّة للحفظ . (نُشِرت في تعطير النواحي ، الجزء الأوّل من صفحة 164 إلى صفحة 72) .

ز ـ قصّة المولد النبوي الشريف، مختصرة من مولديّة الشيخ مصطفى البكري « المنهل الأصفى . في مولد الرسول المصطفى » (وهي منشورة أيضاً في تعطير النواحي من صفحة 1 إلى صفحة 11) .

ح ـ ديوان شعر (مخطوط) ، جمعه بالخصوص الشيخ محمّد السنوسي في الجزء الرابع من كتابه « شفاء النفوس السنيّة بمجمع الدواوين التونسيّة » .

6 ـ وفاته :

لبّى الشيخ إبراهيم الرياحي داعي ربّه في السابع والعشرين من رمضان سنة 1266 (7 أوت 1850م) ودُفِنَ بزاويته التي أتمّ بناءها المشير أحمد باي الأوّل سنة 1270هـ (1854م) . وقد أرّخ هذا الحدث الشاعر الباجي المسعودي بقصيدة جاء في مطلعها :

قِفْ بالمقام مقام إبراهيم
وآنشق من الأرج العطير شميما

وبيت التاريخ :

يــا من يؤمّـل بــابــه كن آمنــا   قف بـالمقـام مقــام إبـراهيم[1]

1270

وفي سنـة 1295هـ (1878م) أصدر المشير الثالث محمـد الصـادق بـاي أمـراً بترميم زاوية سيـدي إبراهيم الـرياحي وتجـديد قبّتهـا البديعـة الصنع . وقـد أرّخ هذا التجديد الشيخ محمّد السنوسي بقصيدة مطلعها :

لمقــام إبــراهيم فــاَدْخُــلْ آمنــاً   تجلو بــه فضـلاً عــظيمـا كـامنـا

وقد ختمها بهذين البيتين :

فيــه انجـلى أمن ويـمن طــاهــر   فـاسـأل إلاهـك فيـه تلف ميـامنـا
فهـو الـذي لمؤرّخيــه جـوابــه :   لمقـام ابـراهيم فـآدخـل آمنـا[2]

1295

---

(1) نفس المرجع ، ص 37.

(2) محمد السنوسي ، المرجع المذكور ، 1/230-231.

شعر الشيخ ابراهيم الرياحيّ

أطلَعَنـا الأستاذ ابـراهيم الكتاني، جزاه الله خيراً، أثنـاء زيارة لنـا إلى المغرب الشقيق سنـة 1979 ، على مخطوط محفـوظ بالمكتبـة الملكيّة بـالـرّبـاط تحت رقم كـ 1763 ، جُمع فيه شعر الشيخ إبراهيم الرياحيّ التونسي ، وأتحَفَنـا بنسخة مصـوّرة منه على الميكروفيلم . فعزمنا منذ ذلـك الحين على تحقيق هـٰذا الديـوان ونشره ، ولكن حالت المشاغل دون ذلك . فعهـدنا بـالتحقيق إلى بعض طلبتنا بكلّيـة الآداب بتونس فآنتُدب ببلد شقيق فتخلّى عن العمل ، فعهدنا إلى غيره فتخلّى أيضاً . وبقي المصوّرُ في محفـوظاتنـا إلى أن سهّل الله أن نشتـرك في تحقيقه مـع زميلنا وصـديقنـا الأستـاذ حمّادي الساحليّ .

وربّما آستغرب المـرءُ أن يوجـد الديـوان بالمغـرب ، ولا يوجـد بتونس مـوطن صاحبه . ولا غرابة في الحقيقة فقد كانت للشيخ إبراهيم الريـاحيّ منذ زيـارته الأولى إلى المغرب سفيراً مُمْتَارا ، علاقات ودّيَة مع السلاطين والأدبـاء والفقهاء ، ولا سيّمـا رجالات مدينة سلا . وتوطّدت العلاقة بالمدائح التي كان يدبّجها في رجـال السياسـة والفكـر المغاربـة ، والمراسـلات والزيـارات ، ممّا نجـد أثره ، لا في هـٰذا الديـوان فحسب ، بل وفي كتاب الاستقصاء لمؤرخ المغرب الناصريّ السلاويّ أيضاً .

ولا نستبعد أن يكون الديوان تـونسيًا ، نُسخ بتونس من مجاميع ـ أو كنـانيش ـ مختلفة ، أو من الدفاتر التي ستتكوّن منها مـادّة كتاب تعـطير النـواحي ، ثم انتقل إلى المغرب بحكم الشراءِ أو الهبة . وتوجد بدار الكتب الوطنية بتـونس مجاميـع جزئيّـة ، منهـا مجمـوع من مخلّفـات ح. ح. عبـد الـوهّـاب (رقم 18548) يتضمّن معـظم القصائد ـ على الأقلّ بمطالعها وعناوينهـا ـ ممّا يـدلّ على أنّ جامـع هذا الكنّش كـان ينقـل عن ديـوان مـرتّب منـظّم . وقـد سمّينا مجمـوع ح. ح. عبـد الـوهـاب هـٰذا

« مجموع اشعار ابراهيم الرياحيّ » تسهيلاً وتعميماً ، ونقلنا منه الملحقات 142 إلى 145 ، كما نقلنا القصيدة الملحقة رقم 146 من كنّش الشيخ أحمد بن صالح (رقم 274 من فهرس دار الكتب) وهي قصيدة كثيرة التحريف يصعب تصويبُها .

وكان الطالب محمود الياس قد أنجز في غضون سنة 1978 بكلّية الآداب بتونس رسالة بعنوان « ابراهيم الرياحيّ مفكّراً وأديباً » شفعها بمدوّنة من الشعر الذي وجده في تعطير النواحي وفي الكنّشين المذكورين . والدراسة مع مدوّنتها لا تزال مخطوطة إلى الآن ، ولم نعلم بوجودها إلاّ مؤخّراً ، فاطلعنا عليها ، فإذا هي خالية من القصائد التي زيدت في الديوان على ما في التعطير ، ويبدو أنّ هذا الطالب لم يطّلع على الديوان المغربيّ ولم يسمع به . ثمّ إنّ المدّونة ، إلى جانب نقص موادّها ، تفتقر إلى تحقيق في ذكر ظروف الشعر ، وفي ضبط نصوصه ، وشرح غريبه ومصلطحاته ، والتعريف بأعلامه الخ . . . . فحمَلنا ذلك على المضيّ في عزمنا على تحقيق الديوان ، بعد إكمال مادّته بما ورد في التعطير وفي الكنانيش ، وعن ابن أبي الضياف في إتحافه ومحمد السنوسيّ في مسامرات الظريف ، فبَلَغْنا بهذه الزيادات إلى 146 قصيدة ومقطوعة (بعد 129 فقط في الديوان) و 1983 بيتاً بعد (1859) وهو لعمري مقدار لا يبعد عن الألفَي بيت التي قال صاحب المسامرات (ص 221 من الكتاب) إنّه أحصاها - أي جمعها - في نحو خمسة كراريس من كتابه « مجمع الدواوين التونسيّة » . وقد بدأ في جمع شعر شيخنا وغيره من معاصريه في سنة 1287 ودأب في عمله إلى سنة 1292 . هذا ما يتّضح من فصل للشيخ محمد بن الخوجة في جريدة « الحاضرة » (عدد 20402 ، نوفمبر 1900) ذكره المرحوم محمد الصادق بسيّس في دراسة عن « محمد بن عثمان السنوسيّ ، حياته وآثاره » (تونس ، د . ت) . وقال الشيخ بسيّس إنّ المجمع سمّاه السنوسيّ « شفاءُ النفوس السنيّة في مجمع الدواوين التونسيّة . . . وجمع فيه تراجم ثمانين أديباً » . وقال أيضاً : « ولكنّ النسخة المحفوظة منه بدار الكتب الوطنية ناقصة من سوء الحظ » (ص 175-176) . ويدخل في هذا النقص شعر إبراهيم الرياحيّ[1] . ولعلّ السنوسيّ جمعه من مخلّفات الشيخ

---

(1) عثرنا عند صديقنا الحاج الحبيب اللمسيّ على القسم الرابع من هذا المجمع ويشتمل على شعر : عمر المحجوب وحسن الشريف وصاحبنا الشيخ ابراهيم الرياحيّ وأحمد ذروق ودبياجة محمود قَبادو .

التي سيعمل حفيده على نشر نصيب منها سنة 1902/1320 في كتاب « تعطير النواحي بترجمة الشيخ ابراهيم الرياحيّ » . ولعلّ ناسخ مخطوط الرباط ، وآسمه أحمد بن محمد بن عبد اللطيف ـ والاسم يبدو تونسيًا ـ حين نسخ الديوان في سنة 1882/1301 قد آستثمر مجموع السنوسيّ ، بدليل القصائد والمقطوعات العشرين التي وردت في الديوان ولم ترد في التعطير .

* * *

وهٰذا المخطوط الذي جعلناه أساساً لعملنا يشتمل على 105 صفحات ، كلّ صفحة تشمل 21 سطراً ، بمعدّل 15 بيتاً تقريباً لكلّ صفحة إذا طرحنا التوطئات وعناوينَ الحروف . والأبيات مميّزة الأشطار بعمود واضح الحدود. والخطّ مغربيّ مقروءٌ بسهولة ، إلّا بعض الكلمات التي وقع بها تغدير أو آستعصى على الناسخ فهمُهَا .

والقصائد تتفاوت في الطول والقصر ، من البيت الواحد إلى الخمسة والثمانين بيتاً ، وفي الأغراض : وفي مقدّمتها المدح والتهاني والإخْوانيّات ، ثمّ الرثاء والابتهالات والتأريخ بالحروف للمعالم والأحداث ـ وكذلك الوفيات ـ على طريقة حساب الجمّل ، إلى الإجازات والفتاوى المنظومة والمسائل الفقهيّة والكلاميّة وحتى الكيميائية التنجيمية . وقد أعرضنا عن المنظومة النحويّة لقلّة غَنائها بإزاء كبريات المتون كالألفيّة . ولئن استبقينا بعضَ المقطوعات العلميّة الأخرى ، على ضحالتها شعريًا ، فلكي نعطي للقارىء صورةً متكاملة من إنتاج هٰذا الفقيه التونسيّ الجليل .

وتتفاوت قيمة هٰذا الشعر : فمنه التعليميّ الضحل . ومنه الوعظيّ البارد ، ومنه الغزليّ المتكلّف . ولكنّ فيه أيضاً النّفحات العاطفيّة الصادقة المؤثّرة ، خصوصاً في الابتهالات إلى المولى سبحانه وتعالى ، والتوسّل إلى النبيّ ﷺ ، ومديح أشياخ الطرق الصوفيّة مثل أحمد التجانيّ والشيخ علّي بن حرازم ، وشيخه البشير الزواويّ ، وفي رثائهم . كما تصدق اللهجة أيضاً وتقوى العبارة وتمتن الحبكة في قصائده المغربيّة ، وهي التي يمدح بها السلاطين أو شيوخ العلم والتصوّف . والتفاوت بين مدحه للسلطان المغربيّ ومدحه للخليفة العثمانيّ ظاهر بيّن كما لاحظ الهادي حمّودة

الغزّي في دراسته الوجيزة عن صاحبنا ضمن رسالته عن « الأدب التونسيّ في العهد الحسينيّ » (تونس 1972 ، ص 119-134) ، وقد عزاه إلى التفاوت في ثقافة الممدوحَين ، فهٰذا عربيّ ، بل شريف هاشميّ محاط بكوكبة ماجدة من العلماء والشعراء والأدباء ، وذاك تركيّ لا يتأثر إلاّ بما فيه ذكر للرّسول ﷺ والصحابة والدين الحنيف . ولئن صحّ هٰذا التحليل عموماً ، فإن الاختلاف في القيمة الشعريّة يعزى في نظرنا إلى أمر آخر: وهو صدق المودّة التي تربط بين الشيخ والمغاربة ، حتى إنه كان يُعدّ واحداً منهم . أمّا العثماني ، فإنّه حاكم بعيد ، وعاهل متسلّط على تونس بحكم ولاءٍ قديم ، علاوة على الاختلاف في المذهب والمشرب ، فأولائك حوانف ، والشيخ ومواطنوه مالكيّون .

على أنّ الذي يلفت الانتباه في المدائح المغربيّة هو التعلّق بآل البيت إلى حدّ يتوهّم معه أنّ صاحبنا شيعيّ لولا أنّه يتبرّك أيضاً بالشيخين وعثمان وحمزة والعبّاس وسائر الصحابة والتابعين . فلئن يذكر الأئمّة من بيت الرسول ﷺ ابتداءً من أصحاب الكساء ـ أو العباء كما يقول أحياناً ـ إلى المهديّ المنتظر ، فليس يصدر عن انتماءٍ إلى الاثني عشريّة الإماميّة ، ولكن عن حبّ لآل البيت يشترك فيه مع كافّة المغاربة ، ومعلوم أن زيارة قبر الرسول عندنا فرض واجب ، تكاد تكون شرطاً من شروط صحّة الحجّ .

والشيخ شاعر صوفيّ يعتزّ بانتسابه إلى الطريقة الشاذليّة ، ثمّ التجانيّة ، معتقِد اعتقاداً صادقاً قويّاً في تقوى أقطابها وصلاحهم ، دون انزلاق إلى متعقدات العوامّ في مكاشفاتهم وكراماتهم . فهو فقيه صوفيّ ، لكنّه متحرّر ، في الحدود التي تفرضها مالكيّته من جهة ، ووظائفه الرسميّة من إفتاء وإمامة خطبة وتدريس وسفارات إلى المغرب والباب العالي ، من جهة أخرى .

وهو ، مثل أترابه من هٰذه الفترة ، يجنح إلى أساليب الزخرفة في شعره ، وأوّلها التأريخ بالشعر على طريقة حساب الجمّل ، وإن كان في الميل إلى هٰذا الفنّ المتلاشي دونَ صنوه محمود قابادو . وإنّ مناصبه الرسميّة العالية في الدولة ، وعلاقته بالبيت الحسينيّ الحاكم ، وصداقته مع بعض وزرائهم كيوسف صاحب الطابع ، كانت تفرض عليه أن يُشيد بالأحداث التي تمرّ بهم وبالمنشآت التي تتمّ في عهدهم ،

فيسجّل الحدث أو إنجازَ المعْلَم في شطر بيت يختم به المدحة أو الوصف أو الرثاء ، ويكون ذلك الشطر فيما بعد سنداً للمؤرّخين وعلماءِ الآثار في ضبط تواريخ المعالم .

ومن الزخرف أيضاً ، التضمين الذي ينمّ عن ثقافة دينيّة وأدبيّة واسعة . فالتضمين ضربٌ من الاستشهاد يقرّب به الشاعر فكرتَه إلى السامع أو يوضّحها أو يدعَمُها أو يختصر الاحتجاج لها ، وهو بالطبع أكثر وروداً عند العلماء ذوي الثقافة الواسعة مثل صاحبنا . فلذلك يكثر عنده التلميح الى آيات القرآن كنظمه لكلمات الشفاء (القطعة رقم 1) أو إدراجه لقسم من آية في بيت (رقم 23) .

أتاك على طوع لأنّك أهله   وقد قال « هَـٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ »

وقد يكتفي بكلمة واحدة من السورة لتبيين قصده كما في هـٰذا البيت الذي مثّل فيه بهجة المدينة وطلعة صاحبها بإرَم ذات العماد ويوسف الصدّيق (ق 105) :

وتزيّنت من حسنه فكأنّها   ذات العماد ولاح فيها يوسف

ويلمّح للحديث أيضاً كذكره لآستحياءِ الملائكة من عثمان رضي الله عنه (ق 19) :

. . . من حييَتْ له   ملائك فآستَحْيَيْتَ من وجهة الورديّ

ويضمّن المثل السائر :

وكلّ اناءٍ بالذي فيه راشحٌ   كما رشّح الأضواء لنا القمَران

كما يستشهد بأعلامٍ من التاريخ فيشبّه مثلاً الشيخ أحمد عارف في حكمته وحزمه بآصف وزير سليمان بن داود (ق 103) :

. . . إن لم نقُل سرٌّ سرى من آصِفِ

ويستشهد بالشعر ، القديم والمولّد ، فيلمّح إلى كثّير وعزّة (ق 32) :

. . . لو تسمعون كلامها   لرأيتُكم في الرّاكعين السّجّدِ

أو إلى بشّار (ق 130)

. . . وكالعين بعضَ الحينِ آذانُ

أو إلى المتنبّي (ق 143) :

. . . وإنّما العلم لفظٌ أنتَ معناه

والشيخ ، على عكس معاصريه ، لا يستخدم كثيراً أساليب الصنعة الأخرى ، كالجناس والتورية والمقابلة الممتدّة إلاّ ما ندر وقُصد إليه قصداً ، كتضمينه لألقاب الطبوع في الموسيقى التونسيّة (ق 70) ، والتعمّل فيه ظاهر ، وكالتصريع في هذا البيت (ق 68) :

فالنطق منطبق، والجفن منغلق   واللون منمحق، والوصل منفصل

الذي شابته المقابلة بين الفصل والوصل وهما من مصطلحات البلاغة ، كما شابه ثقل لفظة « منمحق » . وهو في هذه التقفية الداخليّة يقلّد الفحول ولا شكّ كأبي تمّام والمتنبّي . ولكنّ أبا الطيّب حين أشاد بكرم ممدوحه فكرّر أربع مرّات أنّه كريم بن كريم :

العارض الهتِنُ بن العارض الهتِن   ابن العارض الهتن بن العارض الهتن

لم ينزلق إلى هذه اللعبة إلاّ مرّة واحدة . أما شيخنا فتعجبه فيعود إليها ويلتذّ بها ، كأن يقول في مدح مولاي عبد السلام (ق 5) :

فإنّما نحن عند الطاهر النسب   ابن الطاهر النسب بن الطاهر النسبِ

أو يستهلّ مدحه للسلطان العثماني (ق 12) بقوله :

العزّ بالله للسلطان محمود   ابن السلاطين محمود فمحمود

وقد تخطر له فكرة طريفة كالحسرة المزعومة عند المشارقة أن لم يكونوا مغاربة ليتمتّعوا بالعيش الرغد في ظلّ العرش العلويّ ، فيعود إليها أيضاً ، ولكن في شيءٍ من التنويع والتصرّف . وتعوّض الفكرة المبتكرة أحياناً فقرَ شعره إلى الخيال

والصور ، فيقول مثلاً انّ أيّام المشير أحمد باي كلّها أعياد وبهجة حتى همّ عيد الفطر أن « ينفكّ عن شوّاله » (ق 63) .

ذلك أنّ شعر إبراهيم الرياحي شعر تقريريّ في الغالب ، ومجازه لا يعدو التشبيه التقليديّ بالشمس والقمر ، وليث الغاب وظبية الكناس . وقد أبدى زميلنا الهادي حمّودة الغزّي ملاحظات صائبة في تحليله القصِير لشاعريّة صاحبنا . وربّما فاته أن يشير الى معرفة الشيخ الواسعة بغريب اللغة ـ وتأثّره بشعر الفحول ـ كما يظهر من أرجوزته القافيّة (ق 106) ومن معارضتيه لبائيّة ابن الفارض .

هٰذا ، ونرجو أن يجد القرّاء في هٰذا الديوان بعض المتعة ، والدارسون مادّة صالحة لأبحاث عن هٰذا العالِم الشاعر وعن الفترة التي عاش فيها ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

تونس في 14 رجب 1409

20 فيفري 1989

محمد اليعلاوي

حرف الهمزة

الصفحة الأولى من الديوان

[ديوان شعر
الشيخ إبراهيم الرّياحي][1]

الحمد لله ، والصلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أمّا بعد فهذا بعض ما سمحت به قريحة العالم العامل العلاّمة، والبحر الزاخر الفهّامة، شيخ الشّيوخ، وبقيّة أهل الاجتهاد والرسوخ ، القطب الكامل ، والإمام الهمام الواصل ، مَنْ عمّ صيته كلّ النّواحي ، الشيخ سيدي إبراهيم الرّياحي ، رضي الله عنه ، آمين .

حرف الهمزة

1 ـ قال أحسن الله مثواه ، وتغمّده برحمته ورضاه ، ناظماً آيات الشفاء ، وأجاد [طويل][2] :

وَيَشْفِي شفاءٌ ثم فيه شِفَاءُ   وننزل يَشْفيني هُدىً وشِفَاءُ

فذي ستّ آيات[3] إذا ما كتبتها   لذي مَرَض مُضْنًى فهنّ شِفَاءُ

* * *

(1) مخطوط الرّباط ، كـ 1763 .

(2) تعطير النواحي ، 107/2 . مجمع الدواوين التونسيّة ، 47 أ .

(3) آيات الشفاء الستّ هي :

1 ـ ويشفي صدور قوم مؤمنين (التوبة ، 14) .

2 ـ قد جاءتكم موعظة من ربّكم وشفاء لما في الصدور (يونس ، 57) . =

2 ـ وقال رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وجعل الجنّة مثواه ومأواه ، معارضاً الشيخ سيدي محمّد البوصيري رضي الله عنه في قوله [خفيف] :

يا رحيما بالمؤمنين إذا ما　　ذَهَلَتْ عن أبنائها الرُّحَماءُ

يستغيث من الوباء ، وذلك عام 1233 [1818م][1] :

يا إلاهي وأنت نِعْمَ اللّجاءُ　　عَافِنَا وآشفِنا فمنك الشّفاءُ[2]

إنّ هذا الطاعون نارٌ تَلَظَّى　　لقلوب التوحيد منها اصْطِلاَءُ

كم جموعٍ تمزّقت وقلوبٍ　　وسرورٍ طارت به العنقاء[3]

ودموعٍ كالدرّ تُنْثَرُ نثراً　　في خدودٍ تَوْرِيدُهنّ دِماء

5 ووجوهٍ مثلِ الشّموس توارت　　لو تراها إذا أُزيل الغطاء

[2] / أُكرمت بالتراب فرشا وكانت　　ربّما ضرّها الهوا والماء[4]

ذاك من ذَنْبِنَا العظيمِ كما قد　　جاءنا عن نبيّنا الأنباءُ

يغضب الله بالذنوب فتسطو　　حين تطغى بوخزها الأعداء

هو لا شكّ رحمةٌ غيرَ أنّا ،　　يا قويّ ، عن حملها ضعفاء

10 كم وكم رحمةٍ لديك وتعطيـ　　ـها بلا محنة إذا ما تشاء

رَبَّنَا رَبَّنَا إليك آلتجأْنا　　مالنا ربّنا سواك آلْتِجَاءُ

---

3 ـ يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس (النحل ، 69) .

4 ـ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين (الإسراء ، 82).

5 ـ وإذا مرضت فهو يشفيني (الشعراء ، 80) .

6 ـ هو للذين آمنوا هدًى وشفاء (فصّلت ، 44) .

(1) التعطير 91/1 ، والطاعون حلّ بعاصمة تونس في شوّال سنة 1233/ أوت 1818 ودام عامَيْن ، ومات به خلائق كثيرة . آنظر الإتحاف ، 147/3 . والبيت المُعَارَض هو من همزيّة البوصيري .

(2) اللّجاء ، مصدر غير وارد في اللّسان .

(3) في التعطير « وكبود » .

(4) في المخطوط « الهوى » .

بـاَفْـتـقـارٍ مـنّـا وذُلٍ أَتَـيْـنَـا ... مـالـنـا عِـزَّةٌ ولا آسـتـغـنـاء

نَقْـرَعُ البابَ بـالـدّعـاء ونـرجـو ... فَـلَنِعْـمَ الـدُّعَـا ونِعْـمَ الـرّجـاءُ

أَبْـقِ يـا ربَّـنـا عـلـيـنـا وَدَارِكْ ... بـاقـيـاً قَبْـلَ أن يَعُـمَّ الـفـنـاء

15 [لم نكـن دون قَـوْمِ يـونُسَ لمّـا ... آمـنـوا حيـن بـالـتـمـتّـع بـاؤوا

قـد كشفتَ العـذاب عنهمَ لِحينٍ ... ثـمّ مـاتـوا ومـا لِخَلْقٍ بقـاء][1]

ولـنـا سـيّـدُ الأنـام رسـولٌ ... دُونَـه الأنـبـيـاءُ والـشُـفَـعَـاء

ولـنـا عـنـد ربّـنـا قِـدَم الصّـد ... قِ ونـحـن آلْخِـيَـارُ والـشّـهـداء

والـكـتـابُ الـعـزيـزُ نـورٌ مُبِـينٌ ... بـيـنـنـا تـنـجـلي بـه الـظّـلْمَـاء

وَلَـوَ آنّ الـعُـصـاةَ فـيـنـا فـمـنّـا ... مَنْ إذا مـا دَعَـوْا أُجِيبَ الـدّعـاء

20 ربَّـنـا جـاء من نـبـيّـك وَعْـدٌ ... فـي حـديـثٍ رُوَاتُـه أُمَـنَـاءُ

آرْحَمُوا مَنْ في الأرضَ يَرْحَمْكُمُ اللّـ ... ـهُ تعـالى وتُـرْحَم الـرُّحَمـاءُ[2]

فَـلأَنْتَ آلأَوْلَى بـذلـك فَـآرْحَـمْ ... رَحْـمَـةً تـنـتـفـي بـهـا الـبَلْوَاءُ

فـلقـد زاغـت الـبـصـائـر مـنـه ... وعـيـون الـورى بـه عَـمْـيَـاءُ

[مـا لـذي الحلم عنـده من ثَبَـاتٍ ... لاَ وَلاَ صَـابِـرٌ لَـدَيْـهِ عـزاء][3]

25 ضـاق أَمْـرُ الـورى وأنت آلْمُرَجَّى ... وسـطا ذا الـوبـا وعَـزَّ الـدّواء

[3] / والكتـاب العـزيـز بشّـر بـالـيُسْـ ... ـرَيْنِ في عسـرنـا ومنك الـوفـاء[4]

وكَـفَـانَـا سَـيَـجْـعَـلُ اللهُ يُـسْـراً ... بعد عُسْـرٍ والـوعـد منـك لقـاء[5]

فَـجَـدِيـرٌ أن يـأْتِيَ الـيُسْـرُ فَـوْراً ... وحـقـيـقٌ أن تـذهـب الـبـأسـاء

---

(1) بيتان ساقطان من تعطير النواحي .

(2) في الجامع الصغير للسيوطي ، 38/1 : « آرحم مَنْ في الأرض يَرْحَمْكَ مَنْ في السماء » .

(3) بيت ساقط من التعطير .

(4) سورة الشرح ، 5-6.

(5) سورة الطلاق ، 7 . وفي التعطير : « والوعد منك وفاء » .

وصَلاَةُ الإلاه ثمّ سلامُ لِلإمام الذي به آلاقتداء

30 أحمدَ المصطفى الشّفيعِ إذا ما قال كلٌّ: نَفْسِي وإنّي براء[1]

إذْ يقوم الرّسولُ ، والحمد شغل فيُنادى : لك آلْهَنَا والرّخاء

يَالَهُ مَوْقِفاً عزيزاً تجلّت عن جميع الورى به الضرّاء

ورضاه الأتمُّ يُهْدَى لِصَحْبٍ بعد آلٍ ومن حواه الْعَبَاءُ[2]

ولكلّ الأتباع في كلّ قَرْنٍ مَا لَهُ بانْقِضا الزمان انقضاء

35 أيّها المؤمنون تُوبُوا جميعا أيّها النّاس أنتمُ آلفقراء

* * *

(1) في التعطير : « كلّ نفسٍ تقول إني براء » .

(2) في التعطير : « والرّضاء الأعمّ » . وأصحاب الكساء هم ، مع الرسول ، فاطمة وعليّ والسبطان .

حـرف البـاء

3 ـ وقال قدّس سرّه العزيز في حال النّوم وهو في بستانه بالمرسى في شـوّال عام 1263 [1847 م] ، ولأجل ذلك سمّاها بالنوميّة [مخلّع][1] :

الحمـد للّه وهـو حسبي	وفـاز مَنْ حَسْبُـه الحسيبُ
يخصّ من شـاء لا بشيء	إلاّ بـجـودٍ لـه صبيـبُ
ثم الصّلاة على المنبّا	وآدم طـينُـه لَـزِيبُ
والآل والصّحب والموالي	مِنْ كُلِّ مَنْ في الهدى نجيب
5 وبَعْدُ يا خالقي فإنّي	أدعو بكـلّ الـذي تجيب
أن تجمع الشملَ وهو فرق	يجمعه المصطفى الحبيب
الفاتح الخاتم المُرَجّى	لِسَاعَةٍ هَوْلُها مُشيب
[4] / السيّد الكامل المُعَلّى	الطاهر الطّيّب المطيب
كنز الكمال الذي لِكُلِّ	وإنْ علا قدرهُم نصيب[2]
10 مَنْ مدحه في الكتاب يُتْلَى	ماذا عسى يمدح الأديب
هو الرّؤوف الرحيم جاء	في توبة نصُّها عجيب
فيا رؤوف ويا رحيم	مَا غَيْرُ وَصْلِكَ لي طبيبُ
إن لم تَدَارَكْ حليفَ سقم	فَعَيْشُهُ بَعْدَ ذَا غريب

---

(1) التعطير ، 39/2 ومسامرات الظريف ، 159/1 .

(2) في التعطير : « قدره » . وفي مجمع الدواوين ، 2 ب : غلا بالمعجمة .

هـذا بكـائي بـدا مـديحـا   وذا آشتيـاقي وذا النحيـب[1]

15 عليك من ذي العـلا صـلاةٌ   من عـرفهـا مِسكُنـا يـطيبُ[2]

كـذاك يـصحبُهـا سـلامٌ   غُصنُ الـدوام لـه رطيبُ[3]

* * *

4 ـ وقـال[4] رضي اللّه عنه وعنّـا به، مؤرّخـا بناء السّقـاية التي أنشـأها الـوزير يـوسف صاحب الطابع المسمّاة ببير الجديد بجبل المنار[5]: [رجز]

ذَا مَـوْرِدٌ جـاد به   راجـي ثـوابِ ربّـهِ

يـوسفُ خوجـةُ الـرضيّ   صـاحب طابـع البهيّ[6]

فَخْـرِ ٱلْعُـلاَ حـمّـودةٍ   بـاشـا، فَـذَا من سَيْبِـهِ

مـن عـبـدليّـةٍ زهـا   بـطيـبـه وقُـرْبِـهِ

5 بـحـسـن نـيّـةٍ ومِـنْ   إخـلاصـه فـي رَبّـهِ

جـازاه ربّـي جَـنَّـةً   وكَـوْثـراً فـي شُـرْبِـهِ

يَـا وَارِداً فَـاْدْعُ وَقُـلْ:   تـاريخـه: «بَشِّـرْ بِـهِ»[7]

1209

* * *

5 ـ وقال تغمّده الله برضوانه ، مجيزاً قول الفقيه الشيخ القرشي السّلاوي [بسيط] :

ومجلسٌ رائـقٌ من فـضله سُـقِيَتْ   أرواحُنـا بـرحيق العلم والأدبِ

---

(1) في التعطير :

هـذا بـكـاءً بـدا مـديـحـا   وذا اشـتـيـاقٌ وذا نـحـيـب .

(2) في الديوان : غصن الدوام لها رطيب وهو عجز البيت الموالي ، والإصلاح من مجمع الدواوين .

(3) زيادة من التعطير ، 40/2 ، وفيه : « يصحبه » . والإصلاح من المسامرات ومن المجمع .

(4) الأبيات في التعطير ، 8/1. وكنّش الطواحني رقم 18763. وفي المجمع ، 24ب .

(5) جبل المنار ، يعرف اليوم بربوة سيدي بوسعيد .

(6) البِهيّ ، باءٌ مكسورة ، والصفة من البهاء ، بَهِيّ بالفتح ، فهذا سهو من الشيخ .

(7) بشّر به : بحساب الجمّل ، 1209هـ/ 1793م . وفيها مجانسة مع القافية السابقة .

إلى آخر الأبيات ، مادحاً مولاي عبد السلام أخا السلطان مولاي سليمان ، وواصفاً مجلسه ، وذلك في سفره إلى مدينة فاس عام 1804/1218 [1] :

[5] / والــوُرقُ مفتَنَّةُ الألحان راقصة ... والـزّهـرُ مبتسمٌ عن ثغره الشَّنِبِ

لاَغَرْوَ إن رَقَصَتْ أشباحُنا طَرَباً ... وجُرَّ أذْيالُنا فَخْراً على الشُّهُبِ [2]

فإنّما نحن عند الطّاهر النّسب آبـ ... ـنِ الطّاهر النّسب ابنِ الطّاهر النّسب [3]

* * *

6 ـ وقال رضي الله عنه وأرضاه ، مجيباً الشيخ مصطفى بن عزّوز [4] رضي الله تعالى عنه ، عن جواب [كتاب] أرسله إليه عند قدومه إلى محروسة تونس عام 1849/1265 [كامل] :

جاء الكتاب من الحبيب مُبَشِّراً ... بقدومه يا مَرْحَباً يا مَرْحَبا

قَدْ رَدَّ لي عَهْدَ المسرّةِ مِثْلَما ... بقميص يُوسُفَ رُدَّ ما قَدْ أذْهِبا

أُهْدِي إليك تحيَّةً مِسْكِيَّةً ... يا مصطفى يا منتقى يا مجتبى

مُسْتَدْعِياً منك الدّعاءَ وأنتَ في ... حالٍ تراها للإجابة أقْرَبا [5]

* * *

7 ـ وقال ، أحسن الله نزله ، ورفع عمله ، مخاطباً شيخ الإسلام محمد بيرم الثالث ، في شأن رجل عُزِلَ من خطّة الإشهاد يسترجعه [كامل] [6] :

---

(1) هذه المساجلة بسلا منقولة في التعطير ، 32/1 . وفي المجمع ، 15 ب نُقلت أبيات الشيخ القرشيّ الثلاثة ونسبت خطأ إلى إبراهيم الرياحي .

(2) في التعطير : « رقصت أرواحنا » .

(3) وكذلك قال المتنبي في مدح القاضي الخصيبيّ :

العارضُ الهتِنُ بنُ العارضِ الهتِنِ ... ابن العارض الهتنِ بن العارضِ الهَتِنِ

(4) هو شيخ الطريقة الرحمانية . والأبيات في التعطير ، 44/2 والمجمع ، 36 ب .

(5) في التعطير ، 45/2 : « مستودعاً منك . . . » .

(6) مجموعة ح.ح. عبد الوهاب رقم 18841 والتعطير ، 107/2 ومجمع الدواوين ، 43 ب . والعدل المعزول هو محمّد المعروفي . وشيخ الإسلام محمد بيرم الثالث له ترجمة في الإتحاف ، 54/8 .

يَـا مَنْ إذا عضّ الـزّمـان بِنَـابِـهِ حُـطَّت رِحـال القصد في أَعْتَابِهِ[1]
إنّ الـذي حـمـل الكتـاب إلَيْكُمُ مِمّن سقـاه العَزْلُ مَـطْعَمَ صَـابِـهِ
وبـه تَـعَـذَّرَ قُـوتُـهُ إذ لـم يـكـن يـدري سـوى التبـريـز من أسبابِهِ[2]
ولـه جِـوَارٌ حَـجَّـنـي بـحُـقُـوقـه وَلَكَمْ صَلَى الأَحْشَـا بِنَـارِ عِتَـابِـهِ
5 حتّى رسى هيجـانُـه في قـدركـم وإليكُمُ حسنُ الـظّنـون مشى بِـهِ
فأتى وقال : اُكْتُبْ لمن عجز الورى أن يـظفـروا لِعُـلاَهُمُ بِمُشَابِـهِ
فكَتَبْتُ مُـلْتَـذًّا بِشَـهْـدِ خـطابكم مَـعْ أنّـني راجٍ لِـنَـيْـل ثـوَابِـه
والـلّه يُبْقِي مـجـدَكم حَـرَمـاً لـه عِـزٌّ بـه يـقف الـعُـفَـاةُ ببـابـه[3]

* * *

8 - وقـال رضي الله عنه وأرضـاه ، وجعل الجنّـة مأواه ، يـرثي الشيخ أحمـد السهيلي رحمه الله في شوّال المبارك عام 1222/ ديسمبر 1807 [كامل] :

[6] / قَـدِّمْ لأهـوال المـآب مَتَـابَـا وآعمَلْ فما التسويف منك صوابا[4]
فـإلى متى والعُمْـرُ لَمْحَـةُ بَـارِقٍ، تلهـو ويُـوعِـظُكَ النّصيحُ فتـأبى
القَبـرُ حَسْبُـكَ لَـوْ تُـوَفَّقُ وَاعِـظاً والمـوتُ يكفي لَـوْ عَلِمْتَ مُصَـابَـا
وإذا غفِلْتَ فـإنّـه لـك مُـوتِـرٌ قَـوْساً متى تَـدْعُ الفناءَ أجـابـا
5 عَمَّ الخَـلاَئِقَ حُكمُـهُ، يَـا لَيْتَـهُ لـو كـان يَمْنَعُ بـالبقـاء جنابـا!
كجَنـابِ أحمـدِ السُهَيْلِيِّ الـذي لَبِسَ المحـامـدَ في الـورى أثـوابـا
وَهُـوَ الـذي إذْ خـافَ فتنـةَ وجهِـه ضـربَ الحياءَ على الجمـال نِقابـا

---

(1) في التعطير : « حطّت رحاب » .
(2) في التعطير : « التبرير » بالمهملتين . والتبريز قد يعني بها الشيخ الخروج (للإشهاد) طلباً للرزق .
(3) في التعطير : « العداة » . والعُفَاة : المحتاجون والمتوسّلون .
(4) في التعطير ، 73/1 : « لأهوال المآل » وفي المجمع ، 40أ : المآب كما في الديوان . ونصب صواباً بما العاملة عمل ليس .

خَلْقٌ يَوَدّ البدرُ نَيْلَ تَمامِهِ ... وخَلاَئِقٌ تَسْبِي العقولَ عُجَابا

غارَتْ من الدّنيا عليه مَنِيَّةٌ ... شَوْقاً لهُ فاستعجَلَتْهُ شبابا

10 يا رَبِّ من وافاكَ أَحْوَجُ [بائس ... ولِغَيْرِ بَابِكَ لا يسوق رِكَابا

فَاجْعَلْ له من فَيْضِ عَفْوِكَ] مَوْرِداً ... أشْهى من العَذْب الفُرَاتِ شرابا[1]

وآقْبَلْ مقالةَ من دعاكَ مُؤَرِّخا: ... نَوِّلْهُ في أعلى الفسيح ثوابا[2]

1222

* * *

(1) في التعطير خلط بين البيتين في بيت واحد . وما بين المربّعين زيادة من المخطوط . وفي المجمع : قد وافاك .

(2) يستقيم الحساب باعتبار ألف القصر من « أعلى » ألفا قدرها : واحد .

حرف التّـاء

9 ـ وقـال قدّس سـرّه العزيـز معارضـا [قصيدة] القـاضي عياض رضي الله عنـه التي يمدح بها الرّوضة النبويّة على صـاحبها أفضـل الصلاة وأذكى التحيّـة ، وعلى آله الأنجم البهيّة [كامل][1] :

يـا رَوْضَـةَ الـرِّضْـوَانِ والنَّفَحَـاتِ ... ومحلَّةَ الـرَّحَمـات والحُـرُمَـاتِ

شَـوقي إلى مَـرْآكِ شَقَّ جـوانحي ... فشقِيتُ بين تَصَعُّـدِ الزَّفَـرَاتِ[2]

حتى ظللتُ من الصّبـابـة عِبْـرَةً ... لأولي البصائرِ سائِلَ العبـراتِ

يَـا مَنْـزِلَ التنـزيـل هـل أنـا نَـازِلٌ ... بـك مَنْـزِلاً يَشْفي من الحسـرات

5 وأرَى لِـقُـرْبِـكِ لاثمـا ومُـقَبِّـلاً ... ومُعَفِّـرَ الـوجنـات في الجنّـات

[7] / وَمُـرَدِّداً مـا بين دُورِك نـاظـري ... في ناضر العَـرَصات والحُجُـرَات[3]

وجميـل ظنّي في قـطينـكِ قـاطنٌ ... عـارٍ مـن الأَوْهـام والشُّبُـهـات

يا مصطفى يَا خَيْرَ من وَطِئَ الثّرى ... يـا بَـاهِيَ الحـركـات والسَّكَنَـاتِ

وَحَيَـاتِـكَ العُـظْمى لأَنْتَ مؤَمّلي ... يَـا مَلْجئِي فـي مِيتتـي وحيـاتـي

10 وصـلاةُ ربّـك والخـلائقِ كـلِّهِمْ ... تغشـاك في الخطَرَاتِ واللَّحَظات

* * *

---

(1) التعطير ، 108/2 والمجمع ، 4 ب . وقصيدة القاضي عياض مطلعها :

يـا دارَ خيـرِ المـرسَلين ومَـنْ بـه ... هُـدِيَ الأنـامُ وخُصَّ بـالآيـات

(2) في التعطير : « الى رؤياك شوق » .

(3) حجّ الشيخ مرّة أولى سنة 1826.

10 ـ وقال سقى الله ثراه بوابل رحمته ورضاه ، لمّا اتّفق أهل المجلس الشرعي على صحّة حُبُسٍ من أحباس الشيخ سيدي أبي الحسن الحلفاوي وانفرد بالمخالفة ، وقد أبدع [كامل][1] :

جـاء الشّيـوخ مجلّيـاً ومصلّيـاً ومسلّيـاً في حلبـة الأثبـات[2]
وأتيتُ من بَعْـدِ الثلاثـة تـاليـاً مستغفـراً مـن غـافـر الـزلاّت

* * *

11 ـ وقال قدّس سرّه يرثي العلاّمة المدرّس الشيخ محمّد الفاسي ، والتزم فيها إلزام ما لم يلزم [كامل][3] :

شَـرَفُ الـورى يـا دَهْـرُ كيف هَـدَمْتَـهُ وقصـدتَ عَمْـداً للهُـدَى فـردمتَـه[4]
يـا لَيْتَ أنـك والـمُنى ممنـوعـةٌ تَـلْوِي على نَـقْضِ الـذي أبـرمتَـه
لم تَـأْلُ في سَـوْقِ الخِيَـار إلى الـرّدى يـا ليت شعـري هـل بـذا أكـرمتَـه؟
أَفَلَمْ يَغِبْ بغـروب شمسِ محمّـدٍ فَضـلٌ سمـا عن أن تكـونَ علمتَـه؟
5 والـعلم لـو كـانـت لـقـلبـك رقّـة لـبـكـيتَـه مـن بـعـده ورحـمتَـه
لاَغَـرْوَ إنْ تُـنْـشَـرْ لآلِـي أَدْمُـعٍ وبِـفَقْـدِهِ عَـقْـدُ العلوم فـصـمتَـه
يـا مَـنْ الى نـور الـكتـابِ وسـرِّه يسعى لقـد أَخْفَقْـتَ فيمـا رُمْتَـه :
كشّـافُ أسـرار البـلاغـة قـد مضى ولسـانُ تلخيص البيان عـدمتَـه[5]

---

(1) مجموع ح.ح. عبد الوهاب 18841 والتعطير ، 118/2 ، والمجمع ، 45 أ . والشيوخ الثلاثة هم : محمد بيرم الرابع ومحمد ابن الخوجة ومحمود باكير .

(2) المجلّي والمصلّي والمسلّي في السباق : هو الفرس الأوّل فالثاني فالثالث ، وفي المجموع : مسلّيا وفي التعطير : مُسَلِّما . والتالي هو الرابع .

(3) التعطير ، 85/1 والمجمع ، 37 أ . وتوفّي الشيخ الفاسي في ربيع الثاني 1232/ فيفري 1817 ، وخلفه الشيخ إبراهيم الرياحي في التدريس بجامع صاحب الطابع . انظر الإتحاف ، 102/7.

(4) في التعطير : « فثلمته » .

(5) تورية بالزمخشري صاحب الكشاف والقزويني صاحب التلخيص .

مَنْ للكــلام إذا بَــدَتْ يــا فـخـرَه ... مِن مُبْــطِلٍ شُبُــهٌ بــه كلَّمتَــه؟(1)

10 ومتى أتـى بـوسـاوسٍ متفلسفٌ ... أرْهَـقْتَــهُ، وهُــدَى الإلـه أَقَـمْتَـهُ

وَلَــوَ انّ أفلاطــونَ ساعــده اللّقـا ... لــدرى بــأنّ الـعِـلْمَ مــا عَــلَّمتـه

[8] / يــا مُحْيِيَ الإحيا لِيَهْنَـكَ مَغنمـاً ... عُمُــرٌ بــإحيــاء العلوم ختمتَــه(2)

لَهَفي عليـك ولستُ فيــه بمُـفْـرَدٍ ... يــا مُفْرداً جَمْــعُ الكــلام نَـظَمْتَه

شمسٌ بفــاسٍ أشـرقت وبتـونسٍ ... غَــرَبَتْ فيا أسفــاً عليك ضـرمتَه

15 قَسَمــاً بمن أعـطاك خلقــاً كـامـلا ... وثبـاتَ حِلم في الأنـام عـزمتَـه

لــو تُفْتَدَى لَفَـدَاكَ مَنْ تحت السّمـا ... وبَقِيتَ حيّــاً مــا تـشـاءُ أقـمتَـه

لكنّ مــا تـلقـاه من حُسنِ القِرى ... خَــيْــرٌ وأَبْقَــى والــذي قــدّمتَـه

فـله دَعَــا داعي الـورى فـأجبتَـه ... وجميـل ظنّك بـالرّجــا أحكمته(3)

والـلّهَ أرجــو أن يـنـيـلك كــلّ مــا ... بجميـل ظنّك في الضميـر كتمتَـه

20 وَحَــرٍ لـمـجـدك أن يـنــاديَ زائــرٌ ... ومؤرّخٌ: وَارَمْسُ كيف ضَمَـمْتَـه!(4)

1232

***

---

(1) تورية بالفخر الرازي . وفي التعطير جاء البيت على هذا النحو :

مـن لـلكـلام إذا يـدوّن فـخـره ... من مبطل شبـه الضـلال كـلّمتـه

ولا وجه لقراءة مقنعه هنا ولا هناك .

(2) تورية بإحياء علوم الدين للغزالي .

(3) في التعطير : « فلكم دعا . . ».

(4) حَرٍ وحريّ : خليق وجدير .

12 ـ وقال نفعنا الله به يرثي شيخ القرّاء الشيخ حمّودة الهيشري أواخر ربيع الأوّل عام 1230 [كامل][1] :

الموتُ كَمْ فَجَع الورى وثباتُه	إن لم يَثِبْ فَبِمَرْصَدٍ سطواتُه
كيف آغترارُك بالحياةِ، وحَبْلُها	بيد المنون مدى الدّهور بَتاتُه[2]
أوَليس في درْج القرون مواعظٌ	وشتات شَمْلٍ ما يقرّ شتاته؟[3]
وكفى بموت العالمين مُنَبِّهاً	ينهى فتى نبضت به عَزَماته
5 فتَزَوَّدِ آلتّقوى وأيّة خلّة	يسعى لها مَنْ قد أريد نجاته
وتأمّل الدّنيا بأكرمَ عُمِّرَا	عن أن تمرَّ بها سُدىً أوقاته[4]
كالهيشريِّ المرتضى حمّودةٍ	ذاك الإمامِ المنتقاةِ صفاتُه
فخر المحابر والمحارب زينة الخُـ	ـطباء كم صَدَع النهى زجراته[5]
صدر المحافل حلية القرّاء كم	سطعت بجوّ فؤاده آياته
10 لم يَألُ في طلب الرّضى من ربّه	فتَشَابَهت في قصده حركاته
ثم استجاب لربّه لمّا دعا	ومراده من فضله مرضاته
[9] / فأنالَهُ أَملًا وفي تاريخه:	جادت عليه بوبلها رحماتُه[6]

1223

* * *

(1) مجموع ح.ح. عبد الوهاب 18841 والمجمع ، 41 أ ، وفيهما : سنة 1223 وفي الديوان 1230.

(2) البتات والبتّ : القطعُ .

(3) في الديوان : ما نظير . والإصلاح من مجموع ح.ح. عبد الوهاب والمجمع .

(4) قراءة هذا البيت عسيرة . وهو ساقط من المجموع وملحق بهامش المجمع .

(5) في المجموع : « زينة الخطّاب » . وفي المخطوط « وكم صدع . . . » .

(6) حساب الجمّل في هذا التاريخ هو :

جادت : 3 + 1 + 4 + 400 = 408. عليه : 70 + 30 + 10 + 5 = 115.

بوبلها : 2 + 6 + 2 + 30 + 5 + 1 = 46. رحماته : 200 + 8 + 40 + 1 + 400 + 5 = 654. والمجموع 1223 ، لا 1230 كما جاء في التوطئة .

حرف الجيم

13 ـ وقال قُدّس سرّه ، مخاطباً الشيخ محمد القرشي السلاوي حين دخل عليه في سفره للمغرب عام 1804/1218 [بسيط][1] :

قـد أنْعَمَ السيّدُ القُرْشي بِزَوْرَتِـهِ ... فيـا فؤادي بـذاك المنـظر آبْتهِـجِ
أمـا رأيتَ بـدورَ العلمِ طـالعـةً ... في أُفْقِـه بَيْنَنَـا تُغْني عن السُّـرُجِ ؟

* * *

14 ـ وقال رضي الله عنّه وعنّا ، مجيباً الشيخ آبن سراج المدني[2] عن بيتين[3] مدحه بهما في سفره لحجّته الأولى عام 1826/1241 [كامل] :

قَسَمـاً بمكّـة والمشـاعـرِ كلِّهـا ... لهي السَّنَا وسراجُهـا آبنُ سراجِ[4]

* * *

15 ـ وقال مخاطباً بعض المقاديم العيساويّة[5] ويهجوهم [طويل] :

بُلينَـا بِقوْمٍ خـالفوا أَوْضَـحَ الحُجَـجْ ... وحـادُوا عن النّهج القـويم إلى عَـرَجْ

---

(1) التعطير ، 32/1 ـ مسامرات الظريف ، 175/1 . مجمع ، 27 ب .

(2) في التعطير ، 103/1 : ابن سراج المكّاوي . وفي المجمع 31 أ : أحد علماء المدينة ، فأضرب عن المدينة ، وعوّضت بمكّة .

(3) البيتان في التعطير . والشطر الأوّل محرّف :

مـا زال بـابـك مكـة مفـتـوحـة ... وتـرابـهـا فـوق الـجـبـاه رسـوم
حتى يُنَـادَى في البـلاد بـأسـرهـا ... هـذا الـمـقـام وأنـت إبـراهـيـم

(4) في المخطوط : المُنا . والتصويب من التعطير . والسّنى والسّناء : البرق والضياء .

(5) المقاديم : جمع غير قياسي لمقدّم الزاوية أي وكيلها الساهر على مريديها .

وفـي زعـمـهـم أنّ الـغـنـى ذا قـربـةٌ ورقصٌ بـتصـفيـقٍ وصَعْـقٌ بِمُـخْتَـلَجْ
وهـل كان في الصّـدر القـديم صنيعُكُم وقـد سمِعَت آذانكم من بها لَهَـجْ . . .

ومنها :

. . . صـدقتُمْ فـانّ السـامـريّ إمـامُكم وشَيْخُكُمُ لَا شكَّ فيه ولا حَـرَجْ . . .

ومنها :

. . . ويعلوه طـربـوش كحمـرة خـدّه وما ذاك إلّا من [. . .] هرج الهرج[1]

---

(1) سقط الشطر في المخطوط ، وأخذناه من مجمع الدواوين ، 10 ب ، وهو بعد ناقص

حـرف الحـاء

16 ـ وقـال رضي الله عنـه وعنّـا بـه ، مخـاطبـاً تلميـذه رئيس الكتّـاب الشيـخ محمّـد الأصرم[1] حين ألبسه مخـدومه المشيـر الأوّل[2] النظام[3] في عيـد النحر من عـام 1841/1257 [طويل] :

بقلبي على زيّ الـصّليب قـروح   فمـا حَـالُـه إن كُنْتَ فيـه تلوح؟

[10] / بُلينا وكَمْ ، لكن كفى الصّبر شرّها   وهـٰذي لهـا يغدو الأسـى ويـروح

فـلو للفِـدا قـلتُ البـريّـة كـلّهم   فـإنّ الـورى جسمٌ وأنت لـه روح

* * *

17 ـ وقال قدّس سرّه ، مقرّظاً سفينة[4] لصالح خوجة التركي [سريع] :

يـا رَاكِبَ الأخطارِ يبغي العُـلاَ   وسـالكاً في المنهـج الواضـح

آرْكَبْ بحـ[ـا]رَ العلم نحو المنى   وهــذه سفينـة الـصَّـالـح

فيهـا من الآداب مـا لم يكن   في غيـرها من مقصـدٍ نـاجـح

خـواجـةُ صـالـحُ أبـدى بهـا   نصائحاً لم تـأت من مـازح

5 لا زالتِ ٱلأيّـامُ تُبـدِي لـنـا   عجـائبـاً من ذهنـه السّـابـح

* * *

---

(1) هو محمد بن محمد بن الأصرم ، تولّى رئاسة قلم الإنشاء في عهد الأمير حسين باي الثاني وحظي بتقدير المشيـر الأول أحمد باي الذي أنعم عليه بوسام الافتخـار ، وتوفّي سنة 1861/1277 . انظر ترجمته في الإتحاف ، 115/8.

(2) هو المشير أحمد باي الأوّل (تولّى الملك من 1837 الى 1855) .

(3) المقصود بالنظام ، وسام « نيشان الافتخار » ، وكأنّ الشيخ هنا يستنكره ؟ وفي المجمع 26 ب سمّـاه « زيّ النصارى » فلعـلّ هذا الوسام يقتضي لباساً إفرنجياً .

(4) مجمع ، 43 أ. والسّفينة : دفتر أو سجل أو مجموع أوراق ملفوفة تكتب عليها متون العلم والأشعار.

حرف الـدّال

18 ـ وقال قدّس سرّه العزيز ، مخاطباً الحضرة الإلاهية [بسيط][1] :

آرْحَمْ جنينيَ يا رحمان سائله ... وكم رَحِمْتَ ، ولم تُسْأَلْ ، بلا عددِ
هذا الظّلام سَجَا والنّاسُ قَدْ رقدوا ... وقد بسطتُ رجائي إذْ مَدَدْتُ يدِي
فاَجْمَعْ مُفَرَّقَ شملي بالحبيب فقد ... طال المَدَى ولهيبُ الهجر في كَبِدِي
ما خاب راجوك من قبلي فكيف أُرَى ، ... يا فائِضَ الجُودِ ، من جدواك لم أَرِدِ

* * *

19 ـ وقال رضي الله عنه وأرضاه [طويل][2] :

على باب خَيْرِ الخلق أوقفني قصدي ... لعلمي بأنّ المصطفى واسعُ الرفد
وقد جِئْتُهُ لَا عِلْمَ عندي ولا تُقىً ... ولكنّ كلّ الخبث يا سيّدي عندي
فيا مَنْ وجود الكائناتِ بأسرها ... به ، أتَرى غَيِّي ، وعندكمُ رشدي ؟
ونفحة جودٍ منك يا أَجْوَدَ الورى ... لَعَمرِيَ وَجْدُ مَا لَهُ بعدُ مِنْ فقدِ
5 توسّلت بالصّدّيق خلّك والذي ... مِراراً أتى التنزيل وِفْقَ الذي يُبْدِي
[11] / وعثمان ذي النّورين مَن حَيِيت له ... ملائك فآستَحْيَيْتَ من وجهه الوردي[3]

---

(1) التعطير ، 108/2 . وهذه المقطوعة مفقودة من المجمع .

(2) قال هذه القصيدة عند زيارة قبر الرسول (ﷺ). التعطير، 60/2 ومسامرات الظريف! 157/1 والمجمع، 5 أ .

(3) في المسامرات من حييت فاستحييت . وفي التعطير : من حيت فاستحت . وإنما يلمّح الشيخ الى منقبة من مناقب عثمان (رضه) يلخصها حديث الرسول ﷺ في شأن حياء عثمان : ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة ؟ (أسد الغابة رقم 3583) وانظر : مسند أحمد 71/1 و 155/6 .

وحمـزة والعبّـاس والصحب كلّهم ولا سيّمـا آلٍ خصـوصـاً ذوي وِدِّ :

أَبـا حَسَـنٍ بـابَ العلوم ومن أتى بنـوه بحُـوراً عَـذْبُهـا دائمُ المَـدِّ

بهم جئتُ يـا خير الـورى متوسّـلاً أرى أنّني ألْحَحْتُ في مطلبي جهـدي

10 وحـاشـا لـهم أنّي أَخِيبُ وقـد أتى بـأسمائهم نـظمي فـرائـدَ في عِقْدِ

أَدَرْتُ بهم أفْـلاكَ أمـري كمـا تَـرى بُـروجـاً ولكن كلُّهـا مَـطْلَعُ السَّعْـدِ

هُمُ حَسَنٌ ثـم الحسيـنُ ونـجـلُه عليُّ الـذي زان العبـادة بـالـزّهـدِ

وبَـاقِـرُ عـلم وهـو والـدُ جعـفـرٍ أبي الكـاظم القرم الهُمـامِ بـلا جَحْـدِ

عـليّ الـرّضـا ثم الجـواد محـمّـد عليّ التقى والعسكـريُّ أبـو المهـدي

15 وسيّـدنا المهـدي الـذي سوف تنجلي بـه ظلمات ٱلْجَـوْرِ والزّيْـغِ عن حـدِّ[1]

فهـا أنـا مُـذْلٍ يـا كـريمُ بجـاههم وحـاشـا لـهم أنّي أُقـابَـلُ بـالـرَّدِّ

وصلّى عـليـك اللّهُ مـا أنـت أهْـلُهُ وَسَلَّمَ تـسليمـاً تَـقَـدَّسَ عـن عَـدِّ

وآلـك والأصـحـاب طـرّا وتـابـع وبعـدُ فَذَا ذُلّي لجـدواك يَسْتَجْـدِي

***

20 ـ وقال نفعنا الله به شاكياً الجناب المصطفى ﷺ بتلميذه القاضي الشيخ محمد البحريِ بن عبد الستّار في حجّته الثانية رضي الله عنه وذلك عام 1837/1253 [طويل][2]:

(1) عدّد الشيخ في هذا التوسّل الأئمة الاثني عشر عند طائفة الشيعة الإمامية ، ممّا يضفي على المدحة نفحة شيعيّة ، ولكن توسّله بالشيخين ـ البيت 5 ـ وبعثمان ـ البيت 6 ـ يمنع من هذا التأويل . وقد كثر عند الشيخ تعظيم آل البيت ، وذكر السّبطين والأئمة من بعدهما ، ممّا يشعر بأن أهل تونس ، والمغرب بوجه عامّ ، يكنّون احتراماً خاصّاً لعترة الرّسول ﷺ وهم لا يزالون على ذلك .

(2) مسامرات الظّريف ، 193/1 والتعطير ، 136/1 والمجمع ، 5 ب . وانـظر تفاصيل الخصومة مع الشيخ البحري في الإتحاف ، 214/3 ، وفي مسامرات الظريف ، 191/1 ، وفي شجرة النور الزكية ، ص 388.

إلبــك رســولَ الله جئتُ من البُعْــدِ أبُثُّكَ ما بـالقلب من شدّة الـوَقْـدِ[1]

بـغى وطـغى مـستـكبـراً متشبـثـاً بِـوَهْمٍ يقـودُ النّفسَ للخـطإِ المـردي

وصـــار رقيبـــاً مبغضـــاً متجسّـــساً يُقَصِّرُ طـولَ اللّيـل بـالـردّ والنقـد

وعبدُكَ ـ يـا خيرَ البريّةِ ـ غـافـلٌ ظننتُ بـه خَيْـراً لِـمـا مـرّ من ودِّ

5 تــرفّــع للدّنيــا بخفضيَ جــاهــداً مُعَـانـاً بجهّـال عـريّين عن رشـد[2]

وبـالغ في خفضي إلى أن غـدا على لِســانِ الـورى يُتْلى بـلا جحـد[3]

[12] / ولم يَـرْعَ أيّـامـاً يـرانيَ شيخَـه ومُـرْشِـدَه الهـادي ومُنعِمَـه المُهْـدي

ولا خـاف لَوْمـاً في القـطيعـة لا ولا عِقاباً من المَـوْلَى على ناكث العهـد

فهـذا ، رسولَ اللّه ، إجْمَـالُ مَكْـرِهِ وتفصيلُه يـا سيّدي ليس في جهـدي

10 ألا ، يـا رسـولَ اللّه ، هـذا تـذلّلي إليـك فَخُذْ بـالثأر يـا منتهى القَصْـدِ

ألا ، يا رسولَ اللّه ، ضيفُـك سائـلٌ فهل ضَيْفُ أهلِ الجود يُكْرَمُ بالطّرد ؟

ألا ، يـا رسولَ اللّه ، بَـرِّدْ جوانحي بـدائـرةٍ تسعـى إليـه بـلا بُعْـدِ

عليك صلاةُ اللّه ، يا منتهى الرّجا ، وأزكى ســلامٍ دُونَـهُ فَـوْحَـةُ النَّـدِّ

[وآلــك والأصحـاب طـرّاً وتـابـع وبعدُ فذا ذلّي لجدواك يستجدي] [4]

* * *

21 ـ وقال رضي الله عنه وعنّا به، يمدح سلطان المشرق وصاحبه الغـازي في سبيل الله محمـود ، حين وفد عليـه بإسـلامبـول وذلـك عن إسقـاط الخـراج ، عـام 1838/1254 [بسيط][5]:

---

(1) في التعطير : « من ألم الوقد » .

(2) في المخطوط « بأنذال » ، وجهّال ، قراءة التعطير .

(3) في التعطير : رؤوس الورى .

(4) هذا البيت ختمت به أيضاً القصيدة السالفة ، وهو ساقط من المسامرات ومن التعطير ومُثبت في المجمع .

(5) مجموع ح.ح. عبد الوهاب 18841 ـ مجمع ، 16 أ ـ مسامرات الظريف ، 198/1 ـ الإتحاف ، 23/4 .

وقد أوفد المشير أحمد باي الأول إبراهيم الرياحي سفيراً الى الباب العالي السلطان محمود خان في إعفاء الإيالة التونسية من الضريبة السّنوية التي كانت مفروضة عليها للخزانة العثمانية .

آلعزّ بالله للسّلطان محمودِ | آبن السّلاطين محمودٍ فمحمودِ
خليفةِ اللّه ما أعلاه من شَبَهٍ | بآدم ونبيّ اللّهِ داوود[1]
من آل عثمانَ ساداتِ الملوكِ ومَنْ | جاؤوا كعقدٍ من الياقوت منضود
سادوا الأنام وشادوا الدين وافتتحوا | مِنْ كلّ ما فيه خَيْرٌ كُلَّ مسدود[2]
5 هُمُ السلاطين ما ذرّت ولا غربت | شمسٌ على مثلهم في نصر توحيد
وجاء سلطانُنا المحمود بَعْدَهُمُ | بكلّ رأي من الآراء مسعود
وربّما جهل الإنسانُ مقصدَه | فجاء فيه بِقَوْلٍ غَيْرِ مقصود[2]
لم يُعْطِهِ اللّه ملكا في خليقته | إلّا لمعنىً من الأغيار مفقود
دانت لدولته الأعناقُ خاضعةً | من كلّ ذي والِدٍ منهم ومولود
10 تخشى السلاطينُ من بُعْدٍ بَوادِرَهُ | لِمَا له من جلالٍ غَيْرِ مجحود
وكلُّ باشا وإن جلّت مكانتُه | فليس غير فتىً في الرقّ مصفود
يا عزّ دين الهدى إن يخش منقصة | بكلّ قَرْمٍ من الإسلام صنديد
وقوة من لدن ربّ العلا بهرت | برّاً وبحراً بنظمٍ غير معهود
آلْعُجْمُ تشهدها والعُرْبُ تعلمها | شرقاً وغرباً من البيضان والسّود
15 [أنت المُذِلُّ لِعُبّادِ الصّليب وإن | لوى الزّمان بإنجازٍ لموعود
لا يُخْلِفُ اللّهُ في نَصْرٍ مَوَاعِدَهُ | لكن إلى أجلٍ في العلم معدود][3]
أنت المُؤَمَّلُ في كلّ المُهِمّ فمَنْ | أتى لبابك قصداً غيرُ مطرود
وقد أَتَيْتُكَ من أقصى البلاد وفي | ظنّي الجميل بلوغي منك مقصودي
دامت معاليك للإسلام مَرْحَمَةً | وللطُّغَاةِ عذاباً غَيْرَ مردود

(1) في الإتحاف : « بالصّالحين وبالنبيّ داوود » .
(2) بيت ساقط من الإتحاف .
(3) بيتان ساقطان من الإتحاف .

20 بِحُرْمَةِ المصطفى أهدى الإلاهُ له أزكى تحِيَّتِهِ من غير تحديد
تَعُمُّ أتباعَه في الدين قاطبةً والخلفاءَ الى السلطان محمود

* * *

22 ـ وقال قدّس سرّه ، يصف بلاد اسلامبول [كامل] : [1]

بَلَدُ الخلافة في الجمال فريد ولِشأنِه عَرْضٌ مداه بعيد
مَنْ ظنَّ يُحْسِنُ وصفَه فكأنّما نَحْوَ الصّعودِ الى السّماء يريد

* * *

23 ـ وقال برّد الله ثراه ، وتغمّده برضاه ، مهنّئاً الأمير عثمان بالولاية ، وقد انعقدت له ليلة عيد الفطر من عام 16/1229 سبتمبر 1813 [طويل][2] :

لِباسُ هَنَا الدّنيا عليك جديدُ وكَيْفَ ويومَ لاح سعدُكَ عيدُ
ولِلّه فيما قد حباك لطائف قضت باقتراب الأمر وهو بعيد
يُساقُ إليكَ المُلْكُ عَفْواً وإنّما يُساقُ سرورٌ للأنام مديد
أتاكَ على طَوْعٍ لأنّك أهلُه وقد قال : ﴿ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾[3]
5 ولو زاغ لم يَمْجُدْ وجاءكَ راغِماً وأنتَ بكلتا الحالتين مجيد
وكيف يزيغ الملك عنك ، وأنت مَنْ له طارف في فخره وتليد ؟
[14] / جبينُك وضّاحٌ وكَفُّكَ وابِلٌ وسيفُك مرهوبُ الغرار حديد[4]
تَمايَلَ أملاكٌ مَضَوْا وثناؤُهم عظيمٌ على مرّ الزّمان يزيد
تَناسَقَ مولودٌ كريم ووالدٌ وعمٌّ وجدٌّ في الملوك فريد[5]

---

(1) مسامرات الظريف ، 198/1 ، والإتحاف ، 24/4 ، مجمع ، 17 ب .
(2) مجمع ، 19 ب . وانظر خبر ولاية عثمان باي في الإتحاف ، 91/3 . (16 سبتمبر ـ 21 ديسمبر 1814) .
(3) سورة قٓ ، 23 .
(4) الغِرارُ من السيف : حده .
(5) إشارة الى والد عثمان ، علي باي الثاني (تولّى الملك من 1759 الى 1777) ، وعمّه محمد الرشيد باي =

10 نِظامٌ تَوَدُّ الزُّهْرُ لو حَظيت به ... ويغبط فيه الدرّ وهو نضيد

ملوكٌ مضت وهي السّعود ولم يزل ... لنا مُسْعِدٌ من نَسْلِهِمْ وسعيد

فَلاَ بَأْسَ إذْ حمّودةُ البَدْرُ قد مضى ... فعثمان فيه المبتغى ومزيد[1]

مَليكٌ إذا أبصرتَ غُرَّةَ وجهِه ... كفاك الحيا من أن يقوم شهيد

تغار الجبال الراسيات لحمله ... إذا طاشَتِ الأحلام فهو وئيد

15 ويهتزّ للطّاعات والجودِ عِطفُه ... كما اهتزّ مشغوفُ الفؤادِ عميدُ

أَلَمْ تَرَ كيف اهتزّ للخبث مُسْرِعاً ... يبدّده عن أهله ويُبيد ؟

فأصبح ثغر الدّين من ذاك باسماً ... وشيطانُه في الخافِقَيْنِ طريد

وكَمْ منك للإصلاح في آلغيب مِنْ يَدٍ ... لنا من نداها مُبْدِيءٌ ومعيد

فإن سرَّت الخضراءُ منك بطلعةٍ ... فنورُك في أقصى البلاد وقيد

20 فلا زلتَ ملحوظاً بعين عنايةٍ ... ومُلْكُكَ بالنّصر العزيز أبيد

ولا زال نَجْلاَكَ المجيدان قُرَّةً ... وأنت بما في العالَمِينَ حميدُ[2]

* * *

24 ـ وقال قدّس سرّه ، مهنّئاً الأمير حمّوده باشا حين أتمّ وزيره يوسف صاحب الطابع بناء الجامع بالحلفاوين ، ومؤرّخاً وقت إتمامه [كامل][3] :

ذِكْرٌ جَمِيلٌ يُوسُفُ قد جَدَّدَهْ ... وذخيرةٌ في الصّالحات مُخَلَّدَة

ذا الجامعُ ٱلْحَسَنُ الذي هُوَ جنّةٌ ... لولا رسومُ الدّين فيه مُرَدَّدَة

= (1756-1759) وجدّه حسين بن علي مؤسّس الدولة الحسينيّة (1705-1735).

(1) إشارة الى شقيق عثمان باي وسلفه ، الأمير حمّودة باشا (1777-1814) .

(2) وهما الأميران صالح وعلي باي اللّذان قُتِلا إثر اغتيال والدهما في 21 ديسمبر 1814 ، آنظر الإتحاف ، 98/3-99 .

(3) التعطير ، 82/1 ـ وكنّش الطواحني 18763 والمجمع ، 18 ب . وقد أقيمت أوّل صلاة بجامع صاحب الطابع يوم الجمعة 12 ربيع الأول 1229/4 مارس 1814 ، آنظر : الإتحاف ، 59/3 ، وتاريخ معالم التوحيد (الطبعة الثانية) ، ص 212.

بيتٌ على التّقوى تـأسّس والهدى فَأَبُو المحاسِنِ بالرّضى ما أَسْعَدَهْ !

[15] 5/ ولكَم أتى فيمـا بنى بمحـاسنٍ جُمُـلٍ ولكنْ ذي محـاسنُ مفـرَدَة

مَـدَدٌ من الباشـا العـظيم جـرى لـه فـأتَتْ بــه منـه الأمـورُ مُسَـدَّدة

لا بَـلْ هــو آلْبَـانِي ولكن حبُّــه فَضْلَ الخفا في الخَيْرِ قد أخفى يَدَهْ

حمّــودةُ البــاشــا ومـا أدراك مـا مَـلِكٌ بــه نِـعَـمُ الإلاهِ مُـجَـدَّدَة

نـامت به الخضـراء في ظـلّ الهنا وغَـدَتْ لأجفـان العِـداءِ مُسَهَّـدَة

10 ولكم لـه من صـالحـاتٍ رُصِّعَتْ تـاجـاً على رأس الـزّمـان مُنَضَّـدَة

صُنْـعٌ به آبتهجت مـلائكـةُ السّمـا وغـدت بـه شِيَـعُ الأبـالس مُكْمَـدَة

يَهْنِي الورى وخصـوصـاً العُلَمـاءَ والـ صُّلَحَـاءَ أنـوارٌ لــه مُـتَـوَقِّـدَة

ما شِئتَ من علمٍ قبست ومن هُدىً يُهْـدَى بـه للّه مَـنْ قـد أيَّـدَهْ(1)

مـا شئت من آيِ الكتـاب وسُنَّـةٍ هــذي مُـسَلسَـلَةٌ وتـلك مُـجَـوَّدَة

15 يَهْـدِي المفسّـرُ والمحـدّث منهمـا لِـينَ الـفـؤادِ وأَدْمُعـاً مُـتَـبَـدِّدة

فـاللّهُ يَجْـزيـه الـرّضى ويُنِيلُهُ غُـرَفَ آلْجِنَانِ وثَمَّ يُـزلف مَقْعَـدَهْ

فـآشْكُـرْ لـه وآسْـأَلْ وَقُـلْ متعجّبـاً ومؤرّخـاً : للّه مـا قـد شيّـدَهْ(2)

1229

* * *

25 ـ وقال قدّس سرّه ، مؤرّخاً بناء السّقاية التي أنشأها الوزير المذكور داخل بـاب علاوة [كامل](3) :

---

(1) في المخطوط : « قبضت » .

(2) لله : (30+30 +5) . ما : (40+1) . قد : (100+4) .

شيده : (1000+10 +4 +5) . المجموع : 1229 .

(3) التعطير ، 72/1 والمجمع ، 24 ب ، وكنّش الطواحني 18763 ، وبـاب علاوة هـو بـاب من أبـواب مدينـة تونس ، يقع في الربض الجنوبي .

هــذا ســبــيــلٌ حــســنــه يــزداد ... وثــوابُــه يــومَ الــقــيــامــة زادُ
رِدْ منــه سلســالاً فُــراتــا ســائغــاً ... طُــهــراً ومنتــعِشــاً بــه الأكبــادُ
أجــراه يَــرْجُــو نَيْــلَ حُسْنِ ثــوابــه ... مَنْ في الــورى خُتِمَتْ بــه الأجــوادُ
ذاكَ الهُمامُ أبــو المحــاسنِ يــوسفُ ... مَنْ رُشْــدُهُ شهِــدتْ بــه الأضــداد
5 ذو طــابــع المُلْكِ الــذي عــزمــاتُــه ... لِــمُـهــنّــداتِ ســيــوفــه أغــمــاد
[مَلِكٌ جرى في الصّالحات إلى مدى ... تَــنْبَــتُّ دون بــلــوغــه الأقْــدَادُ(1)
[16] / ولــه من التّــوفيق أَطْــوَعُ ســاعــدٍ ... ومــن العنــايــة في المهــمّ سِنــاد
فــأتى بمــا أيّــامُنَــا بجمــالــه ، ... الــلّه يــعــلــم أنّــهــا أعــيــاد](2)
وتــقــلّدَتْ لــلملك مــنــه تــرائبٌ ... فــلســانــه لــصــنــيــعــه حَــمّــادُ
10 حمّــودةُ البــاشــا الــذي أخبــارُه ... يُهْــدِي اليــك عــطيــرَهــا التّــردادُ
فخــرت بــه الــدّنيا وكم للدّين مِنْ ... فَــخْــرٍ بــه إذْ قــام مــنــه عِــمَــادُ
هــذا السّبيــلُ وإن بَنــاهُ وزيــرُه ، ... فــيــه ومــنــه تَــيَــسَّــرَ الإمــدَادُ
فَهَبِ ٱلــدُّعــاءَ إذِ ٱنْتَهَلْتَ كُؤوسَــهُ ... إنّ الــدّعــاء من الــسّبيــل يُــرَادُ
وٱشْكُــرْ لِمَنْ أسدى إليك مُسَارِعاً ... إنّ الــمَــزِيــدَ لــشــاكِــرٍ يــنــقــادُ
15 وٱعجبْ لهــا إذ قــد أتى تــاريخُهــا : ... يَــحْيَى بِعَــذْب معينهــا الــوُرّادُ

1221

* * *

26 ـ وقال رضي الله عنه وعنّا ، مهنّئاً الأمير حسين باي ببناء ابنه المشير الثاني على

---

(1) الأقداد : جمع قِدّ وقِدّة أي الحبل والسّير من الجلد .
(2) الأبيات 6-7-8 ساقطة من التعطير .
(3) تضمين الآية : لئن شكرتم لأزيدنّكم (إبراهيم ، 7) .
(4) يستقيم الحساب باعتبار الياء الثالثة من يحيى ألفا .

ابنة شيخ الإسلام محمد بيرم الثالث في شعبان 1249/ جانفي 1834 [وافر][1] :

حُلُولُ السّعدِ في بُرجِ السّعادة زِفافُ البَيْرَميّةِ للسّيادة
بآمنِ طائرٍ وألذِّ عَيْشٍ وأرضى عند سيّدنا وَدادة[2]
غَدَتْ حوراء لولا أنّ فيها من الآداب والتّقوى زيادة
فيَهْنِينا وإيّاكُمْ سرورٌ نُرَجّي أن يُرَى كالعيد عادة
5 تبَسّم منه ثَغْرُ الدّين لمّا تَوَسّم من سعادته سدادة
وكم بقِلادَةٍ جيدٍ تحلّى ولٰكن ذا ٱلْبِنَا شَرَفُ القِلاَدَة
أسَرَّ العالمين سوى حسودٍ كوى بسعير محنته فؤادَه
وسار حديثُه في النّاس يُرْوَى عطيراً مسنداً عن كل سادة
سما فوق السّماء فلا عجيبَ لِغَيْظ البدر إذ أبدى سواده[3]
10 ومَنْ ظنّ الخُسوفَ بَدَا لِشرٍّ فَخَيْرُ الخلق قد ردَّ ٱعتقادَه[4]
[17] / أدام اللّهُ عزّهما وأمْناً من الحِدْثانِ لا نخشى نفادَه

* * *

27 ـ وقال تغمّده اللّه برضوانه ، مخاطباً شيخ الإسلام محمّد بيرم الثالث بشأن مسألة دارت بينهما [وافر][5] :

أَحَطْتُ بما بعثتَ إليّ خُبْراً من الصُّوَرِ المُدَارةِ كالقِلاَدَة

---

(1) التعطير ، 128/1 والمجمع ، 21 أ . وحسين باي الثاني هو ابن محمود باي (تولّى الملك من 1824 الى 1835) والمشير الثاني هو محَمّد بن حسين باي (1855-1859).

(2) وَدادة بالفتح أحد مصادر وَدَّ .

(3) « صادف ليلة الزفاف خسوف القمر » ، التعطير ، 127/1 .

(4) حديث الخسوف : « إن الشّمس والقمر لا يخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته » (اللسان : خسف) .

(5) التعطير ، 109/2 ومجموع ح.ح. عبد الوهاب ، 18841 ، مجمع ، 44 أ .

فكـان الـرّأيُ أن لا خُلـفَ فيهـا لِمَـا تحويـه من حُسْنِ الإجادة[1]

فـلا زلـتـم مـنـاراً فـي رشـادٍ ولـكـن غَـيْـرَ مـخـتـصـرِ الإفـادة

* * *

28 ـ وقال قدّس سرّه ، مجيباً العلاّمة الشيخ عبد الشكور المدني عن قصيدة مدحه بها في سفره لحجّته الأولى عام 1241/1826 [طويل][2] :

أَلَـذُّ سـرورِ المـرء مـا لم يكن وعـدا كما أَسْعَدَتْ بالوصل بعد الجفا سُعْدَى[3]

تبـدّت بمجمـوعٍ من الحسن فـاتـنٍ على أنّـه في جـمعـه لـم يـزل فـردا

أَلَمْ تَـرَ وَجْهـاً مـا حـوى من طـلاسمٍ لحيـرة ألبـاب الـورى عُقِدَت عقـدا

فمن صـورةٍ لَوْ نَـالها البَـدْرُ في الدّجى أو الشّمسُ مـا آنستَ من أَحَـدٍ رشـدا

5 ومن وجنـةٍ أبـدى الحَيَـا طيبَ رَشْحِهـا كـأنّ من الخَـدَّيْنِ تستقـطرُ الـوردا

ومـن مقلـةٍ تـروي أحـاديثَ بـابـلٍ على أنّ في أجفـانهـا صـارماً هِنْدا[4]

ومـن حـاجـب هـو الـهـلال وإنّـمـا اليـه سرى غُنْجٌ من آلجفن فـآسْـوَدَّا[5]

ومـن مـبـسـمٍ ، واحـرَّ قـلبـيَ دُرّة حـواهـا وإن كـانـت لنـائلِهـا وِرْدَا

فشكـل كمـا راقت صيـاغـة خـاتم وثغـر يغـار الـدُّرُّ من حسنـه نَضْـدا

10 وطيب حـديث كلّمـا نَطَقَتْ بـه فمـا هـو إلاّ الـدرُّ في جيدهـا عِقدا

وريـق يهبّ الـمسـك منـه كـأنّـه رحيقُ حبـاه اللّه مَنْ سكـن الخُلْدَا

وجيـدُ غـزالٍ تـحـتـه خَـيْـزُرَانَـةٌ تقُـدُّ النُّهى قـدّاً لِـذَاكَ سَمَتْ قَـدّا

---

(1) في الديوان : لا خلاف والإصلاح من المجمع .

(2) مجمع ، 30 ب ، وقال في التعطير ، 101/1 : « طالعها البيت الآتي ولم أظفر بغيره :

دنت بَعْـدَ بُعْـدٍ طـال مـدّتـه سُعْـدَى تـجـدّد من مُـضـنـى مُتيَّـمِـهـا عَـهْـدا

(3) في المخطوط : سعدت . . . سعدا .

(4) لم يسمع هند في الصفات .

(5) الغُنج والغناج : دخانٌ لتسويد الوشم (اللّسان) .

أتتني بـذاك الحسنِ كَمْلاً تقـول لي : إليك أبي هذي المحـاسن قد تُهْـدَى[1]

[18] / فقلتُ : أَبَعْدَ الشَّيب أَهْوَى وقد مضى لنـا من لذيـذ العيش مُـورِقُـهُ الأنـدى ؟

15 إذِ الأنس ممـزوج الكؤوسِ بِكـل مـا أسـاء الهـوى والـدّهـر مُمْتَثِلٌ عَبْـدَا[2]

نَـجُـرُّ ثـيـاب الأمــن فـوق مَجَـرَّةٍ ونـرتشف الأوطـار من عصرنـا شَهْـدَا

فـأمّـا وقـد طـار الشّبـاب ولم يَـدَعْ لَـدَى وَكْـرِهِ إلاّ أسىً يلتـظي وَقْـدَا

فـكيـف وِصـالُ الـغـانيـاتِ ودُونَـهُ نِصـالُ الشّبـاب أَرْهَفَتْ للّقـا حـدًّا

فـقلتُ : أَلَـمْ تعـلم بـأنّي لَـقِيتُ مَنْ تُسـاق الأماني [للذي مقـرع وجدا][3]

20 فقـالت : أَعَبْدُ اللّه ذاك الـذي سَمَا فـلا تَفْتح آلأبصـارَ في غَيْـرِهِ زُهـدا

فقلت : نعم هـو الـذي أتعب العـدا لغضّ مـزايـاه فلم يبلغـوا قصـدا[4]

* * *

29 ـ وقـال قـدّس سرّه ، يـرثي صديقـه الـوزيـر محمـد العـربي زرّوق الشريف[5] [كامل] :

لا بـدّ من سكنى القبـور فـريـدا يَـا مَنْ يُـؤَمِّـلُ أن يعيش مـديـدا

هـل هٰـذه الأرواح إلاّ جـوهـرٌ أَبَـداً يُـرَى بِيَـدِ الحِمَـامِ نضيـدا

لَـوْ أنَّ ذَا شَـرَفٍ وعِـزِّ مـكـانـةٍ ينجـو نَجَـا هـذا الـوزيـر محيـدا

هـذا الهُمَـامُ محمّـدُ العـربي الـذي جَـمَـعَ السّيـادة طـارفـاً وتليـدا

5 قـد كـان للتّـدبيـر قُـطْبَ مـدارة وبـرأيـه دار الـزّمـان سـعـيـدا

---

(1) كَمْلاً ، مخفّف كمَلا بالفتح أي كاملا .

(2) في المخطوط : بِكُلّما في كلمـة واحدة مـع كسر البـاء . وفي التعطيـر 102/1 والمجمع ، 31 أ : فكلمـا أساء . وأساء في كليهما نابية عن السياق .

(3) إكمال من التعطير ، ولا يتّضح له معنى .

(4) في التعطير : لفظ . وفي المخطوط والمجمع ، 31 أ : لبعض .

(5) مات مقتولاً في صفر 1238/ أكتوبر 1822 ، انظر الإتحاف ، 130/7 . والمقطوعة في المجمع ، 26 أ .

مـلأ البسيـطةَ صِيتُـهُ ولَكَـمْ لـه خضع الأفـاضِـلُ رُكَّعـاً وسُجُـودا[1]

مـا قال كـان ، وكـلّ مـا لم يَـرْضَـهُ ـ هيهـات ـ كـان مِنَ الوُجود بعيدا[2]

كَمْ قـد أحـاط بـه سُـرَادِقُ عِـزّه وعليـه كـان من الـورى محسـودا

ثـمّ آنْـطَوَى فـي قَـبْـرِه فكـأنّـه سيفٌ غـدا فـي جفنـه مغمـودا

10 فـآرْحَمْهُ يـا أَهْـلَ المـراحم فهـو فـي تـاريخـه : وافى عُـلاك شهيدا[3]

1238

* * *

30 ـ وقـال قدّس سـرّه ، مجيزاً الشيخين المـدنيّين أحمد صـويمع وصـاحبه سـالم السرسي في حجّته [طويل][4] :

حَمـدْتُ إلاهي وهـو مستـوجب الحمـد على نِعَمٍ جلّت عن الحصـر والعدّ[4]

[19] / وأُهـدِي سلامـاً مَعْ صلاةٍ الى الذي أتى مُـرسَـلاً بـالحقّ للحـرّ والعبـد

ولـلآل والأصحـاب طـرّاً وكـلّ مَنْ تَقَفّـاهُمُ يسـري على السّنن الـرشـد[5]

وبَعْـدُ فـإنّي قـد أجـزتُ لأحـمـد صويمعٍ المعروفِ كلَّ الـذي عندي

5 أذنـتُ لـه فـي ذاك إذْنـاً مُـعَـمّـمـاً على شرطه المعهـود بين أولي العهد[6]

كـذا الفاضـل السـرسيُّ سـالمٌ الـرّضى أذنـتُ لـه إذنـاً عـمـيـمـاً بـلا ردِّ

وأسـأل ربَّ العـرش أن ينفـع الـورى بعلمهمـا المحمـود والفـوز بـالقصـد

(1) في المخطوط : « سيطة » .

(2) في المخطوط : « وكلّما » في كلمة واحدة .

(3) الحرف الأخير من وافى قدّر ياء ، قيمتها 10 . ورأينا منذ قليل أنّ الياء قد تُعتبر ألفاً .

(4) التعـطير ، 102/1 ، ومجمـوع ح.ح. عبد الـوهاب 18841 ، ومجمـع الدواوين 31 ب ، وفيـه : أحمـد صويبع .
وفي التعطير : جلّت على .

(5) في التعطير سيراً عن . وفي المخطوط : عن عوض على .

(6) في التعطير : « أولى الرشد » .

وأوصيهما أن يلبسا حُلَلَ التُّقى فعلم بلا تقوى كنَحْلٍ بلا شَهْدِ[1]
وَصَلِّ إلهي بُكْرَةً وَعَشِيَّةً على المصطفى والآل مَعْ كِلّ ذي وِدِّ
10 ولله حَمْدٌ دائمٌ ، وأَجَلُّ ما به تَخْتِمُ الأنظامَ خاتمةُ ٱلْحَمْدِ

* * *

31 ـ وقال رضي الله عنه يصف ليلة أنس سامر فيها الشيخين محمّد ماضور وصديقه الأكتب محمد المسعودي ، ومجيباً الأوّل عن أبيات في ذلك المجلس [طويل][2] :

تلقّيتُ من أخباركم كلَّ طُرفةٍ أنظّمها في جيد أسمارنا عِقدا
وكنتُ بتشنيف المسامع أكتفي وأُكْبِرُ بشّاراً بما قاله جهدا[3]
ولمّا نما شوقي وزاد تولُّهي سَرَيْتُ لكم ليْلاً أَبُثُّكُمُ وَجْدَا
وما كان لي هادٍ سوى نُورِ حُسْنِكُمْ إليكم فلم أعدَمْ بقولكُمُ رشدا
5 وحيث الى المسعود كانَ انتهاؤُنا زجرتُ فكانَ الزّجرُ يستنتج السّعدا
فَبِتُّ وما ليلي سوى لَمْحِ بارِقٍ وإن طال من دهري تنفُّسُهُ الصّعْدَا

* * *

32 ـ وقال قدّس سرّه العزيز ، مجيبا عن قرظ قصيدة كان قد مدحه بها بعض تلامذته حين ختم مختصر السّعد في علم المعاني والبيان [كامل] :

---

(1) في التعطير : « حلّة » .

(2) مسامرات الظريف ، 222/1 ومجموع ح.ح. عبد الوهاب 18841 والمجمع ، 45 ب . ومحمد ماضور عالم وأديب أصيل بلدة سليمان ، له ديوان شعر مخطوط . توفّي سنة 1812/1226 . أنظر ترجمته في الإتحاف ، 59/7 . ومحمد المسعودي كاتب وأديب ، تقلّد عدة مناصب رسميّة منها قلم الإنشاء في عهد حمّودة باشا . توفّي عن سنّ عالية سنة 1847/1263 . انظر ترجمته في الإتحاف ، 64/8.

(3) يشير إلى قوله : « والأذن تعشق قبل العين » .

زارت على خَفَرٍ وحسنِ تردّدٍ ... فقضت بتقطيع الجوانح واليَدِ
آنَسْتُ إذ قد آنَسَتْ من لطفها ... سحرَ العقول وفتنةَ المتعبِّد
[20] / وعلمتُ منها أنّ منزلَ بابِلٍ ... دون المنازل في فؤاد محمّد[1]
لا تعجبوا لو تسمعون كلامها ... لرأيتُكُمْ في الرّاكعين السُّجَّدِ[2]
5 أنزلتُها وَسَطَ السّوادِ ودُونَها ... قدراً ومنزلةً مجاري الوُقَّدِ[3]
ونعمتُ منها بانتقال مودّة ... تزدادُ باقيةً بقاءَ السَّرْمدِ
منّي السّلام على الأعِزَّةِ قَوْمِهَا ... أبداً ولو كَرُبَتْ قلوبُ الحُسَّدِ

* * *

33 ـ وقال تغمّده الله برحمته ، مؤرّخاً المسجد الذي أنشأه محمّد الصغيّر الأندلسي بتستور ، سنة 1812/1227 [كامل][4] :

آنْظُرْ له نوراً بدا مشهودا ... يأوي له رجلٌ غَدَا مسعودا
في ظلمة الأسواق لاح كأنّما ... نَشَرَ الصّباحُ على الظّلام بُنُودا
يا رنّةَ الشّيطانِ منه إذا النّدا ... نادى فولّى خاسِئاً مطرودا
وغنيمةَ السُّعَدَا إذا لم يُلهِهِمْ ... شَيْءٌ فَلَبَّوْا رُكّعاً وسجودا
5 قَرَّتْ به لذوي الدّيانة أَعْيُنٌ ... وغدا به حزبُ الشّقا مفؤودا
للّه أسّسه الذي هو آمِلٌ ... أنْ سوف يُحْرِزُ أَجْرَهُ الموعودا
رَبِحَتْ تجارتُه فأنفق فَانِياً ... لينالَ في دار النّعيم خلودا[5]

---

(1) في المخطوط : المنزل وقحدد ، والتصويب من المجمع ، 43 أ .

(2) نقل بيت كثير عزّة (ديوانه ، 441) :

لو يسمعون كما سمعتُ كلامها ... خرُّوا لعزّة رُكّعاً وسجودا

(3) الوُقّد : النجوم الوقّادة .

(4) التعطير ، 77/1 ، مجمع ، 42 أ . وتستور ، هو مسقط رأس الشيخ إبراهيم الرياحي .

(5) الفاني : المال ، الذي لا يدوم .

فَلِمِثْلِ هذا الصُّنْعِ تستبق النّهى وعليه تنفطر الكِرَامُ كبودا

فاقْبَلْهُ من بانيه يا رَبَّ الورى مَنْ لا يُخِيبُ لآملٍ مقصودا

10 وأَجِبْ بفضلك دعوتي إذْ قلتُ في تاريخه : جازى الصغيّر جودا[1]

1227

* * *

34 ـ وقال قدّس سرّه ، يرثي الشيخ سيدي محمد البشير الزّواوي رحمه الله [كامل][2] :

هذا ضريحُ يَا لَهُ من مشهدٍ غَربَتْ به شمسُ البشيرِ محمّدِ

آنظرْ له ماذا حوى من بهجةٍ وسنا بأنوار الهدى متوقّد

لم يخلُ بعد الشّيخ من عِلْمٍ ولا تقوى كأنّ بشيرَه لم يُفْقَدِ

[21] / ذاك الذي لَبِسَ التصوّفَ حليةً أَوْلَتْهُ في التّسليك أصدقَ مقعد

5 وهو الذي لا وِرْدَ يعذب شربُه إلاّ له منهنّ أعذب مَوْرِدِ[3]

وهو الذي لا مَنْ رآه فلم يقل ما مثله من ناسكٍ مُتَعَبِّدِ[4]

سَلْ عنه مكّة والمدينةَ كم طوى بِخُطَى المطيِّ إليهما من فَدْفَدِ

وَسَلِ العُفَاةَ ببابه كَمْ فاض مِنْ سَيْبٍ تلاطم مثل بحرٍ مُزْبِدِ

[من عصبةٍ نطق الكتابُ بطُهرِهم ودعا الى تعظيمهم بِتَوَدُّدِ

10 آلِ الرّسول السّادةِ الأشرافِ مَنْ وَرِثوا السّيادةَ سيّداً عن سَيِّدِ

---

(1) في التعطير : « جاز » ، وهو لا يوافق رقم التاريخ .

(2) هو العالم العابد الشيخ محمد البشير (أو الباشير) الزّواوي الشريف . لازمه الشيخ إبراهيم الرياحي وأخذ عنه في أوّل عهده الطريقة الشاذليّة . وقد جاء في الإتحاف (147/7) أنه توفّي « يوم السبت السادس عشر من شوّال سنة 12/1242 ماي 1827 ودفن بزاويته المشهورة » . وفي تعطير النواحي أنّه توفّي سنة 1243 .

(3) في التعطير : « مشربا » .

(4) بيت ساقط من التعطير :

زانتهُمُ التّقوى وكلُّ فضيلةٍ وبفِضّةٍ فخر السّوارُ وعَسْجَدِ
مَنْ مِثْلُهم فَضْلاً وكُلُّ مُوفَّقٍ بِهُدَاهُمُ في نَيْلِ فَضْلٍ يغتدِي
لا تعجَبُوا إنْ قَدْ سَمَا أبناؤهم في المَكْرُمات الى محلّ الفرقدِ
مثل الونيس السيّد المفضال مَنْ بلغ المنى في سرّه المتفرّد[1]
15 لمّا مضى جاء البشيرُ بإثره نوراً به باغي الهداية يهتدِي
رائيه يذكر ربّه عن غفلة وفؤاده يَحْيَى بقولٍ مرشدِ
ولكم دعا فَٱنْقَادَ صَعْبُ مقاصدٍ بدعائه ولغيره لم يَنْقَدِ][2]
شاعت مكارمُه وفَاتَكَ عَدُّها إنْ رُمْتَ إحصاءَ النجوم فَعَدِّدِ
فَٱقْصدْ زيارتَه بقلبٍ خالصٍ وَٱدْعُ الكريمَ فإنّه بالمرصد
20 لا غَرْوَ ان قد قلتُ فيه مؤرّخاً : « بحماه لُذْ فلك المنى بالمقصد »[3]

* * *

35 ـ وقال رضي الله عنه ، يرثي الأميرة عزيزة ابنة محمود باي ، زوجة سليمان كاهية [كامل][4] :

أَكْرِمْ بها من روضةٍ لرُقادِ سَمَّوْهُ رَمْسَ عزيزةِ الأجوادِ
بنتِ الملوك الصّيد ساداتِ الورى وكريمةِ الآباء والأجداد
نَشَأَتْ بعزٍّ باذخٍ وجرت على سُنَنِ الصّوالح منهج العُبّاد

---

(1) سيدي الونيس عمّ الشيخ البشير الزواوي ، له مقام مشهور بمقبرة الزلّاج ، الإتحاف ، 145/7 .
(2) الأبيات من 9 إلى 17 ساقطة من المخطوط .
(3) في التعطير ، عوض هذا البيت الذي يساوي 1284 في شطر التاريخ ، بيت آخر يساوي شطره 1242 » :
وٱسمع لسان الحال فيه مؤرّخاً : « من لاذ بي فله الهناء بمقصد »
وهو أقرب لتاريخ 1245 الذي ذكره صاحب الإتحاف . وفي المجمع ، 40 أ : فلك الهناء والمجموع: 1250.
(4) مجمع ، 23 أ . ومحمود باي هو ابن الأمير محمد الرشيد باي (تولّى الملك من 1814 الى 1824) . وسليمان كاهية له ترجمة في الإتحاف (39/8) ، وقد جاء فيها أن الباشا محمود قد صاهره على بنته ليلة ولايته في المحرّم 184/1230 وبنى بها في دولته .

لم تَـأْلُ في صَـوْمٍ وفي ذكـرٍ وفي صَـدَقـاتِهـا رِيُّ الفؤاد الصّـادي

5 أَحْنَى على الفقـراء والّـلاجي لهـا مـن ذاتِ إشْـفَـاقٍ عـلى الأولاد

لم يَثْنِهـا عِـزُّ الملوك عـن التُّقَى وتـزَوُّدٍ مـن هـذه لـمـعـاد

رَبِحَتْ تجـارتُهـا فبـاعت فـانيـاً بشـريف مـا يبقـى بغيـر نفـاد[1]

ومَضَتْ الى حُسْنِ المـآبِ وخَـلَّفَتْ حُسْنَ الثّنـا يُتْلَى كمـا الأوراد

وعيـونُ مَنْ كـانـت تُفِيضُ عَلَيْهِمُ فـاضت بـذاك الفَيْضِ من إرْفـادِ

10 لا غَـرْوَ أنّ اللّه يُسْعِـدُهـا بمـا قـد قـدَّمَـتْـهُ بصـادق الميعـاد

فَلِذَا بحسن الـظنّ قـلت مؤرّخـاً : قـد أسعـدت ولهـا الهنـا بمـراد

1255

* * *

36 ـ وقال تقبّل الله عمله ، يرثي الشيخ علي مقدّم الطريقة الشاذلية عام 1812/1227 [كامل][2] :

[22] / حُكْمُ المنيّـة ليس بـالمـردود مـن والـدٍ سِيدٍ ولا مـولـودِ[3]

الكـلُّ يـدركـه وَلَـوْ مَنْ كـان في بُـرْجٍ بمـا يحمي البـلادَ مَشيـدِ

مـا هـو إلاّ الأَجْـرُ يـومَ الحشـر عن عَمَـلٍ تُسَـرُّ بـوجهـه المسعـود

فـتـزَوَّدِ التّـقـوى فـإنّ وَلِيَّـهـا أكْـرِمْ بـه مـن سيّـدٍ محـمـودِ

5 وآجْعَـلْ محبّتَـكَ الصَّـلاحَ وأهلَه سببـاً لنَيْـلِ الفـوزِ والمقصـودِ

لا سيَّمـا قُـطْبَ الأنـام الشـاذلي فهُـو الذي ضَمِن النّجـا لمُـريـدِ

ولـذاك أصبحتِ الـوفـود ببـابـه يـرجُـون من جـدواه فَيْضَ الجـودِ

---

(1) صدر هذا البيت مضى لفظا ومعنى في القصيدة 33 (البيت السابع) .

(2) مجمع ، 41 ب . والطريقة الشاذلية : نسبة الى الوليّ الصالح أبي الحسن الشاذلي (1197-1258).

(3) السِّيد بالكسر : الأسد والذئب . أو لعلها مخفّفة عن السيّد بالتشديد .

ولـكَـم أبـو حَـسَـنٍ عـليٌّ راح فـي   مـرضـاتـه وغَـدَا بـقـلبٍ ودودِ

ولـكَـم تـلا أورادَه وأدارهـا   صـهـبـاءَ تـشـفـي عـلّةَ الـمـفـؤود

10 ثـم استـجـاب لـربّـه لـمّـا دعـا   وثـوى لـحكـم اللّه تـحت لـحـود

فـمتـى تَـزُرْهُ فَقُـلْ وأنـت مؤرّخ :   « أَسْكِنْهُ في الفردوس منزلَ جودِ »[1]

1227

---

(1) هذا الشطر يوافق التاريخ المذكور 1227.

حرف الـرّاء

37 ـ قال قدّس سرّه في بعض التجلّيات له [طويل][1] :

لقد كنت قدماً قبل أن يُكْشَفَ الغطا إخَالُكَ أنّي حامدٌ لك شاكِرُ
فلما تجلّى الأمرُ أصبَحْت مُوقناً بأنّك مذكورٌ وذكرٌ وذاكرُ

* * *

38 ـ وقال رضي الله عنه يمدح سلطان المغرب مولاي سليمان العلوي حين وفد عليه بفاس [كامل][2] :

إنْ عزَّ من خير الأنام مَزارُ فلنا بِزَوْرةِ نجله استبشار
أَوَليس نور المصطفى بجبينه كالشّمس يُظهِرُ نُورَها الأقمارُ ؟
فَاشْفِ الغليلَ بقربه فلطالما شطَّ المزارُ وعاقت الأقدارُ
وآحفَظْ جفونَك من سَناهُ فإنّه ببريقه تُتَخَطَّفُ الأبصارُ
[23] 5 / وإذا أناملُه الِّلطافُ لَثَمْتَها فَحَذَارِ من غَرْقٍ فهنّ بِحَارُ
وآفْخَرْ على كلّ الملوك بِلَثْمِهَا ما بعده للمستعزّ فخار

---

(1) مجمع ، 2 ب ، التعطير ، 109/2 ، وفيه : لقد كنت قبلا قبل أن . . .

(2) في سنة 1217 « احتبس الغيث ووقع قحط شديد » بالبلاد التونسيّة ، فأوفد الأمير حمّودة باشا الشيخ إبراهيم الرياحي الى المغرب سنة 1218 (أوائل 1804) ، لطلب الإعانة (الميرة) من السلطان مولاي سليمان . وقد مدحه الشيخ بهذه القصيدة التي ورد نصّها الكامل في مسامرات الظريف (165-164-163/1) وفي تعطير النواحي (23-22-21/1) وفي المجمع ، 11 أ . كما نشر ابن أبي الضياف مقتطفات منها في الإتحاف (76-75/7) . وكذلك الناصري السلاوي في الاستقصاء ، 118/8.

وٱنْبُذْ بفخر ٱبن الخطيب فإنّما — لابن الخطيب بفخرها المعشار[1]

شتّان بين ٱبن الرسول وغيْره — أَوَ يستوي لَيْلٌ دَجا ونَهَارُ ؟

هذا يزينُ الشّعرَ طيبُ مديحه — حُسْناً وذاك تزينه الأشعارُ

10 هذا الخليفة وٱبنُ أَكْرمِ مُرْسَلٍ — وسليلُ من فَخَرَتْ به الأعصارُ[2]

وخلاصة الأشراف والخلفاء مِنْ — بيت البتول ومَنْ حواه إزارُ[3]

وأعَزُّ وارثِ مُلْكِ إسماعيلَ مِنْ — بطل شذا عزماته معطار[4]

وأجَلُّ سلطانٍ وأَكْرَمُ مالك — شَرُفت بملك يمينه الأحرار

وأحقُّ مَنْ تحت السّماء بأن يُرى — مَلِكَ البسيطةِ ، والورى أَنْصَارُ

15 لكن إذا كلُّ القلوب تُحِبُّه — فلغيره الأجسام وهي نِفارُ

هذا سليمان الرّضى بنُ محمّدٍ — مَنْ أشرقَتْ بجبينه الأنوارُ

هذا الذي ردّ الخلافة غضّةً — وسما به للمسلمين منارُ

وأعزَّ دينَ الله فهو بشكره — في أَيْكِها تترنّمُ الأطيارُ[5]

وحَمَى حماه بفصله وبنصله — وهُوَ الذي يُحْمَى لديه منارُ

20 فلسانه يومَ الجدال صوارمٌ — وسِنانُه يوم الكريهة نارُ

بمعارف وشهامة علويّةٍ — من قبل أَرْهَفَ حدَّها الأخطارُ

تخشى الضّراغمُ بأسَهُ في غابِها — وتصاغَرُ الأبطالُ وهي كبارُ

---

(1) يعني لسان الدين ابن الخطيب ، وكانت له في ملوك المغرب أمداح .

(2) في الاستقصاء : « وسليل مَن تمطى له الأكوار » .

(3) في الاستقصاء : « وحبّذا الأطهار » . والبتول ، فاطمة الزهراء ، وأصحاب الإزار أو العباء فيما مرّ ، أو الكساء ، هم العترة النبوية (الرسول وفاطمة وعليّ والسبطان) .

(4) في الاستقصاء : « وأجلّ . . . شذا أخباره . . . » .

(5) هنا ينتهي نقل الإستقصاء .

ويخـاف صَوْلَـةَ عَدْلِـه الدَّهْـرُ الذي مهمـا يجـرْ يـومـاً فَنِعْـمَ الـجـارُ
وهـو الـذي يُـرْجَى لكـلّ ملمّـة ضـاقت بحمـل ضئيلهـا الأقـطار

25 وهـو الـذي يُسْعَى اليـه إذا دجـى لَيـلُ الخـطوب وسـاءت الأفكـار
[24] / كمجيئِنـا نسعى إليه وقـد سـطا جَـدْبٌ وعـمّ جـمـيـعَـنـا إضْـرَارُ
عِـلمـاً بـأنّـا إنْ رأينـا وجـهَـه زال الـعـنـا وتـزحـزح الإعـسـار
مَـوْلىً رأى الـدنيـا بمُقلةِ زاهـدٍ ودرى بـأنّ جـمـالَـهـا غـرّارُ
فـرمى بهـا مُتَنـزِّهـاً وكـذاك مَنْ كـانـت كِـرَامَ أصـولـه الأطـهـار
30وتخيَّـر الأخـرى بـهمّـة عـارفٍ لـم يُـرْضِهـا دون الـجِنـان قـرارُ
فَـرِحَتْ به الأخـرى كما صَلُحَتْ بـه الـدّنيـا فـطاب لأهلهـا استقـرارُ
عَـمَّ الـبـريَّـة حِـلْمُـهُ وحـيـاؤه وتـواتـرت بـسـخـائـه الأخـبـارُ
مـع مَـا لَـهُ من مستلذٍّ شمـائـل نمّت بـطِيبِ نـسيمهـا الأزهـارُ
إنْ تَـلْقَـهُ لاَقَـيْـتَـهُ مُـتَـهـلِّلاً ولـه إلـيـك هـشـاشـةٌ وبِـدَارُ

35 مـتبَسِّمـاً يـجلو الـظّلامَ جبينُـه مـسـتـبـشـراً تُـجْـلَى بـه الأكـدارُ
مِنْ عُصْبَـةٍ ورثـوا العُـلاَ وتناسقـوا فيهـا كمـا انتسقت بهـا أسطارُ
وتسـابقوا في المَكْـرُمـاتِ فلن تـرى منهـم سـوى مَنْ فضلُه مـدرارُ
صُـلَحَـاءُ أبـرارٌ أمـاجـدُ سـادةٌ عُـلَمَـاءُ أخـيـارٌ تـلت أخـيـارُ
خُـلَفَـاءُ أشـرافٌ كِـرَامٌ قـادةٌ سُـرُجٌ بهـا للمهتـدي استبصـارُ
من كـلّ أحـزم يتّقيـه حِـمـامـه شـاكي السّـلاح لـه اليقين دِثـارُ
دَرِبٍ على طعن الأبـاهـر والكُـلَى وعليـه للحـرب العـوان مـدارُ[1]
قِـرمٍ الى نهب النّفـوس إذا سـطا فَـطِوَالُ آمـال الـعـداء قـصـارُ

---

(1) الأباهر : عروق العنق . والكُلى جمع الكُلوة أو الكُلية .

شَــدّ الإلَــهُ بـهم مَـعَـاقِـدَ دينِـهِ والـلّه جـلّ لـديـنـه يـخـتـارُ

45 وأعــزّهم بعــزيــز نـصـرتـه الـتـي رُعْـبُ القـلوب أَمَـامَهَـا سَـتّـارُ

أَفَمَـا رأيتَ الـكُفْـرَ ذَلَّ لـعـزّهم ، وسـنـانُـه لِـسِـواهُـمُ خـطّارُ

[25] / تهـوى المشارقُ أن تكـون مغاربـاً لـيَعُـمَّهـا فـي الملتجين جِـوارُ

وتنـال من عـزّ الشّـريف كما رَأَتْ إنْ كـان فـيـهـا لـلخـلافـة دارُ

ردّ الــزّمـان لـصـدره فـكـأنّمـا الـ ـفـاروقُ بـيـن ظـهـورنـا أَمَّـارُ[1]

50 العــدلُ يُبْسَطُ والنّفـوس سَـوَامِـحٌ والـدّيـن يـظـهـر والـعـلوم تُـدَارُ

والنّـاس في رَغَـدِ الحيـاة بجنّـةٍ تجـري لهـا من تحتهـا الأنـهـارُ

فَلْيَـذْكُـرُوا النِّـعَمَ الـتي عَـمَّتْهُـمُ الـلّهُ يـعـلم أنـهـنّ غِـزارُ

وَلْـنَسْـأَلِ اسْتِمْـرَارَها بـبـقـائِـهِ فـبـقـاؤه لِـصَـلاَحِـنَـا آسْـتِـمْـرَارُ

آالــلّه يُـبـقِـي نَـصْـرَهُ مـتـأيّـداً فـي عــزّةٍ خضعت لـهـا الأقـدارُ

55 ويُـديمُ أمـلاكُ السّمـاءِ تَحُـوطُـهُ بِعِنـايَـةٍ شِـيـدَتْ لهـا آلأسْـوَارُ

والأرضُ قبضـة راحتَيْـهِ وأختهـا مِـنْـهـا لَـهُ تـتـنـزّلُ الأسـرارُ

مـا دُمْـتُمْ يـا أهْـلَ بَيْتِ مـحمّـدٍ حَـرَمـاً يـطوف ببيـتـه الـزُوّارُ

أوْ مـا تَـرنّـمَ مُنْشِـدٌ بِجَـلاَلِكُـمْ وتَـزَيَّـنَـتْ بِـحُـلاَكُـمُ الأذكـارُ

ثـمّ الـصّـلاة عـلى الـنـبيّ وآلِـهِ مـا نـاف لي بمـديحكم مِقْـدَارُ[2]

* * *

(1) الفاروق : هو سيّدنا عمر رضي الله عنه .

(2) ناف : ارتفع وعلا .

39 ـ وقال مهنّئاً حمّودة باشا بالجامع الواقع بالحلفاوين حين أتمّه وزيره [يوسف صاحب الطّابع] عام 1814/1229 [طويل] :

أهنّي بهذا الجامع الشامخِ القَدْرِ ... جمالَ العُلا حمّودةَ النّافذَ الأمر
أميرٌ إذا عُدَّ المُلُوكُ رَأَيْتَهُمْ ... نجوماً وكان البدرَ في وسط الشّهر
ولا عَجَبٌ إذْ فاقهم وَهْوَ مِنْهُمْ ... فإنّ اللّيالي بعضُها ليلةُ القدر
لـه المأثراتُ الغُرُّ والهمّةُ التي ... غَدَتْ في التعالي دُونَهَا رِفْعَةُ النّسر
5 وقد أنبأَتْ آثارُه عن عُلُوّها ... ومَنٌّ بتلك المعبدُ الواضحُ الفخر
تعلّقت الآمال منه بوضعه ... فباشر من واد تنفيذ ذا الأمر[1]
وما كان يُعْزَى في الأمور لِتَابِعٍ ... فذلك للمتبوع حقّاً بلا نُكْرِ
[26] / فَمَنْ هَنَّأَ المولى بِمَكْرُمَةٍ أتى ... بها، مَجْدُه يَبْقَى الى آخر الدّهر
وَحُقَّ عليها منه لمّا تَوَضَّحَتْ ... جلالتُها قِسْطٌ عظيمٌ من الشّكر
10 أطال إلاهُ العرش في العز عُمْرَهُ ... ووفّقه للخَير في السرّ والجهر
وما غاب عنّي أنّ سَعْيِيَ واجبٌ ... لهذا الهنا لكنّني بَيِّنُ العُذْرِ[2]

* * *

40 ـ وقال قدّس سرّه ، مؤرّخاً بناء الدّار التي أتمّها حسين باي ، وأنشدها على لسانها [طويل] :

حقيقٌ بأن أَسْمُو على منكب الشِّعْرَى ... لمَا أنتَ رائيهِ من الطّلعة الغرّا[3]

---

(1) بياض في المخطوط والإكمال من المجمع ، 18 أ مع عسر في القراءة .

(2) في المجمع : وكان الشيخ [الرياحي] مريضاً .

(3) مجمع ، 20 ب .

وكيف وحُسْنٌ من حُسَيْنٍ لبستُه   وآياتيَ الكبرى وتاريخيَ : البشرى[1]

* * *

41 ـ وقال رضي الله عنه مهنّئاً الوزير باش مملوك ببنائه على ابنة حسين باي عام 1833/1249 [كامل] :

ماذا أسرَّ من السّرور مُبَشِّري   أنْ قد تَواصَلَ زُهْرَةُ والمُشْتَري
قد طار من طَرَبٍ فؤادُ راسخٌ   ما كنت أَحْسِبُهُ يطير لمعتري
ما ذاك غير صبابة بين الحشى   فنسيمُها بِأَقَلِّ داعٍ ينبري
قُلْ للحسين مُهَنّئاً : يا نِعْمَ ما   ظَفِرَتْ يمينُك من مُنَاكَ بِكَوْثَرِ
5 يُمْنٌ وإقبالٌ وكلُّ سعادة   جاءتك بالوجه المنير الأقمر
حسنا بها حابى حسين قاصداً   إظهار حُبٍّ في الجوانح مُضْمَرِ
أبقى عليه الله سابغَ سِتره   وأدام عزّك في رضاء الأكبر[2]

* * *

42 ـ وقال تغمّده الله برحمته ، ناظماً مزايا أهل الحديث [كامل][3] :

أهلُ الحديث طويلةٌ أَعْمَارُهُمْ   ووجوهُهُمْ بِدُعَا النّبِيِّ مُنَضَّرة
وسمعتُ من بعض المشايخ أنّهم   أَرْزَاقُهُمْ أيضاً به مُتَكَثِّرة

* * *

43 ـ وقال عَمَّهُ الله برضوانه ، مخاطباً تلميذه شيخ الإسلام أحمد عارف ومستعيراً منه

---

(1) « البشرى » تساوي تاريخ 1234 أو تاريخ 1243 . ومن المعلوم أن حسين باي الثاني قد وُلِدَ في سنة 1198 هـ/ 1784م وارتقى الى العرش في سنة 1239هـ/ 1824م وتوفّي سنة 1251 هـ/ 1835م .

(2) الإكمال من المجمع ، 25 ب .

(3) التعطير ، 109/2 ، مجمع ، 47 أ . والبيتان يتندّران بهم في الظاهر .

الجواهر الخمس ، وهو إذْ ذاكَ باسلامبول عام 1838/1254 [مخلّع][1] :

يـا عـارفـاً مـنـه فـاح عَـرْفٌ   في أنف أهـل الـوجـود عَـاطِـرْ
لـولـم تـكـن فـي الـعلوم بَـحْـراً   لَمْ نُؤْتَ من عنـدك الـجـوَاهِـرْ[2]
[27] فَـوَفِّ بـالـوعـد مَـعْ رسـولٍ   أتـاك ، إنّـي بـذاك شـاكِـرْ

* * *

44 - وقال رضي الله عنه ، مهنّئاً القاضي الخطيب الشيخ عمر المحجوب بخطّة القضاء عام 1802/1217 [طويل][3] :

علـى قَـدَرٍ وَافَتْـكَ عَـالِيَـةَ الـقَـدْرِ   ويـا طالمـا حنّت الى وجهك البـدري
وساعـدهـا بَخْتٌ ولـولاه مـا اهتـدت   الى أن ترى شمسا على صفحـة الدّهـرِ
وذلـك لـمّـا آن لـلحـقّ نُـجْـحُـه   وللدّين مـن صَـدْعٍ لـه أيّمـا جَبْـرِ
ولـلـعـدل إسـعـادٌ ولـلـعلـم دَوْلَـةٌ   ولـلشّـرع إعـزازٌ تَيَسَّـرَ مِنْ عُسْـرِ
5 ولـلخـطّة الشمّـا خـلافـة أحـمـد   مسيـر على حمـدٍ ووقف على شكـر
أليست من الـشيـخ الإمـام تـمسّكتْ   بعُـروتـه الـوثقى ومعقِله الـوَعْـرِ ؟
أَلَـمْ تَـأْوِ من دون الأنـام إلـى حِـمَـى   أبي حَفْصٍ المحجوبِ ذي العزّ والفخر ؟
إلـى عُمَـرَ الأزكـى فِعَـالاً ومحتِـداً   الى واحـد الدّنيـا جميعا بـلا نُكْـرِ

---

(1) مسامرات الظريف ، 202/1 ومجموع ح.ح. عبد الوهّاب 18841 ومجمع ، 18 أ . والشيخ أحمد عارف تولّى مشيخة الإسلام في الآستانة وتوفّي سنة 1859 (أعلام الزركلي ، 138/1) .

(2) « الجواهر الخمس في الحروف والأسماء » ، هو كتاب في التصوّف من تأليف الغوث الهندي وهو محمد ابن خطير الدين بن بايزيد العطّار (أعلام الزركلي ، 347/6) .

(3) التعطير ، 17/1 مجمع ، 32 أ . والشيخ عمر المحجوب هو عالم وأديب تونسي تولّى الإمامة والتدريس بجامع الزيتونة ثم تقدم لخطة القضاء بالحاضرة وأقيل منها قبيل وفاته سنة 1222هـ / 1807م . له ترجمة في الإتحاف ، 52/7.

أَمَـا إنّـه النِّحـريـرُ والجهبذُ الـذي ... بـه عَجُـزُ الأَعْصَـارِ رُدَّ الـى الصّـدر

10 معـاليـه في نحـر الـزمـان قـلائـدٌ ... معـانيـه أزهـارٌ على أوجـه الـزهـر

فـلا نُـورَ إلاّ من مصـابيـح علمـه ... ولا نَـوْرَ إلاّ مـن سحـائبـه الغُـرّ

شـمـائِـلُ آبـاءٍ كِـرَامٍ وإخـوةٍ ... فِخَـامٍ فَيا فَخْـراً أُضِيفَ الى فخـر !

خِـلاَلٌ تخيّـرت الأمْجَـاد مَـوضعـا ... فكـانـوا لهـا دُرّاً على وجهها الـدرّيّ(1)

خـلائِقُ في سـود اللّيـالي تبلّجت ... بـه الملّةُ البيضـاءُ بـاسمـةَ الثّغـر

15 تَـوارَثَـهـا مـنـهـم ولـيـدٌ وَوَالِـدٌ ... عن الـوالِـدِ المبـرور والـوَلَـدِ البَـرِّ

عن الـدّوحـة العليـاء والسّـرحـة التي ... تنسّم رِيُّ الفتح عن زهرهـا العطري(2)

عن المصـطفى المختار أكـرم والـد ... حباهم بمـا معنـاه لم يَجْـرِ في فِكْـرِ

وحسبـك مـا قـد ذاع من عِلْمِ قـاسم ... وقُـلِّدَ من فـخـر وفُجِّـرَ مـن بَـحْـرِ(4)

[28] / ومهّـد مِنْ مَجْـدٍ وجـدّد مِنْ هُـدًى ... وأوْسَـعَ من فضـلٍ وأورث مـن ذكـر

20 فمن كـان مـرتـابـاً فهـذا محمّـد ... إلى ضـوءه تعشـو البـدور إذا تسري

ويُشْـرِقُ في وجـه الـشريعـه نُـورُه ... ويُغْنِي ظَـلامَ اللّيـل عن طلعـة الفجـر

ويمسـح أجفـانـاً مِنَ الحيف جُـرِّحت ... ويكشف عن حقٍّ من الجهـل في سَتْـرِ

الى مَـالَـهُ ممّـا لَـوِ الـدّهـرُ حـاسبٌ ... وقـد رام إحصـاءً لمـا جاء من نـزر(4)

كَمَـالُـكَ يـا معنى المديـح وقصـدَه ... ومَنْ وَصْفُـهُ يُهْدَى الى الشّعـر والنّثر

25 وَمَنْ بَـارَكَ المولى على الـدّهـر كُلِّهِ ... بخـطّتـه الميمـونـة السرِّ والجهـرِ

---

(1) بيت ساقط من التعطير . وفي المخطوط : الأماجد .

(2) في التعطير : « والسدّة التي . . . » .

(3) قاسم والد الشيخ عمر المحجوب وكان « إمام العصر ومرجع الفقه المالكي » ، الإتحاف ، 52/7 . وفي التعطير : « وفخر على فخر » .

(4) بيت ساقط من التعطير ، وهو بعدُ غامض .

وَمَنْ نَشَرَ الرّحمانُ من رحماته   علينا به ما لم يكن قَبْلُ في نشر
وَمَنْ سطعت بَيْضا دلائلُ يُمنه   فأصبحتِ ٱلغبراءُ في حُلَلٍ خُضر
فَيَهْنِي الورى عَيْشٌ بعيشك أَرْغَدُ   وإسْعَادُ دَهْرٍ عن سعودك مفترِ
وعِزٌّ وتأييدٌ بكلّ عناية   وَأَمْرُكَ مَسْمُوعٌ وَعِزُّكَ في نصر

* * *

45 ـ وقال قدّس سرّه ، مجيباً العلاّمة الشيخ محمّد بن الفقيه السّلاوي عن أبيات اعتذر له بها في ترك الزيارة من أَلَمٍ ألَمّ به عام 1804/1218 [كامل][1] :

روحي فداك من الملّم المعتري   ولَوَ آنّهُ يُبْتاع كنتُ المشتري
وأنا الذي بتخلّفي أصبحتُ في   نَدَمٍ ، فيا ويلاه إنْ لم تَغْفِرِ !
يا خَيْرَ مَنْ حسد العقودُ قريضَه   فتناثرت منها صِحَاحُ الجوهر
وأجَلَّ مَنْ دان القريضُ لطبعه   وبنثره سَحَرَ النّهى إنْ يُنْثَرِ
5 وأرقُّ مِنْ ساري النّسيم إذا آنبَرى   لُطْفاً وأَسْوَغُ مِنْ زُلال الكوثر
أعني الهُمَامَ ابنَ الفقيه محمّداً   شيخَ الهُداةِ وقِدْوَةَ ٱلمستبصر[2]
وَمَنِ ٱلعلومُ بنقده وذكائه   تزهو على الحور الحِسَانِ وتجتري[3]
الدّرس لا يَهْوَى سوى تقريرِه   وسواه لا تَهْوَى مراقي المنبر
[29] / وإذا لِثَامُ الجهل غطّى مشكلا   كشف اللّثَامَ عن الجبين المسفِر
10 ببراعةٍ من دونِ نَيْلِ أقلّها   حربُ البسوس وهَوْلُ يوم المحشر

---

(1) ألقى الشيخ إبراهيم الرياحي هذه القصيدة في بيت السيّد محمد القرشي بسلا ، وذلك أثناء زيارة الشيخ إلى المغرب سنة 1218 (تعطير النواحي ، 34/1 ومسامرات الظريف ، 177/1 ، مجمع ، 27 أ) .
(2) القدوة بالتثليث والقدية : الأسوة ، وما يُتَسَنّن به .
(3) أي : وتجترىء .

يـا عـاذلي في حبّـه قَصِّرْ فمـا ... أنـا عن هـواه المستلَذّ بِمُقْصِرِ
مـا كنت فيـه مُقلِّداً غَيْـرَ الـهـوى ... فَـأَطِلْ مـلامك بعـد ذا أو قَصِّرِ
إن كنتَ تسمـعُ مـا سمعتُ فـانّني ... من حسنـه أبصرتُ مـا لم تُبْصِـرِ
تُسليـك منـه فكـاهـةٌ فكـأنّهـا ... راحٌ بـراحـة أغيـدٍ مُتَـبَخْـتِرِ
15 ليس الغـريبُ بـأنسـه في غُـرْبَـةٍ ... بـل مَنْ بـرؤيـة وجهـه لم يـظفـر
حيِّي معـاهـدَ أنسـه بـرقُ الحيـا ... وسَقَى سَلاَ صوبُ الأغـرّ المُمْطِرِ
بَلَدٌ بـه سـطعت لـوامـع نـوره ... فَغَـدَا بِوَجْـهٍ ضـاحـكٍ مُسْتَبْشِـرِ
لا زال منه الغـربُ مَشْـرِقَ شمسِـه ... وسَـلاَ بـه أبْـهى وأبْـهَجَ مـنـظر
وعليـه من مَـحْضِ الـودادِ تحيَّـةٌ ... أذكى من المسـك العتيق وعـنبـر
20 مـا قـال ذو وَجْـدٍ بحبّـك داعيـا : ... روحي فـداك من الملمّ المعتـري

* * *

46 ـ وقال[1] رضي الله عنه مهنّئاً ومؤرّخاً مولودا [في سنة 1208] سُمِّي زين العابدين [وافر] :

أحَـاديثُ السّـرور لهـا انتشـارُ ... وأركـابُ الهنا بـالبشر سـاروا
فـلا قـلبٌ تـقـلّبـه هـمـومٌ ... ولا جـبـرٌ يكـدّره آنـكسـارُ
وروضُ الـدهـر تُضْحِكـه طيورٌ ... يحـرّكهـا الى السّجـع آدّكـارُ
وصـار الكونُ ذا طَرَبٍ فَـأَبـدى ... عجـائبَ ما لنـا عنهـا آصـطبارُ
5 فقلنـا : مـا لِـدُنْيانـا آستنارت ... وصـار بها لـدى النّـاس آعتبارُ ؟
فقـالـوا : كيف يَخْفى عنك أمرٌ ... جَهَـالَتُـه على الإنسـان عَـارُ ؟
أتـى من أهـل بيت اللّه نَجْـلٌ ... بـه لـلدّين يَـرْتـفـع آلـمنـارُ
سِـرَاجٌ لـلبـريّـة غَيْـرُ طَـافِي ... وعـزٌّ لـلبـريّـة وآفـتـخـارُ

---

(1) مجمع ، 42 ب .

. . . .   فـوافى والعلومُ لهـا آنـتشـارُ[1]

10 ولا تَعْجَبْ إذا مـا آلأَصْـلُ بـاهى   بِـفَـرْعٍ منـه تُـقْتَـطَفُ آلـثّمـارُ

فتىً مـن رشـده لـم يَـرْضَ إلاّ   بِـأَنْ يُـنْـمَـى الى بَـيْـتٍ يُـزَارُ

لـه فـي النّـاس آيـاتٌ تـبـدّت   عِـظامٌ مـا لِجُمْلَتِهـا آنـحصـارُ

فبُشْـرَاكم وبشرى النّـاس طُـرًّا   أَيـا مَنْ في الكمـال لَهُمْ يُشَـارُ

بمن حـازَ الـعُـلاَ عَمًّـا وخـالاً   وطـاب لـه على النّـاس النِّجارُ

15 وَإذْ حـاز الـمـكـارم أرّخـوه :   « بـزَيْن العابـدينَ نمـا فَخَارُ »[2]

* * *

47 ـ وقال قدّس سرّه مجيباً تلميذه العدل الشيخ محمّد الحشايشيّ عن أبيات زفّها له مع ابنه عثمان ، حين ختم على الشيخ المكودي [كامل][3] :

حلّيت جيـداً عـاطـلاً عـن درّه   بـمـدائـح جلّت عُـلىً عَـن قـدره

لـولا عـراقـةُ طيبِ أَصْلِكَ لم أكن   ممّن تـهبّ علـيـه نسـمـة عِـطره

من أين لي وَصْفُ الكمال ، وَفَضْلُكُمْ   يَـرْويـه كـلُّ مُحَدِّثٍ عن بحـره ؟

وَكَفَـاكُمُ آلشّـورى إذا لـم يَـكْفِكُمْ   بَيْتُ، كتـابُ اللّه جـاء بِـطُهْـرِه[4]

5 فـلكم مـودّتُـنـا ولكـن صَـفْـوُهـا   قَصْـرٌ على عثمـاننـا في عـصـره

فله الـرّضى من ربّنـا ولـه الـهنـا   وبـلوغُـه مـا يَـرْتجي مـن دهـره

---

(1) الصدر ساقط من المخطوط ومن المجمع ، 42 ب .

(2) الحساب يفضي الى سنة 1208 .

(3) مجمع ، 45 أ ، التعطير ، 138/2 ومجموع ح.ح. عبد الوهـاب 18841 (بيتان فقط) . والعـالم الفقيه محمد الحشايشيّ تولّى فيما تولّى قضاء الفريضة . وتـوفّي سنة 1821 ، الإتحاف ، 125/7 . والمكودي (ت 807) هو صاحب شرح الألفيّة .

(4) من هٰذا يفهم أنّ الحشائشي من الشرفاء آل البيت .

واللّه يمنَحُه العلومَ بأسرها ويسرّه برقائقٍ من سرّه

* * *

48 ـ وقال رضي الله عنه مجيباً الشيخ العلاّمة محمّد بن الشيخ صالح الكوّاش عن مطلب مع ابنه أبي بكر [طويل][1] :

لِطُلاّبٍ ما تهوى النفوسُ مذاهبُ ومن مذهبي في نَيْلها طاعةُ الصّبر
وحيث ، أبا بكر ، جُعِلْتَ وسيلةً فما خاب مطلوبٌ وفيه أبو بكر

* * *

49 ـ وقال[2] شكر الله سعيَه يذمّ شهود الوثيقة [بسيط] :

[31] / قد نال ذلك أقوامٌ مُجَلْمَدَةٌ لا يكسبون لَعَمْرِي قدرَ قطميرِ
وناب عن قُبحِ آدابٍ ومعرفةٍ بِيضُ الدّراهم أو صُفْرُ الدّنانير

* * *

50 ـ وقال رحمه الله ورضي الله عنه مضمّنا [طويل] :

وإنّي وإنْ رَامَ العداء مهانتي بإفْكٍ لَبَدْرٌ في الظّلام يُنِيرُ
وما قولهم إلاّ طنينُ ذبابةٍ « أطنينُ أَجْنِحَة الذُّبَابِ يَضِيرُ ؟ »[3]

* * *

---

(1) مجمع ، 45 ب . والشيخ محمّد الكوّاش كان مدرّساً بجامع الزيتونة ، وتوفّي بالطاعون سنة 1817 (الإتحاف ، 105/7) .
(2) مجمع ، 45 ب .
(3) البيت الشاهد صدره : « فدع الوعيد فما وعيدك ضائري » (البلاغة الواضحة لعلي الجارم ، (201) ، وهو من الكامل ، خلافاً لنظم الشيخ . ونسبه الهادي حمّودة الغزّي : الأدب التونسيّ . . . 240 الى أبي تمّام ، ولم نجده في ديوانه ولا في أخباره . والبيتان في التعطير 72/1 ، ولكنّهما مفقودان من المجمع .

51 ـ وقال رضي الله عنه يرثي الوزير شاكير الكبير [كامل][1] :

هذا مَآلُ الحيّ ِ من كلّ الورى   فٱنْظُرْ له ببصيرة كيما تَرَى
هذا ضريحُ حَلَّهُ شاكِيرُ ، مَنْ   هصر المنى والعزّ غُصْناً مُثْمِرَا
يا كَمْ علا عند الملوك مكانةً   وَلَكَمْ حَلاَ بين البريّة منظرا
ثم ٱسْتَجَابَ حمامَه لما دعا   وبباب ذي المِنَنِ الجزيلة قد عرى
5 فَٱدْعُ الإلَه وقُلْ وأنت مؤرّخ :   « ضيف ببابك لاح مُرْتَجِيَ ٱلْقِرَى »[2]

* * *

52 ـ قال قدّس سرّه يرثي شيخه المفتي الخطيب العلاّمة الشيخ سيدي الطاهر بن مسعود ، أسكنه دار الخلود [كامل][3] :

كَأْسُ الحمام المرّ دائرْ   لم يَأْلُ في شقّ المرائرْ
آلى بصدق ألِيَّةٍ   يسقي الأوائل والأواخر[4]
لو كان يسلَم فاضلٌ   لأقام في النّاجين طاهر
ذاك الإمامُ المرتضى   حاوي المآثر والمفاخر
5 مِنْ خَفْقِ نُورِ أسرّة   طلعت به حَسَنَ السّرائر
وشمائلٌ نبويّةٌ   ريح الصّلاة بهنّ عاطر
جَرَحَ القلوبَ مُصَابُه   ما كان يجرح بالمنابر
يا جامع الزّيتونة الـ   ـبَيْتَ العتيقَ أأنت صابر ؟

---

(1) الوزير محمّد شاكير صاحب الطابع مات مخنوقا سنة 1253 (الإتحاف ، 28/8) .
(2) مجموع حروف الشطر لا يوافق تاريخ 1253 ، حتى إنْ عوّضنا لاح بجاء . وفي المجمع ، 25 ب و 40 ب (مكرّرة) كتب التاريخ رقماً : 1241.
(3) التعطير، 92/1، مجمع، 36 ب . والشيخ الطاهر بن مسعود تولّى التدريس بجامع الزيتونة والمدرسة السليمانية، وقد كان الشيخ ابراهيم الرياحي من أبرز تلاميذه. كما تولّى الإمامة بالجامع الأعظم عوضاً عن الشيخ عمر المحجوب. وتوفي في صفر 1234 / ديسمبر 1818 (الإتحاف ، 108/7) .
(4) الأليّةُ : القسَمُ .

[32] / وسراجُك الوهّاجُ قد نقلوه عنك الى المقابر

10 مَنْ كان فيك يقُومُ مِنْ تعليمه نشر العنابر

من كان فيك علومه تجلو بِصَيْقَلِهَا البصائر

إن قال : قال اللّه ، فالـ كشّاف للأسرار حاضر

أو قال : قال المصطفى ، فـآسْمَعْ الى تلك الجواهر

أو قال : مذهب مالك بُهِتَ المُسَلِّمُ والمُنَاظِر

15 لهفَ المدارس والمسا جد والمنابر والمحابر

عطّلتها فبمن تُرَى يا نَجْلَ مَسْعُودٍ عوامر ؟

لَهَفُ الأنام مُضَاعَفٌ ولديّ حَظٌّ منه وافر

لكن يُهَوِّنُ بَعْضَهُ رضوانُ أنت اليه صائر

خلّفت حَمْداً ناصعاً ووجدت ما تهوى الضّمائر

20 يا زائرا يَهْنِيكَ ما قد نِلْتَ ممّن أنت زائر

آبْشِرْ وَسَلْ ما تبتغي فاللّه جلّ عليه قادر

وآعجب لقول مُؤَرِّخٍ : تبكي السّماء لفَقْدِ طاهر[1]

1234

* * *

53 ـ وقال رضي الله عنه يرثي المفتي الخطيب الشيخ أحمد البارودي ، وكانت وفاته في 22 من شهر شوال 7/1229 اكتوبر 1814 [كامل][2] :

عِشْ ما تشاءُ لذاذةً وحبورا إنّ القصورَ ستستحيلُ قُبورا

(1) في المخطوط : لموت . والإصلاح من التعطير ومن المجمع ، ويوافق الحساب .

(2) الشيخ أحمد بن حسين البارودي من كبار علماء جامع الزيتونة ، تولّى التدريس ثم الفتوى والخطابة بجامع باردو ، انظر ترجمته في الإتحاف ، 86/7 .

يـا غـافـلاً لـم ينتبـه لِـمُـذَكِّـرٍ أَفَمـا كفى داعي المنونِ نَـذيرا ؟
كـم مـن رفـيـع فـي أسِـرَّةِ عِـزِّهِ خـفضـوه فـي ذلّ الـتّـراب أسـيـرا
وَبِـمَـوْتِ أهـل العـلم أبـلغُ واعظ يهـدي الى كـون الـحيـاة مـرورا
5 وبهـا اَعْتَبِرْ فضـريحُ أحمـدكم طُوِي بِـمُـغَـيَّـبٍ فـي طَـيِّـهِ مـنشـورا
[32] / غـرَبَـتْ لِبـارُودِ يِّهِنّ محـاسن يـا طـالمـا أَشْـرَقْنَ فيـه بـدورا
قـد كـان في وجـه المحافـل غُـرَّةً وعلى المنـابـر قُسَّهـا المشهـورا
ولـطالمـا قَـرَعَتْ زواجـرُ وَعـظِهِ صُمًّـا ومـاذا قـد شـرحن صـدورا
أمّـا إذا يـتلو الـكـتـاب فـإنّـه يهـدي لأَمْـوَاتِ القلوبِ نشـورا[1]
10 عَظُمَ المُصابُ به وأحرى مـذهب الـ ـنّعمـانِ إذْ لهُـدَاهُ كـان نصيـرا[2]
ركـدت ريـاح زئـيـره فـكـأنّـه ما كـان ليثـاً في الـرّجـال هَصورا
إنْ يَمْضِ فهـو سبيلنـا وَمَنِ آلـذي كَتَبَتْ لـه يُمْنَى الـخلود ظـهيـرا[3]
لبّى الـمُنَـادِيَ واستجـاب لـربّـه يـرجـو رضـاه وفَضْلَهُ المـوفـورا
يـا رَبِّ حـقِّقْ فيـه قَـوْلَ مؤرّخ : ألقـاه وجهـك نضـرة وسـرورا[4]

1229

* * *

(1) هذا البيت ساقط من المخطوط ، وهو من مجموع ح.ح. عبد الوهّاب ومن المجمع ، 38 ب .
(2) الشيخ البارودي تركيّ الأصل ، فكان حنفيّ المذهب .
(3) الظهير : المرسوم السلطاني ، والكلمة بهٰذا المعنى مغربيّة خاصّة .
(4) يوافق حساب الجمّل تاريخ 1229 ، إذا ما أسندنا الى التاء من « نضرة » عدد الهاء : 5 .

حرف الـزّاي

54 ـ وقال قدّس سرّه ، مخاطباً شيخ الإسلام محمد بيرم الثالث ، في شأن العدل الشيخ منصور الورغمّي ، على أن لا يلزمه لبس الملّوسة ، حين أمر العدول بلبسها [كامل][1] :

كَبُرَت عليهم إنها لكبيرةٌ	منصوبَةٌ عَلَماً على التمييز
فتفرّقوا أيدي سبأ في حملها	والخُلْفُ بين النّاس غير عزيز
فعلى فريق مِنْهُمُ هي مُثْلَةٌ	ولبعضهم زُلفى الى التبريز
أما بنو ورغمّة فَفَقيهُهُمْ	لم يَجْر مَذْهَبُه على التجويز[2]
5 فلذاك أمَّ حِمَاكَ عِلْماً أنّ مَنْ	يأتيه في حِرْزٍ هناك حريزِ
فَأَجِرْهُ من هَمْزٍ ومن لَمْزٍ بها	ما حالة الملموز والمهموز
لا زلتمُ كهفاً يُلاَذُ بمجدكم	فينال فوق القصد كلَّ عزيز[3]

* * *

---

(1) التعطير ، 96/1 ومسامرات الظريف ، 223/1 والمجمع ، 43 ب . والملّوسة عمامة كبيرة من أصل تركي يختصّ بلبسها رجال الشرع وبعض العلماء .

(2) ورغمّة هي قبيلة في الجنوب الشرقي من البلاد التونسيّة .

(3) فأجابه شيخ الإسلام بقوله :

يا أيّها العَلَم الذي حسناته	شرفت بطلعتها على الإبريز
وجّهت لي دُرَراً يُضيء بحسنها	أهل الصّياغة من أولي التبريز
فعرفت مطلبَها ، ونَيْلُ مرامها	سهلٌ يمينَ اللّه غير عزيز
فعليه تأخير العمامة برهةً	حتى يكون القول في التمييز

(التعطير ، 96/1) .

55 ـ وقال قدّس سرّه العزيز مورياً بالطّبوع [وافر][1] :

[34] / غَـزَالٌ خـدّه غنّى « حُسَيْنَـاً » وعـارِضُه تـرنّمَ « بـالحجـازِ »

« صبا » « عشّاقه » لحنين « رَصْدٍ » فـأصبح « بـالنّوى » فيهم يجـازي

أعـرّفـه الحقيقـةَ من غـرامي فَـيَعْـدِلُ للكنـايـة والمجـازِ

* * *

(1) مجمع ، 6 ب . والطّبوع هي المقامات الموسيقية من أصبهان وحسين وعشّاق وغيرها .

حرف الكــاف

56 ـ وقال قدّس سرّه يمدح المشير الأوّل أحمد بـاي ، حين أجرى المـرتّب لأهل المجلس الشرعي المالكي من دار الباشا ، وذلك عام 1840/1255 [طويل][1] :

جَبَـرْتَ بـإحسـانٍ لمـذهب مَـالِـكِ ... قلوباً كَوَاهَـا ٱلْكَسْرُ ، يـا خَيْرَ مَـالِكِ

ومـا جَبْـرُهـا نَيْـلُ الحُـطَامِ وإنّمـا ... بتنوير لَيْـلٍ من دُجَى ٱلْحَيْفِ حَالِـكِ

تَـدَارَكْتَ تفـريـطاً من النّاس غَفْلَةً ... وَكَمْ لَـكَ من رأيٍ عـزيـزِ المـدارك

فَسَـوَّيْتَ مـا بين الأفـاضـل رُتْبَـةً ... فَهُمْ من بِسـاط العـدل فـوقَ أرائـك

5 أتَيْتَ بمقيـاسٍ عـزيـزٍ تبـاشَـرَتْ ... بفـرحتـه الأرواحُ من كـلّ نـاسـك

يمينـاً لَـوِ ٱلنُّعْمَـانُ قُـرِّرَ عـنـده ... لَقُـرَّ بِـهِ عَيْنـاً ولست بـآفِـكِ[2]

جـرى لَبَنٌ من ثَدْيِ أَحْمَـدَ فارتـوى ... بـه حـنفيٌّ في الإخـاء ومـالـكي

بمـا أَوْدَعَ الرَّحْمَـانُ فيه ، ومـا يُـرَى ... لِسَيِّـدِنـا البـاشـا بـه من مُشارِكِ[3]

أدامَ لـنـا المـولـى سَعَـادَةَ جَـدِّه ... بـوجهٍ وجيـهٍ بَـاسِمِ الثّغرِ ضَـاحِـكِ

10 وأيّـامُـهُ يُـرْوى صَحِيحُ حـديثِهَـا ... عن العـزّ عن نَصْـرٍ لـه مُتـدَارِكِ

* * *

---

(1) مجمع ، 21 ب ، التعطير ، 155/1 والإتحاف 53/ . وقال ابن أبي الضياف مشيراً إلى قرار المشير أحمد بـاي الأوّل : « جعل لعلمـاء المالكيّـة مرتّبـاً مع الجنـد النّظامي ، مثـل مرتّب الفقهـاءِ الحنفيّة مـع جنـد الترك ، دفعاً لما عسى أن يُتَوَهَّم من الحيف في عدم التسوية » .

(2) أي أبو حنيفة النّعمان الذي تنتسب الى مذهبه العائلة الحسينيّة وجند التّرك عامّة .

(3) سقط هذا البيت من التعطير وثبت بالإتحاف .

57 ـ وقال رضي الله عنه وأرضاه مهنّئاً شيخ الإسلام محمد بيرم الثالث بزفاف ابنته للمشير الثاني محَمّد باي [ابن حسين باي] في شعبان من عام 1249 / جانفي 1834 [وافر][1] :

سلامٌ طَيّبٌ كالمسك صَائِكْ   على العَلَمِ الشّهير وَمَنْ هُنَالِكْ

ولِلّه الذي هنّاكَ حَمْدٌ   على تيسيره صَعْبَ المَسَالِكْ

[35] / فإنّك قد رَكِبْتَ من المعالي   فنوناً غير صاحبِهنّ هَالِكْ

فقمتَ لها قيامَ ذوي آهتمامٍ   لَهُمْ في نَيْلِ أَفْضَلِهَا مَدارِكْ

5 وبِاللّه آسْتَعَنْتَ فكان عَوْناً   وأهل العلم مثلك أهل ذَلِكْ

فجَاءَتْ مثل ما يَهْوَى مُحِبٌّ   ينادي بالدُّعَا : اللّهُمَّ بَارِكْ !

فيا لك من هناءٍ نِلْتَ منه   سُرُورَ الوَصْلِ من حبّ مُتَارِكْ

أدامَ اللّهُ عِزَّكَ في مزيدٍ   وَحُسْنَكَ في الوجود بلا مُشَارِكْ

* * *

58 ـ وقال قدّس سرّه ، يرثي رئيس الفتيا الشيخ اسماعيل التّميمي رحمه الله يوم الخميس 16 جمادي الأولى 1248 [طويل][2] :

هل الحيُّ إلاّ هَالِكٌ وابنُ هَالِكِ   وعزُّ البقا للّه غَيْرَ مُشَارِكِ

ولو أنّه يبقى على الدّهرِ ماجدٌ   لكان لنحريرٍ عزيزِ المدارِكِ

كهذا الذي أمسى الثّرى مُتَوَسِّداً   ونجمُ الثّريّا منه تحت أرائِكِ

---

(1) مجمع ، 43أ ، التعطير، 128/1 . راجع القصيدة رقم 26 التي هنّأ بها حسين باي بنفس المناسبة . والمشير محمّد باي قد تولّى الملك ، خلفاً عن ابن عمه المشير الأوّل أحمد باي ، من 1855 الى 1859.

(2) مجمع ، 37 ب ، وفيه : هل الناسُ إلاّ . . . وانظر ترجمة الشيخ إسماعيل التميمي في الإتحاف ، 13-12-11/8 . وقد ذكر ابن أبي الضياف أنه توفّي في الخامس عشر من جمادي الأولى سنة 1248 (الأربعاء 10 اكتوبر 1832) ، وعوّضه الشيخ إبراهيم الرياحي في خطة كبير أهل الشورى بالمجلس الشرعي بالحاضرة (باش مفتي المالكيّة) .

لقد كان سيفاً في الشريعة صَارِماً ... ونُورَ ظلامٍ في الجهالة حَالِكِ

5 إذا نشر التحقيق في روض درسه ... فَيَا لَكَ من نشرٍ من المسك صائك

ومهما دعا في موقف الفهم باركا ... على غيره جاءت له غير بارك

قضاياه في جيد القضاءِ قلائد ... فتاواه تيجانٌ لمذهب مالك

إذا قال إسماعيل فالكلُّ مُنْصِتٌ ... لأَجْزَلِ معنىً من صياغة سابك

مشى ذكرُه في العَالَمِينَ كما مَشَتْ ... ذُكاءُ ، ولكن ذكرُه غيرُ دَالِكِ[1]

10 إلى رحمة المولى مضى وهو آمِلٌ ... لِمَقْعَدِ صِدْقٍ عند أَكْرَمِ مَالِكِ

ولمّا مضى أبكى القلوبَ توجُّعاً ... وإنْ كان ذا وَجْهٍ من ٱلْبِشْرِ ضاحِكِ

وعمّ الأسى حتّى لِسَاعةِ دَفْنِهِ ... بكى ٱلْمُزْنُ وَبْلاً بالدّموع السّوابكِ

لذاك تأتّى أن يقول مُؤَرِّخٌ : ... لِعَيْنِ السّما جَرْيٌ على قبر مالك[2]

1248

* * *

(1) دلوك الشمس غروبها ، وذُكاءُ هي الشمس .

(2) حساب الجمّل يوافق التاريخ 1248 . ويبدو أنّ الجنازة شيّعت في يوم ممطر .

حرف اللّام

59 ـ وقال رضي الله عنه ، مصدّراً قصيدة الشيخ سيدي محمّد البكري الصدّيقي رضي الله عنه ، باقتراح شيخ الإسلام [بالأستانة] أحمد عارف [سريع][1] :

حمداً لربّي قبل ما أَسْأَلُ	وكلّ عَالٍ دونه أَسْفَلُ
ثم صلاة اللّه من بَعْدِهَا	أذكى سلامٍ عاطرٍ يُرْسَلُ
أهديهما للمصطفى المُجْتَبَى	وكِلّ مَنْ في دينه يدخل
هذا وما للعبد لا سيّما	مَنْ ظهرُه مِن ذَنبه مُثْقَلُ
5 إلاّ حِمَى طَهَ شفيعِ الورى	في مَوْقِفٍ أهوالُه أَهْوَلُ
يوم يقول الرُّسْلُ : أنتَ لها	وكلُّهم من هوله يَوْجَل
فعندما ينهض خيرُ الورى	يحمد ربَّ العرش إذْ يسأل
إذا النِّدَا من ربّه ذي العلا :	محمّدُ ! بلغتَ ما تأمل
فَفَرَّجَ اللّه به كَرْبَهُمْ	وكم به من كربة تخذل
10 وعبدُكَ الرّاجي له كربة	أعيى علاجي دَاؤُهَا المُعْضِلُ
إنّي أرى الهجران لي واصلاً	وإنّ في الهجران ما يقتل
فبالذي حلاّكَ من نعمة	أَبْهَى حُلًى لم يُعْطَها مُرْسَلُ

---

(1) مجمع ، 2 أ ، والبيت الأخير منه . وقدّم صاحب تعطير النواحي بما يلي :

« يقول الفقير الى ربّه تعالى إبراهيم الرّياحي إنّه لما رأيت قصيدة سيّدي محمد البكري غير مفتتحة بالحمد والصّلاة ، حملني ذلك على تصديرها بالحمد والصّلاة ليكون ذلك أوفق لاتّباع السنّة وأقرب للإجابة » . (التعطير ، 63/1) .

وحلّة الرّحمة مَعْ رأفةٍ | يُتْلَى علينا نصُّها المُنَزَّلُ
صِلْني لوجه اللّه حتى ولو | لَمْ أَكُ أهلاً للّذي أسأل
15 فجودُك الغيثُ أما إنّه | في كلّ أرضٍ مُطْلَقاً يَنْزِلُ
ونورُك الشّمس وما ضَوْؤُهَا | يختصّ ما يختصّ بل يشمل
ورحمة اللّه على قائلٍ | منه علا في حقّك المَقْوَلُ
هذا وظنّي فيك مُكْتَمِلٌ | وأنت عند الظنِّ بل أَكْمَلُ
ما أَرْسَلَ الرحمانُ أو يُرسِل | من رحمةٍ تصعد أو تنزل

* * *

[37] 60 ـ وقال تغمّده الله برضوانه ، يمدح خير ممدوح سيّد الوجود صلّى الله/عليه وعلى آله وصحبه في حجّته الأولى [1241] وسمّاها المواجهة [بسيط] :

عليك أزكى سَلَامٍ يا ضيا المُقلِ | ومَنْ رِضاهُ علينا غايةُ الأَمَلِ
عليك أشرفُ تسليمٍ وأَطْيَبُهُ | بحيث تغدو له الأعطارُ في خَجَلِ
عليك أجْمَلُ تسليم وأَكْمَلُهُ | وهل لقدرك إلاّ كلّ مُكْتمَلِ
يا سيّدي يا شفيعَ الخلقِ قاطبةً | يوماً إليها يَدُ الإرسال لَمْ تَصِلِ

ثم بدّل الأبيات المتقدّمة أعلاه[1] :

5 مِسْكُ الصّلاة وأعطارُ السّلام تَلِي | عليكَ تغدو لها الأطيابُ في خَجَلِ
يا رحمةً أُهْدِيَتْ للعالَمين هُدىً | لو لم تكن لم يكن كَوْنٌ بديع حلي
يا سيّدي يا شفيعَ الخلقِ قاطبةً | إذ قول كلّ رسول ليس ذلك لِي
إنّا أتيناك في ظُلْمٍ لأنفسنا | مستغفرين من الأثقال في وَجَلِ
فانْظُرْ لزَوْرِكَ واستَغْفِرْ لهم كَرَماً | فإنّ فضلك بالإقبال لم يَزَلِ

---

(1) التعطير ، 103/1 وعنوان الأريب 95/2 ومجمع ، 3 ب .

10 إنّـا ضيـوفُـكَ يـا خَيْـرَ الأنـام قِـرىً ‏ ذُوو آفتقـارٍ إلى مـا منـك من نُـزُلِ

جئنـاك من شَـاسِعِ الأقـطار يحملُنـا ‏ حُسْنُ الرّجَاءِ إلى إحسانك الهَطِلِ (1)

لم نَعْدَمِ آلْفَضْلَ مِنْ بُعْـدٍ فكيف وقد ‏ صِرْنَا بقربك مثل الشّمس في الحَمَلِ؟

يـا رحمـةَ اللّه في كـلّ العـوالم، يـا ‏ محمّـدُ، أحمدُ، يـا أفضـلَ الـرّسـل

أَتيْتَ بـالحقّ مِن عنـدِ الإلـه فـمـا ‏ أَخْلَدْتَ فيـه إلى عَجْـزٍ ولا كسـل

15 جـاهـدتَ حَقَّ جهـادٍ في رضـاه الى ‏ أن أَشْرَقَ الدّينُ في سهـل وفي جبل

وقـمـتَ لـلّه في تـبليـغ مـلّتـه ‏ لم تَخْشَ يـومـاً ولم تحفـل بِمُنْخَـذِل

حتّى غَـدَتْ مِلّةُ الإسلام ظـاهـرةً ‏ تعلو على سـائـر الأديـان والمِـلَلِ

وذاك مِصْـداقُ مـا يُتـلى لِيُـظْهِـرَه ‏ بـرغم مَعْـطَسِ أهـل الكفـر والخبـل

طـوبـى لِمُـتّبِـعٍ نـوراً أتيـتَ بـه ‏ يُمشى بـه في ريـاض العلم والعمـل

[3 20/ وَوَيْـلُ مَنْ لم يُقم رأسـا بـه فغـدا ‏ من خُسرِه في مهاوي الـزَّيْغ والـزّلل

هـا نحن بين يَـدَيْ نجـواك نشهَـدأنْ ‏ لا ربَّ لـلخلق إلاّ الـواحـدُ الأزلـي

وأنّـكَ الـرحمـةُ المُهـداةُ منـه لِمَنْ ‏ سـواه كيْ يستقيم الأمـر عـن مَيَـل

وأنّ كـلَّ الـذي بـلَّغْـتَ مـن نبـإ ‏ حقٌّ وصـدقٌ على التفصيـل والجُمَـل

25 هٰـذي شهـادتُنـا ذُخْـرِي لـديـك وَمَنْ ‏ يستودعِ المصطفى ما خاب في أمـل

نعَم ولي حـاجـةٌ في القلب تعلمُهـا ‏ لا عَيْشَ لي دونها فآسْمَحْ بعيشك لي

نعَم وأخـرى وقـد جلّت ولستُ لهـا ‏ أهـلاً وأنت الـذي نـرجـوه لِلْجَلَل

يـاكم قصـدتُ لهـا مِمَّنْ يَضِنُّ بهـا ‏ فكنتُ أَقْنَـعُ بعـد اليـأس بـالقفـل

والآن جئتُـك لا أُلـوي على أحـدٍ ‏ أنت الجـواد الـذي يُعطي بلا مَهَل

30 آنـظر لـذُلّي بسُقم الحبّ عنـك فـإن ‏ تَنْـظُرْ رفلتُ بعزّ الـوصـل في حُلَل

---

(1) في التعطير : « إلى إفضالك » .

وآرحم فؤاداً بِنـار الفقـد مصـطليـاً ... وآنـظر لدمعٍ من الخسـران منهمـل

طـالت ليالي الجفـا منّي وقد قصـرت ... يــداي عن نـزع مـا أُلْبِسْتُ من عِلَل

يا سيّدي ، العمـرُ قد ولّى ومـا ظفِرَتْ ... يــدي بِنَيْـلِ الـذي أعيَتْ لـه حِيَلى

إنّي تـوسّلت بـالأَسْمَـا وأَعْـظَمِهَـا ... وكـلِّ أمْـرٍ يُـرى من أعـظم الـوصـل

35 هَبْ لي وِصـالا على مرّ اللّيـالي لكي ... أمـوتَ والقلبُ في سُكـرٍ من الجـذل

عليكَ صلّى الذي في الذكر قال لنـا : ... صلُّوا بِـدَمْـعٍ مـع التّسليم متّصـل[1]

وسلّم اللّه تـسليـمـاً يـفـوح لــه ... مِسْكُ الختام مع الإشراق والـطّفَل[2]

ثم الرّضى عن أبي بكر وعن عمـرٍ ... وذي الحياء أبي عمرو، كذاك علي[3]

وكـلّ من بـك، يـا خيـرَ الأنـام، لـه ... تعلّقٌ بـانتسـابٍ غَـيْـرِ مُنْفَصِـلِ

* * *

[39] 61 ـ وقال قدّس سرّه يمدح « فتح المتعال في فضل/النّعال » ، نسخه لصديقه الوزير يوسف صاحب الطابع عام 1802/1217 [خفيف][4] :

يـا مثـالَ النّعـال تفـديـك نفسي ... من مثـال لم يحـكِـه من مثـال

فــزتَ منهـا بنسبـةٍ ذاتِ وصـل ... تقتضي أن تُجَـلَّ مثـلَ النّعـال

فـهنيئـاً بِكَـوْنِ مثـلك كـانـت ... مَوْطِىءَ المصطفى الكريمِ الخِلال

---

(1) في التعطير : « بأمر من . . . » .

(2) الطفَل هنا : غروب الشمس .

(3) هؤلاء الراشدون الأربعة .

(4) التعطير 18/1 ومجمـع ، 23 أ وكنّش الطواحني ، 18763 . وجـاء في هذا الكنّش في تقـديم القصيدة مـا يلي : « الحمـد لله ، وقد وقفت بخطّ والـدي نعّمه الله : كتـاب فتح المتعـالي في مثـال النّعـال للشيخ المقري كتبه الشيخ العلامة شيخ الإسلام البركة سيدي إبـراهيم الريـاحي للوزير المرحوم المنعم السيـد يوسف خوجة الشهير بصاحب الطابع رحمه الله، وفي آخره ما نصّه. . . » . والمقرّي صاحب الكتاب هـو مؤلف نفح الطيب. انظرج 415/2 من طبعة إحسان عبّاس.

وهنيئاً لـمشتفٍ منك يومـاً طـالما عـاقه حـدودُ اللّيـالي

5 مُذنفٍ قد بَراهُ شوقٌ فأضحى كـالهلال الجديد بل كـالخيال

قبّل الـوجنتين منك بـوجد واقتضى ما اقتضى بطيب وِصَال

واشتكى سـائلاً إليـك فـولّى غـانمـا ظـافـرا بُنجـح السؤال

إنّـمـا أنـت آيـةٌ كـلَّ حـين يجتـديك الـورى لضيق المجال

آيـةٌ لـلرّسـول تبقَى وكم مِنْ آيـةٍ لـلرّسـول ذاتِ آتّـصـال

10 قد حكَتك العصـا بتنويع سُؤْلٍ غيـر أنّ العصـا غَـدَت في زوال

والعصـا خُصّصَتْ بموسى ولكن عمّ كـلَّ العبـادِ نفـعُ المثـال

فانظرِ آلفضلَ يا أخا الفضل وآعْلَمْ أنّ فضـل النبيّ ِفي كـلّ حـال

يـا نبيَّ الـهدى وخَيْـرَ كـريمٍ بـاسـطاً كفَّـهُ لبـذلِ النَّـوَال

ومُـرَجَّى الـورى إذا عمّ خَـطْبٌ ظنّ منـه البـريءُ نَيْـلَ النّكـال

15 يـوم لا ينفـعُ الخليقـةَ شيءٌ غَيْـرَ تقـديم صـالـحِ الأعمـال

إنّ لـي مـطلبـا وليس سـوى أن تقبـلَ الخوجـةَ الحميـدَ الفعـال(1)

تَـرتَضِيـه لـنَيـل أجـرٍ وعـفـوٍ وفسيـحٍ من القصـور العـوالـي

وجِـوارٍ فـي عِـلّيّيـن إذا مـا عمّ أهـلَ الوقـوف خـوفُ الـوبال

وتُـرِيـه يـا أكْـرَمَ الخلق وجهـاً حـاز مَنْ قـد رآه كـلَّ المعـالي

20 صـاحبُ الطّابـع المُعَلّى مُحِبٌّ فيـكَ يبغي رضـاكَ يا خيرَ عـال

[40] / فُنُـقٌ صـالـحٌ رؤوفٌ رحيـمٌ يبتغي من نـداك حسن المـآل(2)

فَـآكْسُـه من رضـاك سِتْـراً عميمـاً سـابغـاً ضـافيـاً وفيَّ الكمـال

---

(1) الخوجة هو الوزير يوسف صاحب الطابع .

(2) الكلمة الأولى غير مفهومة فاخترنا « فُنق » بمعنى الفنيق أي : الفحْل الكريم الذي لا يـذلّ (اللّسان : فنق) .

وصلاةٌ على الرّسول دواماً عَرْفُها شاملُ لِصَحْبٍ وآل

* * *

62 ـ وقال منحه الله رضوانه ، وأسكنه فسيح جنانه ، مهنّئاً سلطان المغرب مولاي سليمان بقدوم ابنه الوزير مولاي إبراهيم العلوي من الحجّ عام 1813/1228 [كامل][1] :

هذا المنى فانعم بطيب وِصال فلطالما أضناك طول مِطَال
ماذا وكم أوليتَني يا مُخبِري بقدومه من منّةٍ ونَوالِ
بشّرتَني بابن الرّسول لَوَأنّما روحي ملكتُ بذلتُها في الحال
بشّرتَني بحياتيَ العظمى التي قد كنتُ أحسَبُها حديثَ خيال
5 بشّرتَني بسُلالةِ الخلفاءِ، مَنْ أمداحهم تُثْني بكلّ مقال[2]
مَنْ حُبّهم فَرضَ الكتابُ، ألا ترَى إلاّ المودّةَ حين يتلو التالي؟
مَنْ ضَمّهُمْ شَمْلُ العَباء وأُذهِبُوا رِجْساً، فيا لك من مقامٍ عَالِ![3]
مَنْ قَوّمُوا أَوَدَ المكارم بعدما شادوا الهدى بمعارف ونبال[4]
لَوْلاَهُمْ كان الورى في ظُلْمَةٍ مرّت غَيَاهِبُها بكلّ ضلاَل
10 آباءَكَ الأطهارَ أَقْصِدُ يا أبا إسحاقَ يا نَجْلَ المليك العالي

---

(1) مجمع ، 13 ب ، الإستقصاء ، 125/8 ، والتعطير ، 78/1 . وفيه أنّه « قد شاع الخبر بأنّه [مولاي إبراهيم] يقصد المرور على طريق تونس ، فاستحضر له الشيخ رضي الله عنه قصيدة ليتلقّاه بها . لكن تبيّن أنه رجع من حجّه الى حاضرة فاس ، فأرسلها الى حضرة مولاي سليمان » .
وقال في الاستقصاء : « إنه بعث بقصيدة رائقة الى والده السلطان يمدح النّجل المذكور ويُهنّئه بالقدوم ، وألمّ فيها بذكر السلطان ، فأعجبته وهزّت من عِطفه ، وأمر كتّاب دولته أن يأخذوا منها نسخاً ، ونشرها بعضهم » .
(2) في المخطوطة بخلاصة الأشراف . وأخذنا بقراءة الناصري . وكذلك تثني عوض : تتلى .
(3) أصحاب العباءة هم أصحاب الكساء . وفي البيت تلميح الى الآية : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ » (الأحزاب 33) .
(4) في الاستقصاء : ونصال .

يـا حِـبَّـهُ وصَـفِـيَّـهُ مـن قـومـه … وخـيـارَه مـن سـائـر الأنـجـال

لـو لـم تـكـن أَهْـلاً لِـصَـفْـوِ وِدَادِه … لـم يَـسْـتَـنِـبْـكَ لجدِّكَ الـمـفـضـال

لـكـن تَـوَسَّـمَ فـيـكَ كـلَّ فـضـيـلـة … فَـحَـبَـا يـمـيـنَـك رايـةَ الإقـبـال

[41] / وأقـام جـودَكَ بـل وُجُـودُكَ زَادُ مَنْ … يـبـغـي بـبـيـت الـلّـه حَطَّ رِحـال

15 أنت ٱستـطاعَتُهُمْ فما عُـذْرُ الـذي … تـرك الـزِّيـارةَ خِـيـفـةَ الإقـلال؟

وبـك المشاعـرُ أُطْرِبَتْ طَـرَبَ التي … وجـدت عـلى وَلَـهٍ فَقِـيـدَ فصـال[1]

ووصـلـتَهـا رَحِـمـاً هـنـاك قـطـيـعـةً … دهـراً مـضـى وبَـلَـلْـتَـهَـا بـبـلال

وتَـأَنَّسَ الـحَـرَمـانِ منـك بـطـلعـةٍ … أَغْـنَـتْـهـمـا عـن وابـلٍ هـطّـال

كَـرَمٌ لَـكُـمْ أدريـه يَـوْمَ أَفـاضَـهُ … عـنّـي سـلـيـمَـانٌ بـأيِّ سـجـال

20 وَهَـبَ الألـوفَ وكـان أكـرمَ مُـنْـزِلٍ … يُـسْـلِي الـغـريـبَ بِـبِـرِّه الـمـتـوالـي

يـومَ الـتـشـرّفِ لي بـلَثم يـمـيـنـه … وتـمـتّـعـي مِـنْ وجـهـه بـجـمـال

وتـلـذُّذي بـخـطـابـه الـمـعـسـول إذْ … حَـفَّـتْ بـه لـلـدّرس أيُّ رجـال

لـم أَنْسَـهُ يـومـاً حـسِـبـتُ نـعـيـمَـه … لـلـذائـذ الـجـنّـات ضَـرْبَ مِـثـال

عَـجَـبـاً لـه يُـحْـيِي الـقـلوب بـعـلـمـه … ويُـمِـيتُ جـنـدَ الـفـقـرِ مـنـه بـمـال

25 وإذا تـقـلّـد لـلـوغـى فَـحُـسَـامُـهُ … تَـعْـنُـو الـرِّقَـابُ لـه بـغـيـر قـتـال

يـتـلوه بـالـفَـتـح الـمـبـين عـسـاكـرٌ … قـد أرْهَـفَتْ بـالـنّـصـر حـدّ نِـصـال

تـخـشـى الـمـلـوكُ مَـقَـامَـهُ ولـذكـره … رُعْـبـاً تـطـيـر فَـرَائِصُ الأبـطـال

ويـنـال آمـلُه لـخـفـضِ جَـنـاحـه … مـا لـيـس يـخـطُـرُ مـنـه قطّ بِـبَـال

حـتّى سـعى لِصَـفـا مـنـاهـله الأُلَـى … يـسـعـى لِـمَـرْوَتِـهـم ذَوُو الأثـقـال[2]

---

(1) في التعطير: «وله بقيد . . ».

(2) في التعطير: حتى سقى لصفى. وفي الاستقصاء: «منهله الذي يسعى لمروته»، والمعنى متقارب مع ما في الدّيوان، والمقصود: الصّفا والمروة.

30 وأتت لمغربه الشريف مشارقُ | والشمس تغرب لإقتضاء كمال
لمّا تكدّر صَفْوُها بضلالةٍ | جاءته كيما ترتوي بزُلال
ومتى تخلّف عاجزٌ فبقلبه | يسعى لفعل شعائر الإجلال
أُمْنِيَّةٌ وقعت أشَرْتُ لذكرها | في مَدْحِهِ قِدْماً بصدق مقال
تهوى المشارق أن تكون مغاربا | لِتنالَ من جدواه أيّ منال[1]

[42] 35 يا فَخرَ دين اللّه منه بناصرٍ | وسعادةَ الدّنيا به من وَالٍ!
لا تفتخِرْ فاسٌ ولا مَرّاكشٌ | بولائه، كلُّ الأنام مُوالٍ!
أوَليس في كلّ البِقاع ثناؤُه | وِرْدَ البُكورِ وسَحَّة الآصال؟[2]
أوَلم يَشِدْ للدّين والعلماء والأ | شراف والصّلحاءِ صَرْحَ مَعَال؟[3]
أوَليس أحيى سُنَّةَ العُمَرَيْنِ في | زمنٍ الى بِدَعِ الهوى ميّال؟[5]
40 أوَلَمْ يَعُمَّ بجودِه أقطارَها | لا فَرْقَ بين جَنوبها وشمال؟
أوَلَمْ تَسِرْ رُكْبَانُها بمحاسنٍ | ضاءت لهم سُرُجاً بجنح ليال؟[5]
شِيَمٌ يهزّ الرّاسياتِ سماعُها | ويَفُحْنَ في أنف الزمان غَوَال[6]
أوصافُ والدِكَ الإمامِ المرتضى | للدّين والدّنيا بحسن خِلال
ذاكَ الرفيعُ أبو الربيع ومَنْ به | حَيِيَ الهدى وشرائعُ الإفضال
45 فبه لكَ الفخرُ الكبيرُ وإنْ يَكُنْ | لك في العُلا نسجٌ على منوال[7]

---

(1) في الاستقصاء « كلّ منال » . وهذه المقابلة مرّت بنا قبلُ . والشيخ لا يحذَرُ التكرار .
(2) السحّة : المرّة من سحّ المطر : نزل .
(3) في الاستقصاء : « . . . والصلحاء أيّ حلال » .
(4) سنّة العُمَرَيْنِ : عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز .
(5) في الاستقصاء : « ضاءت لها سرج » .
(6) في الاستقصاء : « ويعجن » . والغوالي جمع الغالية وهي ضرب من الطيب رفيع .
(7) بيت ساقط من الاستقصاء .

كلُّ الكمال له وأنت مَقَرُّه والفرعُ عَيْنُ الأصل عند مَآل

يا آبْنَ المليك ابنِ المليك ابن المليـ ـك ابنِ المليك سُلالَةَ الأَقْيَال[1]

أنَسِيتُمُ ذِكرَ العبابسةِ الأُولَى زالوا، وما زالوا بعين جلال[2]

ولو المراونةُ اهْتَدوا لتَأَخَّرُوا عمّا يحقّ لكم بغير جدال[3]

50 لَكُمُ آلفخارُ حقيقةً وسِوَاكُمُ مُسْتَمْسِكٌ من شمسِه بظلال[4]

وَلِيَ الفخارُ بأن نسجتُ مديحَكم حُلَلًا تَجِدُّ وكُلُّ شَيْءٍ بَالِ

أَمْلَى معانيه عليّ ودادُكُمُ فجرى به طبعي كما السّلسال

وَلَوَ آنّني حاولتُ مدحَ سِوَاكُمُ عَقَلَ القريحةَ عنه أيُّ عِقال[5]

فكأنّما طبعي شريف حيثما لا يهتدي لِسِوَى مديحِ الآل

55 أَوْ أنّه وَرِعُ النّظام فلم يَكُنْ بذلُ المديح لغيركم بحلال[6]

55 / أَوْ قد درى أنَّ المديحَ تعرّضٌ وَسِوَاكُمُ لا يُرْتَضَى لسؤال [43]

أبقاكُمُ كهفاً يُلاذُ بمجده مُخْتَارُكم لإنالة الآمال[7]

وأدام للإسلام والدّك الذي هُوَ رَحْمَةٌ وَسِعَتْ بغير جِدَال

وعليكُمُ وعلى الذي يهواكُمُ أزكى الرّضى من حضرة المتعالي

60 وأدامَكُمْ رُحْمَىَ فإنّ بقاءَكُمْ مِنْ فَيْضِ رَحْمَةِ سيِّدِ الإرسال[8]

---

(1) مرَّ بنا مثل هٰذا التكرار المحبوب عند الشيخ .

(2) الأسرة العلويّة بالمغرب أنْسَت ذكرَ العبّاسيّين ، وكانوا أعداءً لأبناء فاطمة وعليّ منذ فرار إدريس الأوّل الى المغرب . وما زالوا بعين جلال : أي ذهبوا مكروهين منبوذين ، أي : لم يزولوا .

(3) بيت ساقط من التعطير ومن الاستقصاء ، وهو في تفضيل آل البيت على بني أميّة أيضاً .

(4) في التعطير والاستقصاء : « الفخار بذاته . . . . مستمسك من فخركم » .

(5) في المخطوط : « عمل . . . أيّ عمال » والإصلاح من التعطير .

(6) بيت ساقط من التعطير ومن الاستقصاء .

(7) في الاستقصاء : « بمجدكم » .

(8) بيت ساقط من الاستقصاء .

مـا دام ذكـركـمُ بـكـلّ صحيـفـةٍ تبعـاً لأَحْـمَـدَ سيّـدِ الإرسـال[1]
صـلّى عـليـه مُـسَـلِّمـاً ربُّ الـورى وعـلى مقـدّمِ حِـزبِـه والـتّـالـي

* * *

63 ـ وقـال رحمه الله تعـالى ، مهنّئاً المشيـر الأوّل أحمد بـاي ، حين منحـه السلطان الغازي عبد المجيد النيشان ولُقِّب بالمشير عام 1254[2] [كامل] :

السّعـدُ تُخْبِرُنـا شـواهـدُ حـالِـه أن قـد كسـا عليـاك ثَـوْبُ جمـالِـه
وعليـك قـد ضـرب الفخـارُ سُـرادقـاً وببـابـك العـالي مُنَـاخُ رِحـالـه
يَـا مَنْ بِـدَوْلَتِـه الجفـونُ تكحّلَتْ بِـآلأَمْنِ إِذْ لجـأت لـبـرد ظِـلالـه
بِـكَ مفخـرٌ للدّهـر ليس بخامـلٍ لِمَ لاَ وقـد أصبحت من أقيـالـه؟
5 فَـلأَنْـتَ ضَـيْـغَـمُـه ونَـيّـرُ أُفـقـه وخِصَـامُـه الـطّامي وطَـوْدُ جـلالـه
أَنّى يُحيط بـك المـديـحُ وأنتَ مَنْ تهـوى بُـدورُ التمّ لَثْمَ نِعـالـه؟
لـك خـطّة الشّـرف التي لم يَحْـوِهـا مَلِكٌ وإنْ عَـظُمَتْ خِصَال كمـالـه
وأصَـالـة الـرأي الـذي آثـاره رَوِيَتْ بمـا يُجْريـه من سلسـالـه
فلقـد غَـدَا خـاقـانُ عَصْـرِكَ آخـذاً بسـديـد رَأْيِـكَ في مُهِمّ فِعَـالـه[3]
10 وعنـاك إذ قـال «المشيـر» وحبّـذا لَقَبٌ حَـوَيْتَ الفخـرَ بـآستكمـالـه
ومِن العنـايـة أن غَـدَوْتَ مُـطَوَّقـاً طـوقَ الجـلالـة مِن سَنَـا إفضـالـه
كم قـد تَـطَاوَلَتِ آلِّـرقـابُ لِنَيْـلِه وتَسَـارَعَتْ هِـمَمٌ لجلب مِثَـالِـه

---

(1) بيت ساقط من المخطوط .
(2) هكذا في الأصل والصّواب 1840/1256 (الإتحاف ، 49/4) . أمّا السلطان عبد المجيد فقد ارتقى الى العرش في سنة 1839/1255 ، إثر وفاة والده السّلطان محمود . هٰذا وقد نسب صاحب الإتحاف هٰذه القصيدة الى بيرم الرابع (52/4) وهي ساقطة من المجمع .
(3) الخاقان : السلطان العثماني .

فَتَقَاصَرَتْ عن حَرْزِه وحُبيَتِه ... ومَلأتَ كفَّك من وثيق حِبالِه

[44] / وكساك تاجاً وهو أعظم آيةٍ ... دلّت على المكنونَ من إقبالِه

15 وَلَوِ آلْمَعالِي صُوِّرَتْ وتجسَّدَتْ ... لأتاك مَحْضُ الودِّ من إقبالِه

فبذا بلغتَ ذُرى السيادة مُدرِكاً ... شَأْواً منالُ النّجم دون منالِه

أنت الجديرُ بكلّ ما أُوليتَه ... وخطرتَ ياذا المجد في سِرْبَالِه

مَنْ ذا يجاري أَحْمَداً في فضله ... أمَّنْ له نَسْجٌ على مِنْوَالِه؟

سبّاقُ غاياتِ المكارمِ أوحدٌ ... حاوي الفضيلةِ يَوْمَ رَفْعِ طوالِه[1]

20 مَلِكٌ تصَحَّحَ أنّه فردُ العُلَى ... مهما أَجَلْتَ الفكرَ في أحوالِه

فله بِوَصْلِ المَكْرُماتِ عنايةٌ ... ولها مزيدُ عنايةٍ بوصالِه

أغْنَتْ مَهَابَتُهُ ذكره عن سيفه ... ودفاعِهِ عن قصره بنبالِه

أفضى لهزم عُدَاتِه تَخْمينُهُمْ ... في بطشه ومرورُ طَيْفِ خيالِه

جَأْشٌ يلين له الحديدُ وصَوْلَةٌ ... تستوقفُ الضّرغامَ عن أشبالِه

25 ورحيبُ صدرٍ ضمّ حِلْماً واسعاً ... يلقى به الجاني مُنَى آمالِه

ونَدىً أناف على الغمام رعايةً ... إذ سَيْبُهُ بمواهبٍ من مالِه

فإذا الكرام تبسّطت أيْمانُهم ... أربى على معروفهم بشِمالِه

تاهت على كلّ البلاد بلادُه ... وسما بها الأمراء تحت حِجالِه[2]

أبْدَى بها الجيشَ العرمرمَ وُشِّحَتْ ... أَصْنافُه بالأُسْدِ من أبطالِه

30 وأنال مسجدَها المعظّمَ رِفْدَهُ ... وسقى مُصَوَّحَ نَبْتِه بزُلالِه[3]

---

(1) لم نفهم المقصود من : « رفع طواله » ، ولعلّه يعني الطَّوْل ، أي الفضل والقوّة والقدرة .

(2) في المخطوط « وسما به الإيواء تحت مجاله » . وأخذنا بقراءة ابن أبي الضياف (الإتحاف ، 52/4) .

(3) مصوَّح الشجر : اليابس لقلّة السقي . والمسجد المقصود هو جامع الزيتونة .

وحبــاه من كـتب الـعلوم نـفـائسـاً تُـزْري بنفـح الـرّوض في آصـالـه[1]

أطْلَعْتَـهَــا في أُفْـقِ فَضْـلِك أَنْجُـمـاً يَمْحُـو بهـا السّــاري دُجَى إشكـالــه

وأَجَلْتَ فيهــا راحــة المُـثـري ومَنْ قــد صُفِّـدَت كفّــاه من إقــلالــه[2]

وبهــا أَزَحْتَ شـدائِـداً عن عـاجـزٍ وكَشَفْتَ مــا أَصْمَــاه من أهــوالــه

[45] 35 / يا أيّها الملك الذي عَشِقَ العُلَى وسـعى الـيـهــا سَعْـيَ صَبٍّ وَالِـهِ

خُــذْهـا إليـكَ قصيـدةً بــل دُمْيَـةً حَــوْرَاءَ جَـلَّلَهــا آلْحَـيَــا بجِلالـه[3]

زُفَّتْ فمـن فَــرْطِ اللّطافـةِ خِـلْتُهَــا تُغْنِي لـطيفَ الـطّبـع عن جِـرْيَـالِـه[4]

عَجَـزَتْ عن التّفصيــل فيمــا نِلْتَـهُ مِنْ سُؤْدَدٍ فَـسَعَـتْ إلـى إجمــالــه

وآهْـنَــأْ بـعيــدٍ قــد أظـلّك وقتُــه وســنــاؤه وآسْــلَمْ إلــى أمــثــالــه

40 هــذا ولــولا الـشّــرعُ عَـيَّـنَ وقتَــه لأنفــكّ يـومُ العيــد عن شـوّالــه

إذْ كــلّ يــوم من زمــانــك مـوسِمٌ يُغْنِـي جبيـنُـك عـن طلوع هــلالــه

لا زال مـلكــك زينــةَ الــدّنيــا ولا ذاقـت مــدى الأيّــامِ طَـعْـمَ زوالــه

وبَقِيـتَ تــرفُــلُ في مــطارف سؤددٍ ومــســرّةٍ بــمــحــمّــدٍ وبــآلِــه

* * *

64 ـ وقال قدّس سرّه يمدح الصَّدر الأعظم مصطفى رشيد باشا باسلامبول عن إسقاط الخراج عام 1838/1254 [كامل][5] :

الصَـدْرُ آلاعْـظَمُ مقصِدُ المُتَـوَسِّـلِ وَهُــوَ المُؤَمَّـل في القضــاء المُنْـزَل

(1) اشترى المشير أحمد باي سائر كتب الوزير حسين خوجة وأضاف اليها كتباً أخرى وأوقفها على طلبة العلم بجامع الزيتونة . وقد أصبحت تلك المكتبة تعرف باسم المكتبة الأحمديّة .

(2) وفي المخطوط « تثري » والإصلاح من الإتحاف ، 53/4 .

(3) الجِلال : الأكسية والأغطِية .

(4) الجريال لون الخمر ومنه الخمرُ عينُها .

(5) الإتحاف ، 4/23-24 ومسامرات الظريف ، 201/1 ومجموع ح . ح عبد الوهاب 18841 والمجمع ، 17 أ .

ولـذاك مـن أقصى البـلاد أَتَيْتُـه | لـلفـوز منـه بِبُـرْءِ داءٍ مُعْضِـل
يـا مَلْجَـأَ الصُّلحاء والعلمـاء والـ | ـوزرا ومَنْ في النّـاس ذو قَدْرٍ عَلِيّ
كـالندِّ أو كـالعطر أو كـالمسك مـا | يحـويه عِرْضُك من ثنـاءٍ أجمـل[1]
5 فيمـا حبـاك اللّه مـن خُلُقٍ سـرى | كـالـرّاح في الأرواح لا في المفصل
وحبـاك من خَلْقٍ كـأنّ الشمسَ في | شَـرَفٍ تُـرَى في وجهـك المتهلّل
اَشْفَـعْ لنا فيمـا دهى تِـرْشِيش مِنْ | إلـزامها غُـرْمَ الخراج المُثْقَـل[2]
الفقـرُ يمنعهـا ومـا تـخشـاه مـن | شـرّ الحـوادث في الـزّمـان المقبِـل
أرجـو لـك البشـرى بِنَيْـلِ شفـاعـةٍ | تـأتيك من عنـد الـرسـول الأفضـل
10 دَامَـتْ عُـلَاكَ لمـن أحبّـك جَنّـةً | بنعيمهـا قلبُ الحـواسـدِ يَصْطَلِي

* * *

65 ـ / وقال تغمّده الله برضوانه ، مجيباً الشيخ أحمد زرّوق الكافي عن لغز في العين أرسله إليه يوم الاربعاء في ذي القعدة 1802/1217 [طويل] :

أَيَـا عَيْنَ آدابٍ بهـا الـظّرفُ سائِـلُ | ومَنْ هو منحى السُّؤْلِ إذ سال سائلُ[3]
سـألتَ وما تعني سـوى عَيْنٍ مـا عنت | إلى شـأو معنـاه العيـونُ الأفـاضـلُ
وقـد صـرّح التّبيـانُ منـك بِعَيْنِـهِ | فمـا حاجبٌ عن كشفـه الأمـرَ حَـائِـلُ
وإن كـان في عين جعـلتَ نـزولـه | فَهَـا هُـوَ في عيني لأجلك نـازُلُ[4]
5 وقـد حكم التّصـريـفُ أنّ لعينـه | حَلِيّاً وجيدُ الفـاءِ من ذاك عَـاطِـلُ[5]

---

(1) بيت ساقط من الإتحاف ومثبت في مسامرات الظريف والمخطوط .
(2) ترشيش : اسم قديم لمدينة تونس .
(3) المجمع ، 45 ب . والشيخ أحمد زرّوق عالم وأديب ، درّس بجامع الزيتونة وتولّى قضاء المحلّة الى أن توفي سنة 1831 ، انظر ترجمته في الإتحاف ، 158/7 . وفي المخطوط : « منحى السؤال » . وسال : مخفّف سأل .
(4) في المخطوط : « وإن كان في عيب » .
(5) فالياء من العين معجمة والعينُ أي فاؤها مهملة .

وحسبك تبياني وقد جاء واضحاً ... ومِثْلُكَ لا تخفى عليه دَلَائِلُ

* * *

66 ـ وقال رضي الله عنه، مجيباً باش مفتي توزر الشيخ إبراهيم بوعلاق عن أبيات أرسلها يشتكي فيها فساد الزّمان [كامل][1] :

يا مَنْ بِتَوْزِرَ ضاقَ وَاسعُ صدرِه ... وغدا يُكَابِدُ ما اقتضاه الحالُ
وبدا تقلّصُ ظلّها عن شكلها ... مُذْ غَيّرَت من حُسْنِهَا الأحوالُ
ورأيتَها تشكو اليك بحالها ... وذهاب حسنٍ سامه آضمحلالِ
وغَدَتْ تنوح على الدّلال ودَلّها ... حتّى رثيتَ لها ورقّ البالُ
5 بعد المديح لها بما تحويه من ... حُلَلِ الجمال اللّذْ به تختال
وشبيبة تزهو برونقها ومن ... حسنٍ لها ضُرِبَتْ به الأمثالُ
هَوِّنْ عليكَ ولا تضِقْ ذَرْعاً، فما ... دامت منازل، والدّوام محالُ
وتَسَلَّ بالمدن التي نُهِكَتْ فما ... هي وحدَها قد مَسَّها الزّلزال
أتردُّها لشبابها من بَعْدِ ما ... هرمت ومال قَوامُها العسّالُ؟

---

(1) مجمع، 43 ب والأبيات الواردة في المخطوط هي الآتية :

يا من بتوزر ضاق واسع صدره ... مذ غيّرت من حسنها الأحوال
ورأيتها تشكو اليك بحالها ... حتى رثيت لها ورق البال
بعد المديح لها بما تحويه من ... فخر به ضربت لنا الأمثال
هوّن عليك ولا تَضِقْ صدراً فما ... هي وحدها قد مسّها الزلزال

والقصيدة الكاملة مأخوذة من مجلة الثريّا (التونسية)، جانفي 1946 ص 18، من مقال « بين الرياحي وبرعلاق »، بقلم النّوري التوزري، وقد نقلها عن نفس المصدر الهادي حمّودة الغزّي في كتابه « الأدب التونسي في العهد الحسيني » تونس 1972، ص 133 .

وإبراهيم بوعلاق هو من علماء مدينة توزر، وُلد سنة 1824/1240 وباشر خطة التوثيق في مسقط رأسه ثم رئاسة الفتوى، ولم يشغله عمله الإداري عن نشر العلم والدعوة الى الإصلاح . توفّي سنة 1886/1303، انظر تراجم المؤلفين التونسيّين، 411/3 .

10 ثمّ امتطت متن المحدّب بعدما ... لبّى بقيّةَ عمرها التّرحالُ

إذْ هي في زمن مضت حسناتُه ... لو لم يَجُرْ فَذَهَا بُهُنّ حلالُ

لا سيّما مذ قد بدا خلفٌ به ... وتَوافَقَتْ في قبحه الأقوال

فعليك نفسَك فآبْكِهَا لا تُوزرَا ... وآعْمِدْ لِخَيْرٍ والصّلاحُ كمالُ

نَهْنه فؤادَكَ من حُطام دنيّةٍ ... وَآخْترْ لنفسك ما آرتضاه رجال

15 ذِكْرُ الإلاه وخَوْفُه يوماً به ... تُسْرَى الخطوبُ على الورى وتُهالُ

فَهُما النّجا لا سيّما يوماً به ... تترادف الحَسَرَاتُ والأهوالُ

* * *

67 ـ وقال رحمه الله تعالى ورضي عنه يرثي آمرأة [طويل] :

نفوسُ البرايا لِلْمَنَايَا مَنَاهِلُ ... وأيّامُها منها لهنّ مراحلُ

فكيف النّجا والموت أظفر طالب ... وكيف البقا والدّهرُ بالخَلق راحل؟

وفي صالح الأعمال زادُ مبلّغ ... وذكرٌ به يبقى الذي هو عامل

كما خلّدت [. . . .] نشرَ ذكرها ... وإن أوحشت بالفقد منها منازل[1]

5 مضت وعليها للقلوب مدامعٌ ... جرت من جفونٍ وهي حُمْرٌ هوامل

كما أضحكت سِنًّا بخالص بِرّها ... لمن دمعه من نكبة الدّهر سائل

[47] / مضت ولها من صالح الفعل مُؤْنِسٌ ... إذا أَوْحَشتْ سُكّانَهُنّ جنادلُ

وقد نزلت من جانب الجود مَنْزِلاً ... تقَرُّ به عينُ الذي هو نازل

فدرّت عليها من مراحم جوده ... سحائبُ للعفو الجميل حوامل

10 لذاك تأتّى أن يقول مؤرّخ: ... سقى رمسَها مُزْنٌ من الجود هاطل[2]

* * *

---

(1) كلمة ساقطة في المخطوط ومن المجمع ، 42 أ ولعلّه اسم الفقيدة بوزن محبوبة أو منّانة أو سعديّة .

(2) ماتت هذه المرأة سنة 1223 أو سنة 1232.

68 ـ وقال تغمّده الله برحمته، وأسكنه في أعلى قصور جنّته، يرثي ابنه الخطيب العلاّمة الشيخ سيدي الطيّب رحمه الله تعالى في ربيع عام 1850/1266 [بسيط][1] :

إلى متى اللّهوُ والأحبابُ قد رحلوا	يا من بفسانية اللّذّات يشتغل؟
كم جرّعَتْك كؤوسُ البَيْنِ من غُصَصٍ	فالعين باكية والقلب مشتعِل
وكم نحبتَ على صبٍّ علِقْتَ به	وأصدقاءَ سُوَيدا القلب قد نزلوا
قد سافروا سَفَراً جَدَّ المَسِيرُ بهم	فيه فليس إلى رُجْعَاهُمُ أمل
5 وبدّلونا بسكنى حفرةٍ قُبِحت	وخلّفونا وَدَمْعُ العين منهطل
وعاد حُسْنُهُمُ قُبْحاً وأُنْسُهُمُ	وَحْشاً، وحزنُهم نامٍ ومُتَّصِلُ
فالنّطق منطبِق، والجفنُ منغلِق	واللّونُ منمحقٌ، والوصل منفصل
والأذن في صَمَمٍ، والسّاقُ في سكن	واليدُ في سدل، فالكلّ منخذل
يا هل تُرَى ما لذاك الحسن منخسفاً	وما دهاه وحارت عنده الحِيَلُ؟
10 دهاه أمرٌ عظيم لا مَرَدَّ له	قضى به اللّهُ والإنسان يحتمل
يحقّ للعين أن تبكي لفُرقتها	أحِبَّةً ليس في دَهْرِي لهم بَدَل
خلَّوْا فؤادي كئيبا بالفراق وقد	توطّنوا حفرةً سوداءَ تُبتذل
فكّرْ فإنّ نعيمَ الأمر منتقلُ	وٱعْمَلْ لمُلْكٍ عظيمٍ ليس ينتقل
فما يَسُرُّ ٱمْرَءًا أهلٌ ولا وَلَدٌ	وليس ينفعُ إلاّ العلمُ والعملُ
15 الأهل تلقى بديلاً بَعدَ مِيتتِها	والمالُ للغير قهراً عنك ينتقل
[48] / والبنت تمشي لِبَعْلٍ عنك ذاهبةً	والابنُ يبقى زمانا ثم يشتغل
باللّه يا راحلاً نحو الأحبّة سَلْ	عنهمْ وسَلِّمْ عليهم بعد إذ تَصِلُ

---

(1) التعطير، 50/2، والمجمع، 2 ب. والشيخ الطيب الرياحي توفي إثر مرضه بوباء الكوليرة في الثالث عشر من ربيع الأوّل سنة 1266 (6 فيفري 1850)، الإتحاف، 75/8.

وقل لهم إنّنا عنك أُسارى أسىً وعن قريب إليكم نحن نرتحلُ[1]

* * *

69 - وقال برّد الله ثراه ، وأحسن في الجنّة مثواه يرثي العلاّمة أحمد بوعبدة رحمه الله [طويل][2] :

أيلتذّ بالدّنيا منعّمُ بالِ وللموت في الأحشاء رَشقُ نِبالِ؟
عجبتُ وما الأيّامُ إلاّ عجائب ركونٌ إلى آلٍ وطيفُ خيالِ[3]
فهل وَاصَلَتْ إلاّ وِصالَ مُخادِعٍ وهل أرْضَعَتْ إلاّ لِبانَ فِصَالِ؟
فإيّاك والإصغاءَ منها لزخرفٍ فما هو في التّحقيق غيرُ مِحالِ
5 وشَمِّرْ لما تلقاه عن ساقِ جاهدٍ له هِمَمٌ في الصّالحات عوالي
وَعِظْ منك نفسا ما آرعوت لِمُذكّرٍ ولا وَثِقَتْ من نَاصِحٍ بمقالِ
وفي موت أهل العلم أوْعَظُ واعظٍ لمن يَخْطُرُ الإيمانُ منه ببالِ
ولا سيّما من لم يزَلْ بِعُلومِه يحلّي نُحُورَ الطّالبينَ لآلي[4]
وينشرها وهي العقود كأنّما تفوح بذاك النّشرِ منه غوالي[5]
10 وهل كان مثل الشيخ أحمدَ ناشر على طول أيّام له وليالي
أبو عبدَة الأرْضَى الإمامُ ومَنْ له من العلم والتّوفيق أيّ خِلالِ
يروح لنفع الطّالبين ويغتدي كما هطلت مُزْنُ السّما بزُلال[6]

---

(1) مات الشيخ بعد ابنه بقليل .

(2) المجمع ، 39 ب ، التعطير ، 47/1. والشيخ أحمد بوعبدة، أصله من أبناء جند الترك، وقد انصرف الى طلب العلم وتولّى عدّة خطط علميّة كالإمامة والتدريس. توفّي في العشرين من ذي القعدة سنة 19/1222 جانفي 1808 (الإتحاف، 56/7).

(3) الآل هنا : السّراب .

(4) لآلٍ : جمع لؤلؤ .

(5) في المخطوط : وهي الغوالي ، ولعلّ الشيخ أرادها ليجانس بها الغالية وهي الطيّب. وفي المجمع : لذاك النشر .

(6) بيت ساقط من التعطير .

متى كَـلَّ ذو وَجْهٍ جـديدٍ، فـإنّـه ... عـلى كِبَـرٍ لـم يتّـسِـمْ بـكـلال

إلى أن غدا من علمه الـدّهر مـطلعا ... لِـنَجْـمٍ يُـرى فـي دُجْـنَـةٍ وهـلال

15 عـلى فقـده فَـلْيَبْـكِ درسٌ ودارسٌ ... بِـدَمْـعٍ على وجـه الـطّروس مُـذَالِ

وفـي مثـله تـأسى الـقلوب فـإنّـه ... لهـا صيقـل من رَانِهـا المتـوالي[1]

ولـكنّـه حيث الـنّعيـمُ مصيـرُه ... فـكـلُّ آمْـرِيءٍ ذو رحـلة وزوال

[49] / ومَنْ كان مِن قربى الـرّسول وآلـه ... فَـأَوْلَى بـأن يَحْـظى بـخيـر مـآل

وَمَنْ كـان للدّين الحنيفِي سـاعـداً ... فَـأَحْـرَى بنـزلٍ من رضى المتعـالي

20 فَـزُرْ قبـرَهُ وآذْكُـرْ مقـال مُـؤرّخ: ... سقى قبـره الـرّحمـان مُـزْنَ نَـوَالِ[2]

1222

* * *

(1) في اللّسان : الرّان والرّيْن سواء مثل الذام والذّيم : وهو الصدأ والوسخ . قال تعـالى : بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (المُطَفّفين ، 14).

(2) تاريخ 1222 باعتبار الياء من سقى ألِفا .

حرف الميم

70 ـ وقال قدّس سرّه يمدح النبي ﷺ ومورياً بالطّبوع [بسيط][1] :

قلبي على هَجْرِ مَنْ أهـواه في أَلَمِ ... وحـالـتي بـعـده نـارٌ عـلى عَلَمِ
رقّتْ لحـاليَ أَصْلاَدُ الصّخـور ومـا ... رثى لحـالي ومـا آوى إلى سَقَمـي
أَنْشَـدْتُـهُ عَـذْبَ أَلْحَـاني أُلَيِّنُهَـا ... والدّمعُ وَٱلوَجْدُ في فَيْضٍ وفي ضَرَمِ
لعـلّ كـأْسَ «الـرّهـاوي» أن يعـطّفَه ... ويقتضي منـه مـا يُبْـرِي مـن الألم
5 وحـرمـة «الـذّيـل» لا واللّه أَقصِـدُهـا ... «فالرّصْد» «للذّيل» أمرٌ ليس من شِيَمِي
وَهَبْ لِسانِيَ «مزمـومـاً» عليـه أمـا ... هو «الحُسَيْنُ» الذي يُبْـرِي من اللّمَمِ
«بـالأَصْبَعَيْنِ» لَـوَ آنّ البحـرَ يتـركـه ... أُعَـدِدُ «الـرّمـل» مـا لا أن يعـزّ دمي
ولـو أرى «سيكـة» تـدني مـودّتـه ... كان «العراق» على ملكي ومِنْ خَدَمي
يـاكم رسى «رصَـدٌ» منّي لـغـرّتـه ... « كـالأصبهـان » أنـاخ العيس بـالألم
10 أشكو «النّوى» ولكم جرى دمي فسقى ... رمْلَ الصحاري «ورملَ المايا» ٱلأكَمِ[2]
قـولـوا لـه صبّك الملهـوف في لَهَفٍ ... و « ماية » فَٱعفُ وٱصْفَحْ يَا أَخا الكَرَمِ

(1) مجمع ، 6 ب ، التعطير ، 109/2 . وأسماء الطّبوع أو المقامات الموسيقية التونسية هي : الرّهاوي ـ رصد الذيل ـ الرمل ـ الأصبهان ـ السيكة ـ المحيّر ـ المزموم ـ العراق ـ الحسين ـ النّوى ـ الرّصد ـ الماية ـ الأصبعين . (عنوان الأريب ، 104/1، في تقديم قصيدة من هذا الجنس للشاعر محمد الظريف التونسي ، ومجموع هذه المقامات يسمّى : ناعورة الطّبوع) .

(2) بيت ساقط من الديوان .

هو الذي بَشَّرَتْ توراةُ موسى به ... وبآسمه صرّح الإنجيل للأمم

هو الذي دُونَه الرُسْلُ الكِرَامُ ومَنْ ... دانت له النّاس من عُرْبٍ ومن عَجَمِ

* * *

71 ـ وقال متّعه الله بدوام رؤيته ، وبوّأه أعلى المنازل في فسيح جنّته ، يمدح الغوث الربّاني ، سيدي أحمد التجاني ، رضي الله عنه وعنّا به ، آمين [خفيف][1] :

أَتُرى مُمْرِضي درى بِسقامي؟ ... فهي إن تُرْضِهِ أعزُّ مرامِي

[50] / ما عدا هجرَه فأجناد صبري ... ما آستطاعت لحملها من قيام

أيّها الهاجر وإن كنتَ أهلا ... أين حِلم النّهى وصفحُ الكِرَام؟

كيف يا سيّدي وأنتَ مُرادي ... وعلى مَنْ سِوَاكَ ألف سلام؟

5 كيف أذللتَ بالجفاء مُحِبّاً ... لك في قلبه أعزّ مقَامِ ؟

صار يهوى من بعد طول آئتِلاَفٍ ... لكَ وَصْلاً ولو بطيْف منام

آهِ ألفا على ليالٍ تقضّت ... نظَمَتْ شملَنا بأيّ انتظام

حيث فاس قرارُنا وهي دارٌ ... ما لِدَارٍ في حُسْنِهَا من نظام

ما لِمِصْرَ ولا لبغدادَ معنىً ... مشبهٌ لا ولا العراقِ وشامِ

10 أيُّ سرٍّ فيها وأيُّ سُرورٍ ... قد قطفنا وأيّ شرب مُدَام

---

(1) مجمع ، 6 ب ، التعطير ، 30/1 . والتجاني ، حسب ما كتبه الشيخ إبراهيم الرياحي (التعطير ، 12/1) هو « أمير الأولياء ، وخلاصة الأصفياء ، الغوث الأشهر ، العارف الأكبر ، الكهف الأفخر ، مركز دائرة أهل الله ، ملجأ الكبراء من خلاصة خلق الله ، مولانا وسيّدنا أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد بن محمد بن سالم بن سيّد الناس . . . » . وانظر ترجمته في أعلام الزركلي ، 232/1 ، وشجرة النّور الزكيّة ، ص 378 رقم 1513 ، حيث قال إن الشيخ إبراهيم اجتمع بأحمد التجاني بفاس وتبرّك به وأخذ عنه في سفارته الى المغرب .

وحول اجتماع إبراهيم الرّياحي بالشيخ التجاني ، انظر : « كشف الحجاب عمّن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب » للشيخ أحمد سكيرج ، 1961 ، ص 132-149. وقد جاء فيه (ص 136) أنّ هذه القصيدة « في كسوة ضريح سيدنا رضي الله عنه مطروزة فوق المحمل الشريف » .

أي معنىً وأي لُطْفٍ وظَرْفٍ وغرامٍ يُهَاجُ بالأنغام

والإمامُ التجاني أحمدُ فينا داعياً بالهُدى لدار السّلام

يُسْرِجُ النّورَ في القلوب ويمحو بمياه الغيوب كُلَّ ظلام

يسكُبُ السرَّ في سرائر قوم أصبحوا بالوِصَال سكرى غرام

15 ذاك فانٍ في اللّه حُبّاً وهذا في جمالِ آلنبيءِ بَدْرُ التّمام

يا نفوساً دُكّتْ لقهر التجلّي يا عقولاً خَرّتْ لِلُطْفِ الكلام

مَددٌ مَدَّهُمْ به الشيخ جوداً إنّ جودَ التّجاني في الكون هام

كيف لا والهُمَامُ أحمدُ قُطْبٌ ما له في المقام قطبٌ مُسَامِ

خاتَمٌ خصّه الإله بفضل وعطايا من المزايا عِظام

20 دُونَها تنتهي النّهى لِعُلُوّ وارتقاء من مُدْرَك الأفهام

هكذا أنبأ النّبيءُ فَصَدّقْ أو تَهَيَّأْ لرشقةٍ من سهام[1]

إنْ تَقُلْ: كيف ذاك وهو أخيرٌ هل يفوق المَأْمُومُ قَدْرَ إمَامِ؟

[51] / قُلْتُ: فاق النبيءُ وهو أخيرٌ كلَّ ذي رتبةٍ سَمَتْ في الأنام

ليس للقدرة القديمة عجزٌ وكذا الفضلُ لم يزل في آنسجام

25 خِلِّ وَصْفَ النبيءِ فهو مُحَالٌ والسّوى جائزٌ بغير ملام[2]

ليس مِن حقّك الجِدالُ ولكن أن تكون الجفون منك دوامي

حيث لم تكتحل بنور آهتداءٍ كَيْ ترى الشّمسَ ما لها من غمام

لا تُجَادِلْ في الأولياء وسَلِّم قبل توتير قَوْسِ يدِّ رَامِ[3]

---

(1) في المخطوط: «أو تهيا هيا لرشق سهام».

(2) في التعطير، وكشف الحجاب: «خلّ نعت . . .».

(3) في المخطوط: «قبل توتير قوس رام»، وفي كشف الحجاب: «قبل توتير قوس أيد رام»، وفي المجمع: قبل تواتر أبي قوس رام، والوزن يبقى مختلاً، ففضّلنا يدّ بالتشديد.

بَشِّـرْ الخـائضين فيهم بـحـربٍ	من قـويّ في بـطشـه ذي انتقام

30 رَبّ إنّـي صَـدَّقْـتُ كـلَّ وَلِـيّ	راعـيـاً قَـدْرَهم بـعيـن آحتـرام

غَيْـرَ أنّ ابنَ سـالمٍ هـو شيخي	ومـلاذي وعُـمْـدَتي وإمـامي[1]

في هـواه المـطاعِ طـاوعت عيني	وعـلى بـابـه ضـربت خيـامي

إنْ يكُنْ راضيـاً فـذلـك فـوزي	بجميـع آلْمُنَى وحُسْنِ الخِتَـام

* * *

72 ـ وقال مخاطبا الشيخ محمّـد الحبيب ابن القطبِ التجـاني ، بلّغني الله وإيّاهم من فضله الأماني ، عام 1262/1848 [كامل][2] :

يَهنِيكَ يـا ذا الـطِّرس كفُّ محمّـد	وكفـاكَ لَثْمُ التّرب من أَقْـدَامِـه

فـإذا شَمَمْتَ المسك من إقبـالـه	وَنَمـا سُـرُورُكَ حين كشف لثـامـه

فقل: آلسّلام عليه يا آبْنَ المصطفى	بـآبن آلختِام الغَـوْثِ في أيّامـه[3]

ذاك المشـوقُ إليـك إبـراهيمُ قَـدْ	قَعَـدَ المَشيبُ بـه إلى أسقـامـه

5 فـلذاك عن إقـدامـه نـابَتْ لـه	عُـرُبٌ كساهـا الحُسْنَ من أقلامـه

ينهي آشتيـاقـاً بـالفؤاد مُلَخَّصـاً	لا يستـطيع آلْكَتْبُ شَرْحَ غـرامـه

ويـروم منك رضىً بـه أرواحنـا	مـاءُ المزون مُمَـازِجٌ لمَـدامـه

دامت عُـلَاكَ وَدَام سِرٌّ طـريقِنـا	كـأسَ الرّحيق وأنت مِسْكُ خِتامـه

* * *

(1) ابن سالم : هو أحمد التجاني ، كما مرّ في نسبه .

(2) التعطير ، 35/2 ، مجمع ، 8 أ .

(3) كان التجاني شريفا ينتسب الى آل البيت .

73 ـ / وقال رضي الله عنه يمدح الخليفة الأعظم الشيخ سيّدي الحاج علي حرازم الفاسي ، لمّا قدم الى تونس وأخذ عنه الطريقة التّجانيّة ، لا زالت بدورُها تامّة مضيئة ، عام 1796/1211 [كامل][1] :

كَرُمَ الزّمان ولم يكن بكريمِ ... وصفا فكان على الصّفاء نديمي

وأفاض من نِعَمٍ عليّ سوابغاً ... للّه يشكرها فمي وصميمي

عَظُمَتْ على الشعر البليغ وربّما ... عجز الثّناء عن الوفا بعظيم

وأجلُّها نظري إلى آبن حرازم ... وتمتّعي من وجهه بنعيم

5 وتلذّذي من خلقه بمحاسنٍ ... وتنعُّمي من خلقه بنسيم

وتعرّفي من عَرْفِهِ بعوارف ... ومعارف ولطائف وفهوم

وتعزّزي بتذلّلي لجماله ... وتشرّفي من نعله المخدوم

ذاك الذي حَمَلَتْ خزائنُ سرّه ... ما لو بدا لارتاب كلُّ حليم

وهو الذي مُنِحَ المعارفَ فارتقى ... منها لأَرْفَعِ سرّها المكتوم

10 وهو الذي جُعِلت أسرَّةُ وجهِهِ ... مرآةَ إسعادٍ وبُرْءَ سَقيم

وهو الذي نال الرّضى من ربّه ... وبنَيْلِهِ مَنْ شاء غير مَلومِ

وهو الذي أذن الرّسولُ بوصله ... وأمدّه من عنده بعلوم

وهو الذي التجاني أودع سرّه ... فيه وخصّ مقامه بعموم[2]

وهو الذي وهو الذي وهو الذي ... وهو الذي معناه غير مروم[3]

---

(1) مجمع ، 8 ب ، التعطير ، 14/1 . والشيخ علي حرازم هو صاحب « جواهر المعاني في فيض أبي العبّاس التجاني (معجم المؤلفين 57/7) . وقد قال الشيخ إبراهيم الرياحي (التعطير 12/1) إنه أخذ الطريقة التجانية عن علي حرازم في أواسط جمادى الأولى عام 1216 . وأكّد ذلك صاحب « كشف الحجاب (ص 133) . وانظر شجرة النّور الزكيّة . ص 378 (ترجمة أحمد التجاني) وفيها ما يوهم بأن شيخنا أخذ الطّريقة عن التجاني مباشرة أثناء سفارته الى فاس سنة 1218.

(2) آسم التجاني هنا يقرأ « التيجاني » ليستقيم الوزن . والمدّ فيه مشهور عند أهل تونس .

(3) مثال آخر من ميل الشيخ الى التراكم والترديد .

15 عظمت لديه مواهب أضحت لها ... هِمَمُ الورى تسعى بكلّ سليم

وَسَعَتْ محبّتُه إلى أرواحهم ... فهي الغِذاءُ لراحلٍ ومقيم

يا سيّدي ولكم دَعَوْتُ لسيّدي ... حتى عرفتُك فآسْتَبَنْتُ رجومي[1]

وعلمتُ أني كنت أرقم في الهوا ... وأسير خلفي والشّقاء نديمي[2]

يا مَوْئلي وكفى بفضلك مَوْئلاً ... وَمُؤَمَّلي عند آلْتِهابِ سَمومي

[53] 20 / هل أنتَ كاشفُ كُرْبتي فلقد سَطَتْ ... وطَغَتْ عليّ وساوسي وهمومي؟

هل أنت راحمُ شقوتي فتُرِيحَني ... فَخِيَارُ أهلِ اللّهِ خَيْرُ رحيم؟

هل مُنْقِذٌ مَنْ قد تحيَّرَ لم يجِدْ ... من مُسْعِدٍ يُجْلي الهمومَ زعيم؟

فَآرْحَمْ دموعاً قد رأتك عيونُها ... فتكرّمت باللّؤْلُؤِ المنظوم

وجوانحاً جَعَلَتْكَ في سودائها ... وقد آصطلت وتكلّمت بكلوم

25 وجوارحاً هرعت إليك يقودها ... أَصْلٌ عظيمُ الشأن غير هضيم

وسرائراً ألْوانُها بَلِيَتْ لما ... وَجَدَتْ سوى شوقٍ إليك أليم

وَمُتَيَّماً لولا التذكّر لم يكن ... بِمُجَدِّدِ الأشواق غَيْرَ رميم

لا تَقْطَعَنْ أملي وقد وَجَّهْتُه ... يسعى إليك وأنت خَيْرُ كريم

وقدِ آتّخذتُكَ في الأنام وسيلةً ... وتَوَسُّلي بِهُذَاكَ غَيْرُ فصيم

30 وجعلت حُبّي عند فضلك ذمّةً ... وتذمّ[ما] بعُلاك غيرَ ذميم[3]

ورَجَوْتُ من ربّي بفضلك ما أنا ... أصبحتُ من معناه غيرَ عديم

يا مُسْنَدي، يا مقصدي، يا سيّدي ... يا منجدي ومؤمّلي وحميمي

---

(1) الرجوم هنا جمع الرجم (بالظنّ والغيب) .

(2) في المخطوط والتعطير : في الهوى . ورقم في الهواء (أو الماء) لعلّها كناية عن الفعل الباطل ، كمن يكتب في الهواء أو الماء .

(3) هذا البيت ساقط من التعطير .

أنت الـذي ربّي آصـطفـاك لِسِـرِّه [وحبـاك من فضـلٍ عليـكَ عميمِ
فلك الهنـاءُ فأنت سلطان الـورى] وَلِيَ آلهنـاءُ بـأن تقولَ خـديمي[1]
35 ورسـولُـه أَوْلاَكَ مَـا آعْتَـرَفَتْ بِـه لـك أَهْـلُ سِـرِّ الله بـالتّقـديم
فَسَـلاَمُ رَبِّـكَ كلّمـا هبّت صَبَـا يغشـاك طيبُ مِـزاجِـه المختـوم

* * *

74 ـ وقال قدّس سرّه ، يمدح سلطان المغرب مولاي سليمان ويهنّئه بـوصول غنيمـة له . ومن غريب الاتّفـاق أن بلغه خبـرها وهـو ينتهي في درس التفسير الى قـولـه جلّ وعلا : ﴿ وَآعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْء ﴾ الآية [الأنفال ،] 41 ، وذلـك عام 1804/1218 [طويل][2] :

دلائـلُ فضـل اللّه فينـا تتـرجمُ وإنْ غَفَلَتْ عنهـا طـوائـفُ نُـوَّمُ
ومِنْ أَكْبَـرِ النّعمى وِلاَيـةُ مَنْ لـه علينـا وفينـا حكمـةٌ وتـحكُّـم[3]
[54] / تَلَطَّفَ في إخفـائهـا مُتَسَتِّـراً ومن كَمُلَتْ فيـه الـولايـةُ يَكتُـمُ
ولـمّـا أراد اللّهُ إظـهـارَ سِرِّه جرى الأمرُ في الإظهار من حيث يعلم

---

(1) ما بين المربّعين زيادة من التعطير .
(2) مجمع ، 12 أ ، التعطير ، 24/1 والإتحاف ، 76/7 ومسامرات الظريف ، 166/1 وقال الشيخ عن ظروف نظم هذه القصيدة ما يلي :
« لمّا أنشدت بين يدي السلطان أيّده الله بنصره [قصيدة إن عزّ من خير الأنام مزار] ، ارتـاب بعض الحاضرين في مجلسه أن يكون ناظمها العبد الفقير ، إذ رأى شدّة وقوعها الموقع العزيز في قلب الممدوح ، زاده الله عزّاً ونصراً . فجاءني بعض كتّابه وأخبرني وقال : آدفع هذا الريب بنظم قصيدة في اتّفاق غريب وقع لمولانا السّلطان خلّد الله ملكه ، وذلك أنه وقف يـوماً في إقرائه للتفسير على قوله تعـالى : واعلموا أنّ مـا غنمتم ، الآية ، فـاتفق أن جاءتـه غنيمـة في مسـاء ذلـك اليـوم ، وتبـارت الشعـراء في البيان عن هذا الغرض العجيب والاتفاق الغريب . فإذا أحسنت في البيان عن هذا الشان ، ارتفع هذا الريب وحُسِبْت من فرسان هذا الميدان . فقلت معرّفا ، ولخيام الشكّ مقوّضا . . . . » (المراجع المذكورة) .
(3) في الإتحاف : « ومن أكرم » .

5 أَلَمْ تغتنم وقت المساء وغدوة بدا الوقف في التفسير آيةَ «وَٱعْلَمُوا»

ليدري صحيحُ الذّوق أنّ مليكَنا له في طريق الكشف نَهْجٌ مُقوَّمُ

وأنّ لنا فيما قضاه مغانماً فبدّل ذي ، بدءًا لما هو أعظم[1]

فلا زالت الأيّام تخدم سعده ولا زال مثلي في حلاه ينظّم[2]

* * *

75 ـ وقال رحمه الله يرثي الأمير حمّودة باشا ، باستدعاءٍ من أخيه عثمان [كامل][3] :

حُكْمُ المنيّةِ نافذُ الأحكامِ والدّار ما جُعِلَتْ بدار مُقَامِ

كَمْ فتّتَتْ كَبِداً وكم أبكت دماً ورفيع عرش ثُلَّ بعد نظام

وَلَرُبّما هان المصاب وأنتَ يا حمّودة جلل على الأيّام

يفنى الزّمان ورُزءُ فقدِك حادثٌ يُتْلَى على الأفواه والأقلام

5 إنْ تَسْخُ جامدةُ العيون بِدرّها فلطالما رَوِيَتْ بكأس منام

أَوْ تَلْبَسِ ٱلدّنيا عليك حِدادها فَغُرُوبُ شمسِك مُؤْذِنٌ بظلام

لكن مَآثُرِكَ التي خَلَّدْتَهَا أَبْقَتْ سَنَاك وأنت تحت رُجَامِ[4]

ٱلسُّورُ ما سَوَّاهُ إلاّ عَزْمُهُ ومُشَيِّدُ الأبراج تحت ضِرَامِ[5]

---

(1) في التعطير : « فعجّل ذي برء » ، وفي مسامرات الظريف : « فعجّل ذي بدء » ، وفي الإتحاف « فعجّل ذي ، بدءا . . . » .

(2) في التعطير ومسامرات الظريف : « في علاه » .

(3) توفّي حمّودة باشا سنة 1814/1229 وخلفه أخوه عثمان باي . والأبيات في مسامرات الظريف 37/1 والمجمع ، 19 أ .

(4) الرُّجمة هي الحجارة التي تنصب على القبر ، واحدة للذكر واثنتان للأنثى .

(5) في الديوان : « ومشيد أبراج حمت بضرام » . وفضّلنا قراءة المسامرات . وفي هذا البيت يشير الشيخ الى السور الثاني الذي بناه حمّودة باشا حول مدينة تونس . قال ابن أبي الضياف (الإتحاف ، 38/4) : « وابتدأه ببرج باب الخضراء الملاصق به ويعرف ببرج صاحب الطابع ثم برج سيدي يحيى السليماني ثم برج باب سعدون وبرج باب خالد ويعرف ببرج سيدي قاسم الجليزي » .

أمّـا الثّغـور فـإنّهـا غُصَصُ آلْعِـدَا　　وشِـفَـا الـصّـدورِ لأمّـة الإسـلام
10 ولكم سَقَيْتَ الـرُّعبَ من شقَّ العصـا　　ومَـزَجْـتَ كـأسَ سـرورِه بحِـمـام
مِـنْ بَـعْـدِ مـا بَـالَـغْتَ في إرشـاده　　وغَـضَضْـتَ جفـنَ الحلم غَضَّ كِـرَام
حتى أطـاعَـكَ فيهُمُ آلنّصـر الـذي　　خـضعـوا بـه قَسْـراً خضـوعَ لِئَـام
وبـلغتَ أنّـك إن رَأَوْا لـك عسكـراً　　هُـزِمـوا بـلا طَعْـنٍ وسـلِّ حُسَـام
وغَـدَتْ بـذلـك تـونسُ تَـفْتَـرُّ في　　حُـلَلِ الهنـا عن ثغـرهـا البسّـام
[55] 15 / محسـودةً كَعُـقَـابِ جـوٍّ مَنْعَـةً　　بشمـوخـهـا وكَمِيِّهـا الضِّـرغـام
والآن فـهـي لـفـقـده مـحـزونـةٌ　　تـبـكي عـلـيـه بِكُـلِّ طَـرْفٍ دامي
فكـأنّمـا عَيْنُ الحَـوَاسِـدِ فَـوَّقَتْ　　لِجَمَـالِهـا عن قَـوْسِهـا بِسِـهَـام
لمّـا دعـا داعي الـرِّضى فـأجـابـه　　مـسـتـسـلمـاً لـلّه فـي الأحـكـام
فَـآفْسَـحْ لـه آللّهُـمَّ عنـدك منـزلا　　وآسْـمَـحْ لـه بـزيـادة الإنـعـام
20 ولـقـولتي حَقِّـق بفضلك فيـه إذْ　　أرَّخْتُ : قيـل : آدخـل لنـا بسلام[1]

1229

* * *

76 ـ وقال أحسن الله مثواه في دار السّلام ، مؤرّخاً بناء السقاية التي أنشأها الوزير يوسف صاحب الطابع داخل باب سيدي عبد السلام [متقارب][2] :

سبيـلٌ ثنى صاحبُ الطابع آلـ　　ـعنـانَ إليه وشـاد انتظامَـه
لقـد حـاز يـوسف عـزّاً بـه　　وأحـرز آلاَجْرَ ليوم القيامـة[3]

(1) حساب الجمّل يوافق هذا التاريخ .
(2) التعطير ، 35/I ـ كنّش الطواحني 18763 ـ مجمع ، 24 ب .
(3) بيت ساقط من التعطير .

وساق الأجور لمخدومه آلـمـــــليكِ الهُمَامِ ومولى الكرامَة[1]

فَنِعْمَ الجميـلُ لـمن قـد بـنى ونِعْمَ الجميل لِمَنْ قـد أقـامَـه

5 شـفى غُـلَّةَ الخـلق في وقـتهـا وأطفـأ من كـلّ ظـامٍ أُوامَـه[2]

وجـاء بـمـاءٍ مَـعِـيـنٍ لـه على آلسِّلْمِ وآلأَمْنِ أقوى علامَة

فـلا غَـرْوَ أن جـاء تـاريخُـه : سبيـلٌ حفيلٌ سبيـل السّلامَـة[3]

1219

* * *

77 ـ وقال ضاعف الله له الأجور ، يرثي صديقه الوزير المذكور [كامل][4] :

لـلّه قـد وجـب الـدَّوَامْ وسِـوَاه نـهـبٌ لِـلْـحِـمَـامْ

حُـكْـمٌ جـرى تـعـمـيـمُـه حـتـمـاً عـلى كـلّ الأنـام

سـيّـان في تـنـغـيـصـه عـالٍ ومُـنْخَـفِضُ الـمقـام

أيـن الـمـلوك وأيـن مَـنْ كـانت لهم تُـرْعَى الـذِّمام

[56] 5 / لـم يَـحْـمِـهـم مـالٌ ولا لَـمْـعُ الصـوارم والـسِّـهـام

وجـمـيـع عِـزِّهُـمُ آنـطَوَى كـالـبرق في طيّ الغـمـام

لم يـظفَروا بسـوى الـذي عَـمِـلُوه مـن خَـيْـرٍ مُـدَام

وجـدوه نُـوراً عـنـدَمـا يسعى المُقَصِّـرُ في الـظلام

وجـدوه سـعـداً مُـؤْنِـسـاً يَـهْـدِي إلى دار الـسّـلام

10 وجـدوه مُـلْـكـاً جَـلَّ أن يـسعى لـعـزّتـه آنصرام

---

(1) الأمير حمّودة باشا الحسيني (1777-1814) .

(2) الغُلّة والأوام : العطش الشديد .

(3) يستقيم الحساب بإسناد 5 الى التاء الختاميّة .

(4) مجمع ، 25 أ والتعطير وكنّش الطّواحني . وقد استشهد يوسف صاحب الطابع في 11 صفر 23/1230 جانفي 1815 (انظر ترجمته في الإتحاف ، 7/89-100) .

هــذا الــذي قــد رَامَــه ... بـصنيعـه هـذا الـهُمــام[1]

فــأتــى بــكــلّ عــظيــمــة ... عن مثلهــا صَغُــرَ الـعـظام

أَوَلَــمْ يُـسِــلْ عَـيْـنَ الـنّـدى ... حتّـى تَـضَـلّعَ كـلُّ ظـام[2]

أوَلَــمْ يَــشِـدْ لــلدّيـن مــا ... أنــوارُه ذات ابــتــســام؟[3]

15 مِـنْ جــامــعٍ جُـمِـعَـتْ لــه ... كــلّ المحاسن بــالتّمــام[3]

ومـكــاتــبٍ أضـحـى بــهــا ... دُرُّ الـمفــاخــر في انـتـظام

ومَــوَارِدٍ بــزُلالــهــا ... أَبْــرَى الأنــامَ مــن الأُوَام[5]

هــذا، وكـم قَـصَـدَتْـهُ فـي ... أيّــامــه زُمَــرُ الــمــرام[6]

والــدّهــرُ كم لَحَـظَتْـهُ مـن ... إجــلالــه عَــيْـنُ آحــتــرام

20 قــاد الـصّـفــوف بِـعَــزْمِـهِ ... وبــرأيــه صــلّى الإمــام[7]

فــأطــاعــه فــي حــربــه ... نَــصْــرُ عــزيــزٌ لا يُــرام

ثــم آنْـقَـضَـى فـكـأنّـه ... طَيْـفٌ تَعَــرَّض في مـنـام

وَمَــنِ آلــذي دامــت لــه ... والــدّهــرُ مسلولُ الحُسَــام؟

فَــبَكَــتْ عــليـه عــوائـدٌ ... غُــرٌّ بــأدمـعـهــا الـسّجـام

25 الــلّه يــرحــم يُــوسُــفـاً ... ختـم الـكِـرام بـلا كــلام

---

(1) في التعطير والإتحاف « وهو الذي » .

(2) في التعطير والإتحاف : « حتى تضاءم » . وتضلّع : شَبع ورَوِيَ .

(3) في المخطوط : « مَن » .

(4) جامع صاحب الطابع المشهور ، بحيّ الحلفاوين من حاضرة تونس . انظر : « تاريخ معالم التوحيد » (الطبعة الثانية) ، ص 212-224 .

(5) في المخطوط : « من الأسام » . والأُوام : العطش .

(6) في التعطير والإتحاف : « وكم لبّته » .

(7) جاء الصّدر فيهما : « جرّ العساكر خلفه » .

[57] / لا غَـرْوَ أن أرّخـتُـه: بـممـاتـه يَتُـمَ الـكـرام[1]

1230

***

78 ـ وقـال رضي الله عنـه يمـدح كبيـر أهـل الشّورى شيخـه إسمـاعيـل التميمي [وافر][2] :

خليلي هـل لهجـرك من خِتَـامِ — فـإنـه منـه مختصـر المَنَـامِ
وهـل تـدري بـأنّـك في فؤادي — فكيف تُـذيقُني كأسَ الحِمَـامِ ؟
وَلَسْتُ بِمُعْـظِمٍ حتفـي لشـيءٍ — سِوى خَوْفِ آنتقالِكَ من عظامي
فبـالحُسْنِ الـذي أولاك رِقّـي — وأولانـي مُحَـالَـفَـةَ السّقـام
5 تَـرَفَّقْ بي فـإنّـي لستُ مِمَّنْ — يـرى حِـلّ التّنقّـل في الغـرام
ولستُ بِمُـذْنِبٍ إلاّ بِـوَجْـدِي — إذا مَـا آلْوَجْـدُ عُـدَّ من الحـرام
وَصِلْني كَيْ تـرى جسماً نحيفاً — يبيت من التسـهّـد في ضِـرام
وإنّي في الغـرام فقيـهُ وَجْـدٍ — يـبيـت من الـتفـقّـه في مُـدام
فيشـرح مُبْهمـاً ويبين معنـىً — ويُـبْـدِي عِـلّةً وِفْـقَ الـغـرام
10 ويسلك في مسـالكهـا وجـوهـاً — لهـا وجهُ القـوارح في اغتمام[3]
ويُعْـرِب عن ضمـائـرهـا بلفظٍ — بـديعِ الصّنْـعِ في سحر الأنـام
كـأنّ الشيخَ إسمـاعيـلَ لـمّـا — تَـلألأ عِـلْمُـه يـوم الخِـتـام

(1) الحساب يفضي الى 1230 خلافاً لما في التعطير : 1231 . وفي الإتحاف : 1230 ، وهذا هو الصّواب .
(2) مجمع ، 38 أ . وأبو الفـداء إسماعيـل التميمي قاضي تـونس ومفتيها ثم رئيس المفتين بهـا بعد الشيخ محمد المحجوب سنة 1243 . وتوفّي على هذا المنصب سنة 1832/1248 (شجرة النور الزكيّة، 370 رقم 1477) . وقد خلفه الشيخ إبراهيم الرياحي .
(3) القوادح أو القوارح ، ولا يتبيّن المعنى بهما .

وفَتَّـحَ أَعْيُنـاً وشفـى صـدوراً وأذهـب داءَ أَفْئِـدَةٍ لِئـام

وأسـمـع صُـمَّ آذانٍ وحـلّـى بُـدورَ اللّفظِ ما يـوفي الكلام[1]

15 وأبـرز حين بـرّز فـي جَـلاَلٍ علوماً دونها الهمم السّوامي[2]

وأطلع من تـطلّع فـي جمـالٍ سَنـاً من دونـه بَـدْرُ التّمـام

إمـامٌ قـد حـوى عـزّاً وعلمـاً وأحـرز مصـطفى شِيَمِ الكِـرام

وشيـخٌ قـد حَبَـاهُ اللّه فضـلاً لـه ٱلْفُضَـلاَءُ جـاثيـةُ المقـام

[ويمّمـه] التّمـام بـدرّ كـلام فلُقِّب بـالـتّميمـيِّ الإمـام[3]

20 وشـرّفـه عـلا نَسَبـاً ونُسْكـاً فكـان من الكمـال على تمـام

ومـا مـدحي لـه لينـال مَـدْحـاً ولكن كي يَـزِينَ بـه نِـظامي

وأودع عـنـده عـهـداً فـإنّـي أرى الأَشْـراف عهداً للذّمـام

ولا زالت بـه الاشـرافُ تَسْمُـو فـإنّ بـقـاءه سَبَـبُ الـدّوامِ

* * *

79 ـ وقال قدّس سرّه ، مجيباً تلْمِيذه شيخ الإسلام محمّد بيرم الرّابع عن سؤال أرسله إليه عام 1826/1241 [طويل][4] :

(1) هذا العجز غامض ، والقراءة فيه تقريبيّة .

(2) في المخطوط : « في حلال » ، بالمهملة .

(3) الصّدر عسير القراءة ، والإصلاح من المجمع .

(4) مجمع ، 44 ب . وتولى محمد بيرم الرابع مشيخة الإسلام خلفاً لأبيه محمّد بيرم الثالث سنة 1843/1259 ، وتوفّي سنة 1861/1278 (انظر ترجمته في الإتحاف ، 124/8) . والسؤال يتعلّق برؤيا منسوبة الى الشيخ أحمد التجاني في اقتراب السّاعة وفناء العالم. فقال بيرم الرابع في سؤاله (التعطير، 101/1 وكشف الحجاب ص 141) :

لقـد ظهـرت رؤيـا لهـا نسبـة الى إمـام لـه بـيـن الأنـام تـقـدُّم

مـلخّصهـا أنّ الأنـام جـميـعَهـم لـذا القـرن تفنى دون ريب وتعـدم

أهـل هـو ممّـا صـحّ عنـدك نقلُه عن الشيخ ، أم للمَين فيه تـوسّم ؟

أَيا مَنْ سَبى الألبابَ لُطْفُ كلامه ... كما أنّه في الأذكياء مُقدَّمُ

أَتَتْنيَ من سحر البيان قصيدةٌ ... وما هي إلا عِقْدُ دُرٍّ مُنظَّمُ

تُسَائِلُ عمّا شاع في النّاس ذكرُه: ... أَهَلْ لَهُ أَصْلٌ في الثّبوت مُسَلَّمُ؟

نَعَمْ هُوَ رَيْبٌ دون مَيْنٍ ومَا لَهُ ... ثُبُوتٌ وأَمْرُ الشيخ أعلى وأَعْظَمُ

5 جزى اللّهُ خِزْياً مُفْتَرِيه وذِلّةً ... وَمَأْواهُ إن لم يَعْفُ عنه جَهَنّمُ

فهذا جوابٌ للّذي هو طالبٌ ... حقيقةَ هذا الأمر ، واللّه أَعْلَمُ

ويسأل إبراهيمُ من فضل ربّه ... لكَ الأَمْنَ في الدَّارَيْنِ وهو يُسَلِّمُ

* * *

[59] 80 ـ / قال قدّس سرّه، مخاطباً الشيخ محمّد [عبشة] قاضي مجاز الباب [كامل] [1] :

أمحمّدٌ قد حُزْتَ كلَّ فضيلةٍ ... قدماً شهدتُ بجودك المعلوم [2]

فأمْنُنْ بفِطْرٍ من طعامك إنّني ... أصبحتُ للتّزريد كالمفطوم

وآعلم بأنّك إن بَخِلْتَ بأكله ... عُوقِبْتَ من صَبْرِ آلْتِهاب سَمُومِ

* * *

81 ـ وقال رضي الله عنه ، مجيزاً تلميذه القاضي محمّد بن سلامة عام 1846/1263 [كامل] [3] :

حمداً لمن جعل الإجازةَ سُلَّما ... يَرِثُ آلْمُجَازُ بنَيْلها نسباً سَمَا

---

(1) مجمع ، 44 ب قبل هذه الأبيات نصّ إجازة نثرية من الشيخ إبراهيم الرياحي الى الشيخ بيرم الرابع في رجب 1243 ، تتعلّق بدلائل الخيرات ، وهي تشغل قسماً من لوحتي 58 و 59 . وقد رأينا الإعراض عنها .

(2) في المخطوط : « أمحمّداً » . وقد نوّنّا بالرفع ، وبعض الشيء أهون من بعض .

(3) التعطير ، 105/2 . والشيخ محمّد بن سلامة تولّى عدّة خطط شرعيّة بحاضرة تونس منها القضاء والإفتاء . وتوفّي سنة 1850/1266 ، انظر ترجمته في الإتحاف ، 77/8 .

وصَـلاَتـهُ وسـلاَمُـه أبـداً على ... خَيْـرِ الـورى متعلّمـاً ومُعَلِّمَـا

ولآلـه وجميـعِ أمّتـه الـرّضى ... لا سيّمـا علمـاؤهم لا سيمـا

هـذا وإنّ الفـاضـل آبْنَ سَـلاَمـةٍ ... ذاك الـذي مَتْنَ الكَمـالِ تَسَنَّمَـا

5 هَشَّتْ إلى نَيْـلِ الإجـازة نَفْسُـهُ ... لمّـا رآهـا لـلأفـاضـل مَغْنَمَـا

فمن الفقيـر لهـا آلْتجـا مَعْ أنّني ... مـا كنتُ للظّمـآنِ فيهـا مَعْلَمَـا

لكن رَجَـوْتُ تَشبُّهـاً بـرجـالهـا ... آبـائِنـا العُلَمَـا وَمَنْ يُشْبِهْ فَمَـا[1]

فـأقـول: إنّي قـد أَجَـزْتُ لـه بـلا ... ثني روايـةَ مـا يصـحّ لِيَ آنتمـا

[60] / مُوصٍ كما أُوصيت بالتّقوى التي ... أوصى بهـا القـرآن نصّـاً مُحْكَمَـا

10 مـن كـلّ مـا أدريـه وأرويـه لا ... الجُعفيّ أَقْصِـدُه فقط أو مُسْلِمَـا[2]

وبـدعـوةٍ منـه بقلـبٍ حـاضـرٍ ... أرجـو بهـا حُسْنَ الختـامِ مُكَـرَّمـا

واللّهَ إبـراهيمُ يحـمَـد مُهْـدِيـاً ... أَزْكى الصّلاة على الرّسـول مُسَلِّمَا

***

82 ـ وقـال رضي الله عنـه يمـدح آل النبيء ﷺ ، وتعـرّض للشيـخ محمّـد السّعيـد المغربي الحسني ، وذلك في 14 شعبان 1232/ جوان 1817 [كامل][3] :

زَمَنَ التّقى آغْـرُبْ ما عليك مَـلاَمُ ... تَقْـوَى المُـتيَّـمِ لَـوْعَـةٌ وغـرامُ

مَنْ يـرتجي عَـدْنـاً بفضـل تنسّـكٍ ... فـالنّـاس في سُبُـلِ الهـوى أقسـام

---

(1) تضمين للمثل : « وَمَنْ يُشْبِهْ أَبَهُ فما ظلم » (الميداني رقم 4019) .

(2) الجُعْفِي : الإمام البخاري رضي الله عنه .

(3) مجمع ، 26 ب ، التعطير ، 87/1 ، وجاء في تقديم هذه القصيدة ما يلي :

« اجتمع الشيخ رضي الله عنه في أوائل شعبان 1232 بالشيخ محمد السعيد بن عبد الله الغزواني بن محمد السّعيد ابن الحاج المفضال الدقاليّ الإدريسي ، عند وفوده لتونس ، فامتدحه بقصيدة وهي . . » .

وتَـوَلُّـعـي بـمـحـمَّـدٍ وبـآلـه ... حظّي، ويا كلَّ الحظوظ سَلاَمُ!

قـل لـلعـواذل فيـهمُ أحسنتـمُ ... إنّ المـلامـة في الغـرام مُـدام

5 حـاولتمُ بـالعـذل نـزعَ محبّـةٍ ... ثَمِلَتْ بهـا يـوم الخـطاب نِـدَامُ

عـاقرتهـا صِرْفـاً كمـا شاء الهـوى ... ومـزاجُـهـا يـا حبّـذا الأنـغـامُ

فهناك لي طاب الشّرابُ ولم يكن ... فـي كـأسـه لَـغْـوٌ ولا آثـام

إن تـطلبوا التّقليـد منّي في الهـوى ... فَـلِمِثْلِيَ آلتَّـقْلِيـدُ فيـه حَـرَامُ

وضـحت فـصحّـت لـلفـؤاد أَدِلَّـةٌ ... حَـجَبَتْكُـمُ عن دركِـهِـنَّ سِقـام

10 ونـظرتُـها والشّمسُ دون ضيـائِهـا ... إذ أنـتمُ كَـلْمى الـجـفـونِ نِـيـام

وشممتُ عَـرْفَ حـديثِهـا وسمعتُـه ... دُرّاً يُـغـيـر الـدُّرّ وهـو نـظام

للّه هُمْ ومـحـاسنُ خُـصُّـوا بـهـا ... سَمَحَتْ بهـا الأيّـام وهي جهـام[1]

ومكـارم هِمَمُ الـزّمـان قصيـرة ... عـنـهـا وألـسنُـهـنّ والأقـلام

مـاذا يقـال لهم إذا قـالـوا بنـا ... مُحِيَ الضّلالُ وكُسِّـرَ الأصنـام

15 مَـنْ يَتَّـبِـعْ آثَـارَنَـا فَـلَهُ الـهنـا ... دارُ آلنَّـعِـيـمِ ودينُـه الإسـلام

هـذا هـو الشرَف الأثيـل فَلُذْ بـه ... لا مـا سـواه فـإنّـه أوهـام

[61] / واستَنْفِـدِ المقدورَ في تعـظيمهم ... قَـوْمٌ أَجَـلُّهُـمُ الـكـتـابُ عِـظَامُ

وآصْرِفْ لنجلهمُ السّعيدِ محمّدٍ ... وجـهَ الثنـا تَسْعَـدْ لـكَ الأيّـامُ

ذاك الـذي وضحت محاسنُ نـوره ... نـورُ النبـوّة واضـحٌ بسّـامُ[2]

20 وتـبـينـت فـي وجـهـه نَـضَّـارة ... إنّ الـسّـعـادة نـضـرة وكـلام[3]

جـلّ الـذي سـوّاه حُسْنـاً خـالصـاً ... فـكـأنّـه لـم تَـحْـوِهِ الأرحـام

---

(1) في المخطوط « حظوا » .

(2) في التعطير ، « سرّه » .

(3) في المخطوط وفي التعطير : نظارة ونظرة.

لا تعجبوا ، فجمال أرباب العبا | لجمال مولانا السّعيدِ قوام
أو تحسبوه جهالةً شمسَ آلضُّحى | ولها على نقض الغروب ظلام
أو تظلموه بجعله بحرَ النّدى | والبحرُ رشح أنامل وسجام
25 ولئن حوى كلَّ العلوم فإنّما | من بيتهم حَظِيَتْ بها الأعلام
فمتى تَرِدْ صَفْوَ المعارفِ منهمُ | فآشرب فما بعد آلشّراب هُيَامُ
وآقبِسْ مَصُونَ السِّرِّ من نَفَحَاتِهِمْ | فهمُ فقط دون الأنام كِرَامُ
صلّى الإله عَلَيْهِمُ وِفْقَ الرِّضَى | مِنْ بَعْدِ مَنْ هو فاتحُ وخِتَامُ
ما حَرَّكَتْ ريحُ الغرام سواكناً | وترنّمت فوقَ الغصون حَمَامُ

* * *

83 ـ وقال(1) قدّس سرّه لمّا اصطلح الشيخان رئيس الكتبة محمد الأَصرم والقاضي محمد بن سلامة في شأن بناء حائط بينهما ، بعد مشاجرة عظيمة ، والخطاب للأول [كامل] :

ما بين ناظر مقلتي وجفونها | وَقَعَ القذى فأطار ذاك منامي
فالحمد للّه الذي قد سرّني | بزواله فشفى بذاك سقامي

* * *

84 ـ وقال(2) قدّس سرّه مجيزا الشيخ صالح الشامي في سفره للحجّ عام 1826/1241 [كامل] :

حَمْداً لمن بجزيل فضلٍ أَنْعَمَا | وخصوص إِنْعَام بما قد علّما
ثم السّلامُ مع الصّلاةِ على الذي | لولاه ما أَرْضاً رأيتُ ولا سما
والآلِ طُرًّا والصّحابةِ كلِّهم | ومَنِ آبْتَغى الإسلام ديناً قَيِّمَا

---

(1) مجمع ، 45 أ .

(2) مجموع ح.ح. عبد الوهّاب ، 18841 ، مجمع الدواوين 31 ب .

[62] / هذا، وإنّي قد أجزتُ لصالح ... ذاك الذي للشّام في الأصل آنْتَمى

5 ما صحّ نسبتُه إليّ روايةً ... أو قلته ، نثراً يُرى ومُنظّماً

ساعفته جَبْراً له ولو آنني ... ما كنتُ في نفر الإجازة مَعْلَمَا

موصىً بتقوى الله جلّ جلاله ... وبدعوة تجلو عن القلب العمى

وأنا الرّياحِيُّ ابنُ عبدِ القادر الـ ... ـعبدُ الذي يرجو الشّفاءَ من الظما

ثمّ الصّلاة على النبيء وآله ... ما طائرُ بين الغصون ترنّما

10 والحمد للمولى العظيم أحقُّ ما ... بدأ المهمَّ به أمرُؤٌ أو تمّما

* * *

85 ـ وقال تقبّل الله عمله ، وبلّغ في دار المقامة أمله ، يمدح رجلا يتعاطى الطبّ يقال له عبد الرّحيم وقد داوى أحد أولاده فنجح علاجه [وافر] :

قليلٌ فيكَ يا عَبْدَ الرَّحِيمِ ... نظامٌ جَلَّ عن دُرٍّ نَظِيمِ

جمعتَ الحُسْنَ مَعْ أدبٍ وطِبٍّ ... وأخلاقٍ أَرَقَّ من النّسيم

إذا نادمتَ ذَا حَزَنٍ تسلّى ... وفي مرآك عافيةُ السّقيم

لقد أحْيَيْتَ جالينوس حتّى ... غنينا بالجديد عن القديم[1]

5 أطال اللّه عمرَكَ في عوافي ... كما مثواك جنّات النعيم

* * *

86 ـ وقال متّعه الله برؤيته ، وأعلى منزلته في دار كرامته ، مناقضاً آبن جزّي القرطبي في قوله : « يا محبّا كتب الحسن به » الخ [رمل][2] :

---

(1) في المخطوط : « جاليانوس » والتصويب من المجمع ، 45 ب ومن المألوف .

(2) التعطير ، 110/2 والأبيات ساقطة من المجمع . وابن جزي الكلبي : محمد بن محمد بن أحمد ، شاعر وكاتب أندلسي خدم ملوك غرناطة ثم بني مرين بالمغرب وتوفي سنة 757 (أعلام الزركلي 266/7) . . وأبوه أبو القاسم (ت 741) فقيه وأصولي مالكي ذو تصانيف كثيرة (الأعلام 221/6) . انظر خبره في نفح الطّيب (طبعة إحسان عبّاس 526/5) .

والأبيات التي عارضها الشيخ هي (نفح الطيب 533/5 والتعطير 109/2) :

يا مُحِبّا كَتَبَ الحسنُ به ... أَحْرُفاً أَبْدَعَ فيها وبَرَعْ :

يـا جميلَ ٱلـوَجْهِ، والحُسْنُ بـه أَحْسَنَ ٱلْكَتْبَ على وجْـهٍ أتـمّ
قَـوَّسَ النّـونَ لِعَيْنٍ حـاجبـاً وبِميمِ الثّغـر في الـخّط خَتَـمْ
كيف لا أطمـع في وصلك لي وعلى وجهـك مكتـوبٌ: نَعَمْ

* * *

87 ـ وقال رضي الله عنه يرثي شيخه القاضي أحمد بو خريص [خفيف][1] :

كـم رحيـقٍ مـعـطّرٍ مـخـتـومِ في كؤوس المنـطوق والمفـهـوم
[63] / قـد سقاها أبو خُـرَيْصٍ مُـدَامَـا أَطْـرَبَتْهُم بسِـرِّهـا الـمكـتـوم
في دروسٍ أنـوارُهـا سـاطعـاتٌ في سمـاء النّهى بِحُسْن فُـهـوم
طـالعُ السّعـد قـال: ذاك محلّي لا يحيط عن قـطبهـا المعـلوم[2]
5 أحمـدُ جـامـعُ الجوامـع طـرّاً سيّـدٌ في الكمـال غَيْـرُ مـروم
عضـد الـدّين حـجّـة الله فخـر في سبيـل الهـدى وبثّ العلوم[3]
أيُّ بَحْـرٍ في العلم لم يَجْرِ منـه أيّ طـام مـن رأيـه مـخـتـوم[4]
ذكـرُه المسكُ في الآفـاق عبيرٌ قـدرُه دُونَـهُ مجـاري النّجـوم[5]
صِيتُـهُ الشّمسُ شهـرةً في البـرايـا فـي ثـنـاءٍ كـالـلّؤلؤ الـمـنـظوم

= ميـم ثـغـر ، ثـم نـون حـاجـبٍ ثـم عـين هـي تـتـمـيـم الـبـدع
أنـا لا أطـمـع فـي وصـلـك لـي وعـلى وجهـك مكـتـوب : منـع

(1) مجمع ، 38 أ ، التعطير ، 97/1 . والشيخ أحمد بوخريص مدرّس بجامع الزيتونة ، تولّى قضاء الجماعة في التـاسع من ربيع الثاني 1230 (19 فيفري 1815) واستقال بعـد ذلك بمـدّة قليلة ، مفضّـلاً التفـرّغ للتـدريس الى أن أدركتـه المنيّـة في الخـامس من ربيـع الأوّل 1240 (28 اكتوبـر 1824) (الإتحـاف ، 139-138/7) .
(2) في التعطير : « لا محيط » .
(3) في المخطوط : « عضو الدين حجّة الدين » .
(4) هذا البيت ساقط من التعطير. وكلمة «مختوم» ظنّية . وفي المجمع : أيّ ضام (ظامى) من ريّه محتوم .
(5) في التعطير : « عبيق » وفي المجمع : غبيق بالمعجمة .

10 ثم لبّى لـمـا دعـاه آلـمـنـادي لِـقَضـاءٍ عـلى الـورى محتـوم
سكن القبـرَ بعـد تلك المعـالي يَـا لَحِصْنٍ من الهـدى مهدوم !
إنّ هـذا المصـابَ خـطبٌ جسيم بَـاذِلُ الـرّوحِ فيـه غيـر ملوم
غَيْـرَ أنَّ المصيـرَ للفضـل كـفٌّ تغرس الصّبر في الفؤاد الكريم[1]
يـا إمامَ الهُـدَى عليـك سـلامٌ مـن رؤوفٍ بـالعـالَـمِين رحيم
15 رحمـةً في الحيـاة كُنْتَ ونـوراً أيّ جَهـل من بعدهـا مـركـوم
فـحقيقٌ قـولـي متى قلت: أرِّخ: كسفـت بعـدهـا بـدور عـلوم[2]

1240

* * *

88 ـ وقال قدّس سرّه، يرثي القاضي الشيخ المختار المنكّبي [كامل][3] :

قـاضي المنيّـةِ نـافـذُ الأحكـام عدل القضا حتى على الحُكّام
مـا الفضل يمنعـه ولو بلغ الفتى في الفضل مجتهداً أجـلَّ مَقامِ
آنظر إلى هذا الإمـام ومـا حـوى كيف آنْطَوَى في تربـة ورُجام
غـرَبت محاسنُـه وكانت للورى سَـرْجَ الـظّلام وزينـةَ الأيّـام
5 ولفقده يبكي القضاء كمـا بَكَتْ مُقَـلُ الأرامـلِ بَعْـدُ والأيتـامِ
[64] / للّه يـا مختـارُ مـا قـدّمتَـه من صـالحٍ ذُخـراً لِنَيْـل مَـرامِ
ولـك الهنـاءُ بِطِيبِ مـا خلّفتـه من حُسْنِ ذكـرٍ في البريّـة نـامِ

---

(1) لعلّه : « الفؤاد الكليم » .

(2) في المخطوط : « متى ما أؤرّخ » ، وتأريخ الوفاة في هذا الحساب 1240 وفقاً لما جاء في الإتحاف وفي التعطير .

(3) مجمع ، 41 ب . والشيخ المنكّبي فقيه من أشراف بـاجة ، تـولّي القضاء ببـاردو وتوفي سنـة 1812/1226 (الإتحاف ، 60/7) .

فبقبــره قِفْ واعتبــر مُسْتَنْشِقــاً من نشره روضا كمِسك خِتام

وآنشُدْ لدى هذا الضريح مؤرّخاً : أَكْــرِمْ بمثــوى حلّه بســلام[1]

1226

* * *

89 ـ وقال رحمه الله يرثي المفتي الخطيب الشيخ حسين برناز [كامل][2] :

كــلُّ الـورى هَــدَفٌ لِسهم حِمـام حُكْمٌ جــرى حتى على الحكّــام

كيف الـدّوام وكـلّ شيء هــالـك لِـنَـزيـلِ دارٍ غَيْـرِ ذات دوام ؟

فـآعْمَلْ لنفسـك صالحـاً تلقـاه إذْ يصحو الورى من سكرهم بمنام[3]

وآنفض يـداً من هـذه الـدّار التي سَحَـرَتْ بـأحـلامٍ ذوي الأحـلام

5 وهي التي وعظت وحسبُك واعـظا مَــوْتُ الـعلوم ونُــقْـلَةُ الأعــلام

آنظر إلى هذا الضّـريح ومـا حَوَى من عَــالِمٍ عَلَمٍ وبَحْــرٍ طــامـي

بَـحْــرٌ مـن الـتّـحـقـيـق قـلّد دُرَّه نحرَ الـطّروس أنــامـل الأقــلام

كنــز من الـتّـدقيق كم حَلْيٍ بــه مـن دميــة الإفـتــاء والأحـكــام

هــذا الإمـام حُسَيْنٌ آلعَلَمُ الــذي نــظم التُّقى والـعـلمَ أيّ نــظام

10 يا مجمَـعَ البَحْرَيْنِ يا بـرنازُ ، مَنْ أبقيت نــوراً في دُجى الإظـلام ؟

---

(1) يوافق الحساب سنة 1226 كما في الإتحاف .

(2) الشيخ حسين برناز عالم وفقيه من أصل تركي . تولّى عدّة خطط شرعيّة بالمنستير وتـونس ، كما تـولّى الخطابة بجامع القصر ثم الإمامة بجامع يوسف داي . توفّي سنة 1813/1228 (الإتحاف ، 7/84-85) .

(3) تلقاه لا تَلْقَهُ وكذلك في المجمع ، 89 أ .

قد كنتَ مصباحَ الهُدَى وصباحَه		وجمالَ وجه محافلِ الأيّام

إن غِبْتَ عن نظر العيون فلم تزل		بين الجوانح في أعزّ مقام

يَهْنِيك ما خلّفتَ من شكرٍ وما		قدَّمْتَه ذُخراً لِنَيْلِ مَرَامِ

لا غرو أن يجد المُنى فضلاً وفي		تاريخه : حصل الهنا بختام[1]

1228

* * *

(1) تاريخ الجمّل : 1228 وفق ما في الإتحاف .

حرف النّون

90 - / قال تغمّده الله برحمته ، وأخلده أعلى قصور جنّته ، مؤرخاً بناء المغارة الشاذليّة [حين ما أتمّها شيخ الطريقة يومئذ الشريف الحاج عمر بن المؤدّب رحمه الله تعالى]سنة 1817/1232 [كامل][1] :

آنْظُرْ لـه تَمَّتْ مغـاني حُسْنِـهِ	مُتَعَبَّـداً للّه مُـذْكِـرَ عَـدْنِـه[2]
سَطَعَتْ محاسنُـه سَناً فكـأنّما	شمسُ الضُّحى بَزَغَتْ لنا من رُدْنِه[3]
وتبيَّنَتْ فـي وجهـه وردائـه	إنّ السّعـادةَ رَشْفـةٌ من مُـزْنِـه[4]
قَـرَّت بطلعتـه عيونُ أُولي التّقى	وآستبشـرت بمنائـحٍ من يُمْنِـه[5]
5 لا غَرْوَ إذْ قُطب المعارف والهدى	سـاقي مُهَيَّمِهِ وراقي حُـزْنِـه[6]
الشّـاذليُّ - ومـا أبـو حسنٍ ومَـنْ	عَـزَّتْ عن الإفصاح عزّة شأنـه!
يـا رُبَّ غـاوٍ قـد هـدى ولَكَمْ فتىً	عَـانـى الهـوى فـآفتكّه من سِجنه[7]

(1) التعطير ، 90/1 . والزيادة من مجمع الدواوين ، 10 أ . ومغارة أبي الحسن الشاذلي هي الكهف الذي كان يتهجّد به على جبل التّوبة في مقبرة الزلّاج جنوب عاصمة تونس ، وهي الى اليوم مقصد المريدين المنتسبين الى الطريقة الشاذلية ، بها يتلون كلَّ سبت أوراده وأذكاره .
والشاذلي هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبّار المغربي ، ولد بالمغرب وعاش بتونس ثم الاسكندرية وكان له كرامات عديدة . ومات بصحراء عيذاب في طريقه الى الحجّ ودفن هناك سنة 656 . انظر الأعلام ، 120/5 وجامع الكرامات للنبهاني ، 176/2 .

(2) المتعبّد بصيغة اسم المكان : المغارة المذكورة . ونفحاتها القدسيّة تذكّر بجنّات عدن .

(3) الرّدن ج أردان : كمّ الثوب .

(4) في التعطير : « رشفت » . والرشفة ما يتبقّى من ماء قليل .

(5) المنائح ج منيحة : الناقة توهب بلبنها ووبرها . وهنا : الهبة عامّة .

(6) المهيّم : الشديد العطش . والرّاقي من يستخدم الرُّقية لإزالة همّ أو وجع .

(7) في المجمع : غار .

ولـكـمْ وَلِـيٍّ نَـالَ وزن ولايـةٍ   والشّـاذليُّ بـه آستقـامـةُ وزنـهِ[1]

شيـخ الـطّريقـهِ في بنيه مُـرَبّياً   فكفـاه عن شرح الـطريق ومتنه

10 وأبـان في أحـزابـه نـوراً لمن   وقـع القَـذَى في قلبـه أو جفنـه

لا سيّما الحزبُ الكبير وما حوى   من سِـرٍّ آنْـزَلَـهُ الإلـه بـإذنـه[2]

بـاللّه شَنِّفْ مسمعي بحـديثـه   وأَدِرْهُ كـأسـاً وآسْقِنِي من دَنِّـه

وآسْمَـحْ بـه صِـرْفـاً فـإنّ قتيلَه   يبقى على رَمَقٍ ولم يَسْتَفْنِـه

فـأنا المُصابُ بحبّه وأرى الـورى   كـلٌّ أصيب بـحبّـه مـن فَنِّـه[3]

15 كـلٌّ يرى سوقَ البضـائع رابحـاً   فيمـا لَـدَيْـهِ وغَيْـرُه في غَـبْنِـه

يـا ذاكـريـن اللّه في أرجـائـه   بُشْـرَاكُمْ يـومَ المَخـافِ بِـأَمْنِـه

واللّه يـذكـرهم بـذِكْـرِكُمُ لـه   ويُحِلُّكم من ذكـره في حصنـه[4]

وطوائفُ الأمـلاكِ قـد حَفَّتْ بكم   فَلْيَكْفِ ذلـك ذاكـرا وَلْيَهْنِـهِ

هذا وما لخصوص أهل طـريقكُم   شَـرَفٌ عـظيمٌ لا يُقـام بِـمَنِّـه

20 فـآسْعَـوْا إليـه بكـلّ قلبٍ حـاضـرٍ   غَيْـرُ الـرّضى من ربّـه لم يَعْنِـهِ

[66] / ودعوا الهوى فَهُوَ الذي عاق الورى   فلَكَمْ رِهَـانٍ أُغلِقت فـي دَيْنِه[5]

وتمتّـعـوا يـا زائـريـه بمنـظرٍ   يهـدي لِمَنْ قـد زار قُـرَّة عينـه

وتـأمّلوا كيف اعتنى عُـمَـرٌ بـه   وأمـدّه التـوفيق منـه لِعَـوْنـهِ[6]

---

(1) في التعطير : « قام وزن . . . » .

(2) الحزب الكبير : لعلّه حزب البحر المشهور عند مريدي الطّريقة الشاذلية .

(3) في التعطير : « عن فنّه » .

(4) في التعطير : « بذكراكم له » .

(5) الرّهان جمع الرهن ، وهو الشيء المرهون . والبيت ساقط من التعطير .

(6) هذا البيت ساقط من التعطير . وعمر : هو الشيخ عمر بن المؤدّب المدرّس والإمام الثالث بجامع =

فبنى به سَعةً زوائدَ وافقت يُمنى مُهَنْدِسِهَا رِيَاضَةُ ذِهنِهِ

25 إنّ المَقامَ بدونها حسنٌ وفي تاريخها: تمّت زوائِد حسنه[1]

1231

* * *

91 ـ وقال نوّر الله ضريحه يمدح المفتي الخطيب الشيخ الطاهر بن مسعود حين قدومه من المغرب ، رحمه الله [كامل][2] :

زَمَنٌ بكلّ مسرّة وافاني أكْرِمْ به زمناً وأيّ زمانِ

لن أستطيع ثناءَه ولوَ انّني أُعْطِيتُ في الإطراء كلَّ لسان

حيث الحبيبُ مُنَادِمٌ ومُوَاصِلٌ وبحيث يسمعني وحيث يراني

والشّمل منتظمٌ الجواهر عقده وصفا المودّة مُثمِرُ الأغصان

5 من بعد ما طحنت كلاكلُ جَوْرِه كَبِدي وأبلى مهجتي ورماني

وتداولت بين الحشاء همومُه دُوَلاً تُشيب ذَوَائِبَ الوِلْدَانِ

وتناضلت فوق الأسى وتزاحمت شِيَعُ الرّدى وطوئفُ الحِدْثان

بكتائبٍ سُودِ الدّروع كأنّها لَيْلُ ٱلْمِحَاقِ وأَوْجُهُ السّودان[3]

= الزيتونة ، وفي نفس الوقت شيخ الطريقة الشاذلية . وقد تمّ في عهده تجديد وترميم مغارة أبي الحسن الشاذلي ، وتوفّي عن سنّ عالية في 18 جمادي الأولى سنة 1245 (نوفمبر 1829) ودفن في جوار المغارة . (الإتحاف ، 156/7) .

(1) حساب الجمّل يساوي هنا : 1231 ، خلافاً لما في التعطير : 1232 .

(2) مجمع ، 34 أ التعطير ، 110/2 . والشيخ محمّد الطاهر بن مسعود هو أستاذ الشيخ إبراهيم الرّياحي ، تولّى التدريس والخطابة بجامع الزيتونة وتوفّي بالطاعون سنة 1818 (الإتحاف ، 108/7) .

(3) المِحاق : آخر الشهر ، لا قمر فيه .

جَعَلَتْ تجولُ بِأَضْلُعِي فحروبُها ما مَرَّ عن نيرانها المَلَوَانِ[1]

10 وجوانحي ميدانُها ومداسُها ومجالُ كلِّ مهنَّدٍ وسِنان

وقُوَى الحشاءِ مغانمٌ لِكُمَاتِها قُسِمَتْ أحاداً بينها ومثاني

أفلا يَحِقُّ على الجفون تجرّحٌ وعلى الفؤاد تجرّع الأشجان؟

وتسهّدُ وتحنّنٌ وتأسّفٌ وتصعّدٌ في سُلَّمِ الهَيَمان

وأَحِبّتي ما بين ناءٍ مُبْعَدٍ وحميمٍ آنٍ في التّراب مُهَان[2]

[67] 15 / وحليفِ وِدٍّ لا يفيق من الأَسى لذهاب خِلٍّ أو نُبُوِّ مكان[3]

ومحلُّهم من بعد أُنْسٍ مُوحِشٌ يَبكي ويُبكي كلَّ صَلْدٍ جَنان

يشكو حرارة ما يذوق وإنّما يشكو فراقَ أئِمّةٍ أعيانِ

كانوا مصابيحَ الرّشاد لأهله فتناثروا كلآلِئي الأجفان[4]

سَلَّ الزّمانُ غِرارَهم فأراشهم بأسِنّةِ الأنكاد والأحزان[5]

20 وكسا جسومَ القاطنين ملابسَ آلْـ ـأسقام بعد نُعومةِ الأبدان

ولَكَمْ كَسَا مِنْ ذي اعتزاز ذِلّةَ آلْـ ـأكفان بعد رفاهة الأردان

وطوى محاسنَ مِنْ كِرامٍ سَادَةٍ وكرائِمٍ تُصْبِي الرشيدَ حِسانِ

بجنود طَعْنٍ بالحروب عليمةٍ وخبيرةٍ بِمَقَاتِلِ الإنسان

طاعونها لا يكتفي بِأَقَلَّ مِنْ أَخْذِ النّفوس ولا يقول: كفاني

---

(1) الملوان : اللّيل والنهار .

(2) الحميم الآني : في التنزيل هو الماء الشديد الحرارة . وهنا لعلّه الصديق المتأنّي الحليم . وإنما اضطرّته المجانسة بين ناءٍ وآنٍ الى هذا التّلاعب .

(3) في المخطوط : « نبوّ مخاني » . ونبا به المكان : أزعجه وأضاقه .

(4) لؤلؤ العين : دمعها .

(5) في التعطير : « غرارهم . . . بقواضب » . والغِرارة : حدّ السيف أو الجولق وهو الكيس . ولعلّه يعني به الكنانة التي تُراشُ سهامُها .

25 حتى مَلَلْتُ من الحياة وطولِها ... ورأيتُ رَمسي فيها نَيْلُ أماني

وحَسَدْتُ قُطّانَ القبور وربّما ... لذَّ الحِمَامُ لمُصْطَلي النّيران

*

فإذا نسيمٌ قد تضوّع باسماً ... بالغرب هبَّ مُعَطِّرَ الأركان

يُبْرِي آلسِّقَامَ شميمُه وبنشره ... يُطْفي حرارةَ كِلّ صَبٍّ عَانِ

يسري الى نحو المشارق مُذْهِباً ... عِلَلَ الصُّدور وغُلَّةَ الظمآن

30 ناديتُه: ماذا وَرَاءَكَ طِبْتَ مِنْ ... مُحْيِي النّفوس بنشرك الرّيّان؟

فأجابني: إنّي هببتُ مُبَشِّراً ... بقدوم من خضعت له الثَّقَلاَنِ

شمسُ الأيمّةِ طاهرٌ من نورِه ... يُهْدى لرونق حسنه القَمَرَان

شيخٌ حباه من الكمال إلاهُه ... ما لم تَرُقْ بنظيره العَيْنَان

أجلى على تَرشيشَ ظلمةَ حزنها ... فبدت بوجهٍ مُشْرقٍ فتّان

35 وأباد جُنْدَ همومها بعساكر ... [من ضيغمٍ ضارٍ بكلّ لسان][1]

[68] / أخذَتْ تُقَارِعُ كُلَّ شهمٍ ضَيْغَمٍ ... حتّى استحال مُزَوّدَ العِقْبَان[2]

ونفى لها بؤسَ السّقام فأصبحت ... خضراءَ بعد يبوسة الأفنان

وتحوّلت دارَ النّعيم وطالما ... كانت مَجَالَ مصائِبٍ وهوان

وتزخرفت حتى كأنّ قطينَها ... لم يُجرِ دَمْعَةَ حائرٍ ولهان

40 وكأنّها لمّا ألمّ بدورها ... إرَمُ تَبَدَّتْ أو قصورُ جِنان

وتباشرت لمّا رأته بأَسْرِها ... بلسانِ حالٍ أو لسان بيان

حتى رأيتُ بناءَها طَرَباً الى ... مرآه يهتزّ اهتزازَ غواني

---

(1) هذا الشطر ساقط من المخطوط ومن المجمع، 35 أ.

(2) في التعطير: «شهم غضنفر».

وجـوامعـاً ومسـاجـداً ومـدارسـاً   تـومي الى التّسـليم ذاتَ حَـنـان
ودروسُهـا تختـال في حُلَلِ البَهَـا   ولـهـا بمقـدمـه البهِيِّ تـهَـانِ
45 وتقـول: أهـلاً يـا حبيبُ ومـرحبـاً   بـك يـا إمامَ مشايخِ العِرفانِ
يـا محيِيَ الإتقـانِ بعـد دروسـه   ومـحـلّيَ الأذهـان بـالإيـقـانِ
ومُشَيِّـداً ربـع العلوم وقـد هـوى   فـوق العـروش أسافلُ الجـدران
يا آبْنَ الكِرَامِ ونخبـةَ الفضلاءِ مِنْ   أهـل الخلافـة من بني عـدنـان
يا نَجْلَ صاحِبِ خَيْرِ مَنْ وَطِيءَ الثّرى   عُمَـرٍ مُـوشِّـحِ رايـة الإيمـان
50 ومُعِـزَّ دينِ المصـطفى بـأدِلَّـةٍ   وأسِـنَّـةٍ وأجـلّةِ الـفـرسـان[1]
ومبينَ صدقِ وقوعِ ما يقضي به آلْـ   ـإرْهـاصُ، مثل تصدّع الإيوان[2]
فـأذاق كسـرى كـأسَ ذلٍّ قـاتـلٍ   فـكـأنّـه مـا ذاق بـنـتَ دنـان
كـم لي أُنَـقّي فـي الأنـام لعلّني   أُلْفِي فـمـا أُلْفَيْتُ مـثلك ثـانِ[3]
ولكم سألتُ النّاسَ هـل لك مُشْبِهٌ   فـرأيتُهم ينفـون كـلَّ مُـدَانِ
55 مِنْ أَيْنَ نُلْفي مُشْبِهاً لك في الورى   وَهُمُ لـذكـرك نـاكسـو الأذقـان؟
[69]/ وإذا بـرزتَ رميتَهم بمهـابـة   تَـذَرُ الشُّجَـاعَ البَـطْلَ مثـلَ جَبَـانِ
حتّى إذا مـا الـرُّعبُ زال رأيتَـهم   وجـميعُهـم مُثْنٍ بـكـلّ لـسـان
قـل لي بفضلك: أيّ ذنبٍ جِئْتُـه   حتّى أُجَـرَّعَ غُصَّـةَ الهـجـران؟
وتـرى فـراقي مـذهبـا ومـدامعي   تبـدو بـذاك مُبَاحَـةَ السَّيَلان
60 ولأيّ شـيء مـا رأيتُ مـن الأسى   بمغيب مطلَعِكَ العَلِيِّ الشـان؟
وتَـركْتَنِي فـوق البسيـطة هـائمـاً   عـاري الحيـاة لشـدّة الهيمـان

(1) الجلّ : بالضّم والفتح : ما يغطّي الدّابة من أثواب للزينة أو الصيانة .
(2) الإرهاص : في المعتقد ، هو الأمر الخارق للعادة الذي يظهر للنبيّ قبل بعثته (المعجم الوسيط) .
(3) ثانِ عوض ثانياً . وقراءة البيت ظنّية .

حتى رأيتُ من العذول تعذّراً ... وترحّما من كلّ نَذْلٍ شَانِ

أَحَسِبْتَ لي إِلْفاً سِوَاكَ يروقني ... وأرى السُّلُوَّ به عليك عراني

لا والذي أولاك رِقّي ليس في ... قلبي سواكَ وليس لي قلبان

65 ولئن أتيتُ جريمةً فلأَنْتَ مَنْ ... يُولي المُسِيءَ سحائبَ الغُفْران

أوَكَانَ هجرُكَ لا لذنب جِئْتُه ... أَيَحِلُّ منكَ عذابُ غَيْرِ الجاني؟

ولعلَّ وِدَّكَ حال حتّى إنّه ... نسجتْ عليه عناكبُ النّسيان

ومتى استحال وحسنُ عهدِكَ في الورى ... عالي الحصون ومُحْكَمُ البنيان؟

لم أَدْرِ ما سبب الصّدود وليتني ... حصّلتُ منه على شِفَا خفقان

70 لكنّ حرصي قَادَني لِلَطِيفَةٍ ... فرأيتُ منه ٱلأمرَ شِبْهَ عِيَان:

هي أنّ ما قد حُمَّ ليس بواقعٍ ... بمكانٍ أنْتَ به من القُطّان

فتركتَني كَيْمَا ترى المقضيَّ في ... حُلَلِ الوجود محقّق الإمكان(1)

والصّالحون لهم مَزِيدُ كرامةٍ ... فيهم تُعَاقُ عوائقُ الأزمان

سيّما وقد شاهدتُ فيكَ عجيبةً ... تقضي بأنّك قُرّةُ الأعيان

75 إنّي رأيت كواكبَ الأفلاك قد ... سارت لِنَحْوِكَ طالقاتِ عِنَان

عَلِمَتْ بأنّك زائرٌ لِسَرَايَةٍ ... فَتدَنَّيَتْ للغرب والمَيَلان(2)

[70] / فإنِ آمْتَرَى ذو مِرْيَةٍ فلعلّه ... لم يَدْرِ كيف مَطَالِعُ الوِجدان

ولعلّه إذ كنتَ شمسَ معارفٍ ... غَرَبَتْ عليه أشِعَّةُ اللَّمَعَان

وَٱلشمسُ تَبْهَرُ كلَّ مُقْلَةِ مُبْصِرٍ ... عن دَرْكِها بزيادة الإمعان

80 ولأَنْتَ أَرْفَعُ منزِلاً بمراتبٍ ... من دونها البحران يلتقيان

أفيستطيع بلوغَ مدحِكَ مادحٌ ... ويُجيدُ فيكَ مبانياً ومعان(3)

---

(1) في التعطير « جال الوجود » .

(2) هكذا في المخطوط وفي المجمع، وهي مخالفة لقواعد الإعلال .

(3) ومعانٍ عوض معانيَ بالنصب .

وأَجَلُّ مَدْحٍ أنت فوق أَجَلِّهِ   وأَجَلُّ قصر في القصور يعاني[1]
لكنّ ما لا يُسْتَطَاعُ جميعُه   فَيُجَاءُ منه بمُمْكِنِ الإتيان[2]
والعَفْوُ عمّا قد جَنَيْتُ مُؤَمَّلٌ   حيثُ آجْترَأْتُ على عَلِّي مكان
85 لا زال في حَرَمٍ يُلاذُ بِحِصْنِه   ما دام في حَرَمَيْهِمَا الحَرَمان

* * *

92 ـ وقال طاب مثواه، وأزلف في علّيين مأواه، مُقرِّظا ديوان الشيخ العلّامة محمّد القرشي السّلاوي في مدح سلطان المغرب مولاي سليمان [بسيط][3] :

كَحِّلْ بإثمد هذا الرّوض أجفانا   وآقْطِف سرورَك من مغناه ألوانا
وآخْلَعْ عِذارَك في تحصيل واجبه   فلستَ أوّلَ جاني اللّهو أفنانا
وآعْصِ العَذُولَ إذا وافاك منتصِحاً   فإنّه أَحْسَدُ الحسّادِ إنسانا
رَوْضٌ سَقَتْ غُرُّ آدابٍ خمائلَهُ   وقلّد الطّلُّ جيدَ الزّهر عقيانا
5 كأنّما الزّهرُ حُورٌ في أرائكها   تكلّلَتْ من جواري الزّهر تيجانا
والرّيحُ من بينها مُضْنىً يعالج مِنْ   تقبيله لخدود النَّوْرِ أشجانا[4]
ما هو إلا جنانٌ زُخْرِفَتْ أدباً   لِمْ لاَ وَغَارِسُه فِكْرُ آبْنِ رضوانا؟
ذاك الأديبُ ومَنْ شاعت فضائلُه   بحيث صارت على القُرْشِيِّ عُنْوَانا
حَاوِي الكَمالَيْنِ من حَسْبٍ ومن نَسَبٍ   وَمُحْرِزُ المجد أسراراً وإعلانا
10 إنْ يَنْتَسِبْ فهو خير الأَكْرَمِينَ أباً   أَوْ يَحْتَسِبْ فَأَتَمُّهُمْ حُسْناً وإحسانا

---

(1) بيت ساقط من التعطير . والقصور هنا : التقصير .
(2) الرّبط بالفاء غير ضروري .
(3) مجمع ، 30 ب ومجموع ح . ح . عبد الوهّاب 18841 والتعطير ، 35/1 ، وفيها أن الديوان المُقرَّظ جمع فيه الشيخ محمد القرشي أمداح السلطان ، سواءً كانت له أو لغيره .
(4) في التعطير : « بفالج » .

[71] / أهــداه حبُّ أميـرِ المؤمنين إلى   أن جـاء فيه بهـذا الوضـع برهـانـا
كـأنّـه قــال مَنْ يهْـوَى مَحَـاسِنَـهُ   لم يَسْتَطِعْ دونَ شرح الحبِّ كِتمانا
فـلا يـزال عـزيـز القصـر خَـادِمَـه   ولن نَزَالَ لَهُمْ في المدح حسّانا(1)

* * *

93 ـ وقال قدّس سرّه، مجيباً باش مفتي توزر الشيخ إبراهيم بوعلاّق عن أبيات أرسلها إليه يشتكي فيها من فساد النّاس وقلّة آدابهم مع الشريعة [طويل] :

كتــابٌ كـريمٌ مشـرقٌ لمعـاني   بِـحُسْنِ معـانيـه وحُسْنِ بيان(2)
أتــانــا مـن الـغــرّاء بـلدةِ تَـوْزِرٍ   بــروضـة آدابٍ وعِيْبَـةِ عـرفـان
بـإعـرابـه يُنسيـكَ أعـرابَ يَعْـرُبٍ   ويَسْحَبُ ذَيْلاً عن فصاحة سَحْبَان(3)
أتى فيـه إبـراهيمُ يـطري سَمِيَّـهُ   بـأوصافـه العُلْيا ومـا هي من شاني
5 وكــلّ إنـاء بــالـذي فيــه رَاشِـحٌ   كمـا رشّح الأضوا لنـا القَمَرَان(4)
على أنّــه في ضيق صـدرٍ ومثلُه   لأجل فساد الوقت صاحبُ أحزان
على أنّ من تشكــو إليه فَمَـا لَـهُ   بتقــويـم مُعْــوَجِّ الأمــورِ يَـدَانِ
ومَنْ لم يكن للبيض والصُّفْـرِ باذلاً   بــوقتِـكَ لا تُصْغي لـه الأُذُنَـانِ
فَـدَاوِمْ على لَوْنِ الصَّلاحِ تفُزْ ولا   قُنُوطَ فإنّ الـدّهـرَ صـاحبُ ألـوان

* * *

94 ـ وقال رحمه الله ، يرثي الذّاكر محمود غربال في آخر رمضان [كامل](5) :

الـمـوت ليس بِـطَالِبٍ مُتَـوانِ   يــا نــائمـاً في هيئـة اليَـقْـظان

---

(1) في التعطير : « القطر » . وحسّان هو حسّان بن ثابت .
(2) هذه الأبيات مفقودة من التعطير . وفي المجمع ، 43 ب : بسخر معانيه .
(3) هو سحبان وائل المشهور بخطابته .
(4) وكلّ إناء بالذي فيه يرشح : مثل معروف .
(5) القصيد غير وارد في التعطير . وفي المجمع ، 40 ب : أبو الثناء .

فـاَذْكُـرْ مصيـرَكَ للثّرى مُتفَـرِّداً ذا مـنــظرٌ يَـعِظُ الـورى بـبيـان

من بعـدِ خفضِ معيشـةٍ وتـأنّسٍ وعُـلُوّ شـأنٍ يـا لَـهُ مـن شـان!

فـآرْحَمْ شبابَـك أو مَشيبَكَ بـالتُّقى فهي التي تبقـى على الـحِـدْثَـان

5 وآمْلُكْ سبيلَ الماجدِ الأَزْكى الذي تــرك الثّنـا يُـتْلَى بكـلِّ لســان

فَخْـرُ الغـرابلةِ الأجلّةِ في الـورى محمـودُ هُمْ ذو الفضل والإحسان

[72] / ضَمَّ المعـالي للّذي يحـويـه مِنْ شَـرَفٍ فَحُقَّ لـه بـه الشَّـرفـان

ثمّ استجـاب لـربّـه لمّـا دعـا داعيـه مُمْتثِـلاً عـلى آطمئنـان

فَمتَى تـزُرْ فَهَبِ آلـدُّعـاءَ مُؤرّخـا: أَنْـزِلْـهُ في خيـر المنـازل هـاني[1]

* * *

95 ـ وقال رحمه الله يرثي القارىء أحمد سيضة [كامل][2] :

كُـلُّ امـرىءٍ سـاعٍ إليـه مَنـونُـه لاقٍ جَـزا مـا قَـدَّمَـتْـهُ يمينُـه

فـآرْجِعْ الى مَـرْضَاةِ ربّـك قَبْلَ أَنْ يبكي آلْمُفَـرِّطُ أن تخيَب ظنونُـه

فالحزم في التّقـوى فقط فَمَنِ آتَّقى قَـرَّتْ بغـايـة مـا يـرومُ عُيونُـه

وآعْمَلْ كأَحْمَدَ سِيضَةَ العملَ الذي يلقـاكَ سـاعـةَ وحشـةٍ ميمـونُـه

5 قـد كـان بَـرّاً مَلْجَـأً لِمُؤَمِّـلٍ عفّـاً تُقَضُّ من العَفَـافِ جفـونُـه

حِلْفَ التّـلاوة للكتـاب ونِعْمَ مَنْ كـان التّـلاوةَ للكتـاب قـرينُـه

حَسَنـاً خـلائقُـهُ جَميـلاً خَلْقُـهُ يُـرْضيـكَ منه حَـرَاكُـهُ وسُكُـونُـه

ثم استجـاب لـربّـه لمَّـا دعـا لِيَنَـالَـهُ مِنْ خيـره مـخـزونُـه

ولِلَمْحِ بَرْقِ الجـود أبرق قُلْتُ في تـاريخـه: جـادت ثـراه مُزُونُه[3]

1222

* * *

(1) حساب الجمّل يفضي إلى تاريخ 1804/1218 ، وهو غير مثبت في المخطوط ، مثبت في المجمع .

(2) التعطير ، 74/1 ، مجمع ، 41 أ .

(3) حساب الجمّل : 1807/1222 ، كما في التعطير .

حرف الصّـاد

96 ـ قال أسكنه الله فسيح الجنان ، يمدح الشيخ سيدي علي العريان [خفيف][1] :

مَن يَكُنْ في ضَنىً ورام خلاصَه فـإلى ذا المقام يحـدو قِلاَصَـهْ

حضـرةٌ قـدحـوت سنىً وسنـاءً ومقـامٌ يعطيـك دون خصـاصَـة

فـاَقْتَرِحْ مـا تشاءُ مُخلِصَ عَـزْمٍ وآقتنِصْ مـا أردتَ منه اقتنـاصَه

ذا مقـامُ العـريـان أستـاذ نَصْـرٍ يــوم أعـطاه لقمـةً خــواصـه

5 فتلقّى الأسـرارَ منهـا وأبـدى للشقيِّ الشقـاء منهـا منـاصَـه[2]

[73] / والّذي جاءه ابنُ عـزّوزَ يحبو خاضعاً مُظْهراً لـديه انتقـاصَه[3]

وآدِّكِـرْ مـا حَيِيتَ يَـوْمَ مُـرادٍ يوم جرّ البلا عليه اغتصـاصَه[4]

يـومَ وادي الزّرقـاء إذْ رام ظلمـاً وطغى جنـدُه وأفنى رصاصَـه[5]

---

(1) مجمع ، 9 ب وفيه : دفين تـاستور . التعـطير ، 113/2 ، وأضـاف : بتستور . والقـافية الأولى فيهمـا : خلاصة . والقلاص ج قلوص وهي الناقة .

(2) في المجمـع : منها . . . منـه . وفي التعطيـر : منه عـوض منها في الشـطرين . والبيت يبقى غامضـاً . وكذلك البيت الرابع .

(3) ابن عزوز : هو الولي الصالح الشيخ علي عزّوز ، قدم من المغرب الى تونس في أواخر القرن السـابع عشر واستقرّ ببلدة زغـوان حيث بنى له الأميـر محمد بـاي الحفصي بن حمّودة بـاشا المـرادي زاويته المشهورة التي دفن بها سنة 1710 .

(4) مراد : هو الأمير مراد باي بن علي باي بن حمودة باشا المرادي . تولّى الملك من سنة 1699 الى سنة 1702 واشتهر ببطشه وسفكه للدماء وفتكه بالعلماء .

(5) وادي الزرقاء : مكان يقع بين باجة ومجاز الباب ، تمكّن فيه قائد جند الترك إبراهيم الشـريف من قتل مراد باي المعروف باسم « مراد الثالث » أو « مراد بوبالة » ، وقطع رأسه ، وذلك يوم 10 جوان 1702 ، وبوفاته انقرضت الدولة المرادية (الحلل السندسية ، 673/2) .

فكأنّ الرّصاصَ في الشيخ ماءٌ	أنزلته السّماءُ مُزْناً خلاصَة
10 قال : يا ظالماً بواديك هٰذا	رأسُك المجتري أريك قصاصَه
فقضى نحبه بطعنة سرٍّ	عجّلت هلكَه وقدّت دِلاصَه
وآسْأَلِ آلنّاسَ ما ليونس ولّى	مظهراً بالفرار منه خلاصَه[1]
حين رام المبيت بالخود غصباً	مُكْرِها أَهْلَهُنّ في ما أَناصَه[2]
فغدا في محلّهِ له حرب	قد أثار ابتلاءَه وقِمَاصَه[3]
15 يا لها من مناقب لإمَامٍ	صَفْوَةِ الأولياء طُرّاً خلاصَة
فَلَكَمْ قد أجارَ من مستجير	في حِمَاه وعنه أَرْخى فِرَاصَه[4]
ولَكَمْ قد أغاث في البحر مَنْ قَدْ	صار في قعره غريقاً وغاصَه
فآبْقِ يا رَبِّ فَضْلَهُ وآرْضَ عنه	وأَدِمْ مجدَه وأكْرِم أصَاصَه[5]

* * *

(1) يونس : هو يونس باي ابن علي باشا ، شارك في الثورة التي أعلنها أبوه ضد الأمير حسين بن علي سنة 1728 .

(2) أناص أمرا : أراده .

(3) القماص : القلق .

(4) الفراص ج فِرصة : وهي الثوب من القطن أو الصوف . وفي التعطير : ألقى ، ولا يوافق معنى الحماية .

(5) الأصّ والجمع أصاص : الأصل الكريم . وكذلك القوّة ومتانة الخلقة .

حـرف العيـن

97 ـ (وقال متوسّلا الى رسول الله ﷺ) [طويل][1] :

وعَذْتَ الذي يدعو وهـا أنا سيّدي ... دعـوتُـك مضـطرّاً وأنتَ سميـعُ

وحقّقتُ يـأسي مِنْ سـواك لفقـره ... وجئتُـك محتـاجـاً فكيف أضيعُ؟

ونـاديتُ والآمـال فيـكَ قـويّـةٌ ... وقَلْبِيَ من ضرب الذّنوب وجيـعُ

وفي عَمَلِي سُقْـمٌ وعِلْمـيَ شهـوةٌ ... وفي الصّدر رَوْعٌ للحساب مَرُوعُ[2]

[74] 5 / أَتُطْرِدُنِي عن باب فضلك سيّدي ... وروضـك للعـافي الفقيـرِ مَـريعُ؟

وكيف يُـرى ظنّي لـديـك مخيّـبا ... وعندي على طردي إليك رجوعُ؟

وهـل لِيَ من مـولى سـواك أرومُه؟ ... تَعالَيْتَ، وَصْلِي من سـواك قـطيع

وأيُّ نَـوالٍ غَيْـرَ فَضْلِكَ يُـرْتَجَى ... وأيّ حِمىً إلاّ حِمَـاكَ منيـع؟

لئن حَجَبَتْنِي عـن نَـوالِـكَ زَلَّـةٌ ... تَـلَظَّتْ لهـا منّي حشىً وضلوعُ

10 وأَخْلَدَني منهـا الى الأرض شهـوةٌ ... وَقَـهْقَـرَنـي وَجْـدٌ بـهـا وَوُلُـوعُ

فمـا بِيَـدي حَـوْلٌ ولا لِيَ حيـلةٌ ... سـوى أنّني نحـو الدّعـاء سريع

بـإذنِـكَ تـوفيقي وفضلُك واسعٌ ... إذا لم تُـوَفِّقْنِي فكيف أطيـع ؟

أُسَـوِّفُ بـالإقـلاع قلباً مقلّبـاً، ... وعَـالَمُ حِلْمٍ منك فيـك طموعُ

وقـد صَـدَّنِي عن ذاك قلبٌ مُغَفَّـلٌ ... لـه كُـلَّ يـوم في هـواه وُقـوعُ

---

(1) وردت هذه القصيدة في مجموعة الصّلوات التي ألّفها الشيخ إبراهيم الرياحي بعنوان: «النّرجسيّة العنبريّة في الصّلاة على خير البريّة». التعطير، 2/61-62 ومسامرات الظريف، 1/158-159 مجمع، 4 ب.

(2) في كتاب الأدب التونسيّ في العهد الحسينيّ ، 128 : وفي علمي شهوة .

15 عَسَى أَثَرُ العِصْيَان بـالذّنب يمتحي ولله في أهـل الـرّجـاء صنيـعُ
فكم سَعَـةٍ وافت على حين شدّةٍ وقـد يُـرْتَجَى بعـد الغـروب طُلُوعُ

* * *

98 ـ وقال رضي الله عنه يمدح الوزير يوسف صاحب الطّابع صديقه [طويل][1] :

لِسَاعدِ هـذا الـدّهـر أنت أَصَابِـعُ وأنتَ لأمـر المُـلْكِ خَتْـمٌ وطَـابِـعُ
وفي كـلّ مُلْكٍ مَنْ يسـوس شؤونَـه ولكِن عن المـاضي يجلّ المضـارع
وفي الفَلَكِ السّامي كـواكبُ جمّـةٌ وأنّى يضاهي الشّمسَ في الأُفْقِ طالِعٌ !
أيا نورَ عَيْنِ الـدّهر فـالدّهـرُ مُبْصِرٌ ، وَمَسْمَعَ جِسْمِ الدّهر فالـدّهر سامع
5 حَلَلْتَ سمـاواتِ العُلَى فـطويتَهـا وإلاّ فممّـا أنت في الجوّ سـاطع
ومـا جئتَ إقْبـالاً بـعـزٍّ وإنّـمـا أتـاك لِيُلقى العـزُّ إذْ أنت رافـع[2]
ومـا جـاء إنْفـاسـاً بِغَيْـرِ مَحَلِّه ولكنّ فَـرْعَ الشّيء للشّيء راجـع[3]
وأيّ كمـالٍ يبتغى فيـه كـامـلٌ وأيّ جَـداً يُبْغَى من النّـاس نـافـع[4]
[75] / فتًى نشـر الإحسـانَ وابـلُ جـودِه فقـام ونُطْقُ الجـودِ بـالشّكـر صـادع
10 فـأنْبَتَ في الآفـاقِ حمـداً مُخَلّداً ومجداً [عن الأصحاب يرويه تابع][5]
عَـلاَمَ قَتَلْتَ البخـلَ جـوداً وأهـلُه على سقمه الماضي الجفون دوامع ؟
كمـا نهكتْ علياك عَلْيَـاءَ حَاسِـدٍ فـأصبح ملسـوعـاً وقـدرُك لاسـعُ

---

(1) التعطير 82/1 . وكنّش الطواحني 18763 (15 بيتاً فقط) مجمع ، 23 ب .
(2) في التعطير : « وما جبت أقفالا » . والبيت يبقى غامضا .
(3) الإنفاس : الرغبة الشديدة في الشيء عن غير استحقاق .
(4) في التعطير : « ينتقي » . والجدا والجداءُ : العطاء والنفع .
(5) في التعطير : « أقمت لدى الآفاق » . والإكمال من التعطير .

[على أنّ مـا فوق البسيطة سـاجدٌ إليك ومـا فيهـا لغيرك راكـع][1]

ومـا حَسَـدَ ٱلأعـداءُ شيئاً يَـرَوْنَـهُ ورُبَّ عـدوٍّ فـيـه لـلحـقّ وَازِعُ

15 وقـد بَـرَزَتْ للمُلك منـك عـزائمٌ عَلِمْنَـا بِـأنَّ السّعـدَ للنّحس قـامـع

وأَمَّـكَ بـالإقبـال في الحُسْنِ مَنْ لـه إمَـامَتُهُمْ في الـدّين إذْ أنت جـامـع

[فـللّه خـاقـانٌ يـرى بـفـؤاده يُسَـوِّفُ مـا يـأتي كمـا هـو واقـع[2]

رأى أنّ لـلإصـلاح فيـك شمـائـلاً فـألْفـاكَ لا يـدنـو إليـك مضـارع[3]

وغيـر غـريبٍ أن يـصيب بِـرَأْيِـهِ أميـرٌ لِشَـذْيِ الـرأي والعلم راضعُ

20 وللفـرع بـالأصـل ابتـداءٌ وحيثمـا تكـامل أصـلُ المرء فـالمرء تَـابِعُ

وَدُمْ أنتَ في وجـه السّعـادة طـالعـاً ودُرُّك من نحـر الخلافـة لامـع]

* * *

99 - وقال قدّس سرّه مقرّظا رسالة ألّفها شيخ الإسلام محمّد بيرم الثاني في الوصيّة والتزم فيها عدم الرّجـوع ، وذلك عام 1810/1225 [طويل][4]:

كـأنّـك تهـوى أنّ عـذلـك ينفـع وهل كان عند الصبّ للعذل مسمع[5]؟

إذا كان من ذاتي رجوعي إلى الهوى فمـا نفـع قـولي : إنّني لست أُرجع

وهـل وقـع الملزوم يـومـاً ولم يكن لِـلاَزِمِهِ في ساحة الكون مـوقـع ؟

---

(1) بيت ساقط في التعطير .

(2) الأبيـات 17-21 ساقـطة من التعطيـر . وسوّف هنـا : لعلّها تعني : ينظر إلى بعيد ويعـرف الأمور قبـل وقوعها . وهو معنى غير وارد في المعاجم . ولا شوّف بالمعجمة ، والخاقان : الملك ، ويعني به هنا الأمير حمودة باشا .

(3) المضارع : المشابه .

(4) مجمع ، 32 ب ، التعطير ، 75/1 ، والشيخ محمـد بيرم الثـاني (ت 1831) ترجم لـه ابن أبي الضيـاف فقـال : ألّف رسـالـة في رجوع المـوصي عن وصيّتـه بعـد أن اشترط عـدم الـرّجـوع ، نحـا فيهـا منحى المجتهـدين من أهل التّـرجيح وقلّد المـذهب المالكي ، وقـرّظهـا علمـاء العصـر (الإتحـاف ، 158/7) .

(5) في التعطير : « وهل كان للعشاق للقول مسمع » .

لــذاك تـراني كلّمـا شِمْتُ بـارقـاً تُسـابقـه من بـرق وَجْـدِيَ أدْمُـعُ

5 فـأمّـا إذا تبـدو محـاسـنُ بَيْـرَم فكيـف ترى الحِرْبا إذا الشّمس تطلع ؟

سـمـاءُ عـلوم كـلّمـا لاح لامـعٌ تـقفّـاه منـهـا ألْمَـعُ ثم ألْمَـعُ

[76] / وَبَحْرُ علوم يزدري الـدرَّ عِقْدُهَا على أنّـه للنّقـل والعقـل مجمـع

وفي هٰـذه الحَسْنا التي بـرزت لنا بـألـوانِ حُسْنٍ للمنـازع مقنـع[1]

بَـدَتْ للمُنَى رَوْضـاً وللعين قُـرَّةً وفيهـا الـذي من ذا ومن ذاك أنْفَـعُ

10 فجاءت تهادَى لا سوى السّحر غنجُها ولا مـا سـوى مـاء الـوَسـامـة بُـرقُـعُ

تـرى بين معنـاهـا ورقّـةِ لفـظِهـا عِنـاقـاً على نَـوْلِ الـطبيعـةِ يُصْنَـعُ

إذا آختصمَ النّعمـانُ فيهـا ومـالـكٌ تقـول : لكـلّ منكمـا فيَّ منـزع

ومهمـا ادّعاهـا العقلُ ردّ آختصاصَه بهـا نصُّ نقلٍ بـالحقيقـة يَقْـطَعُ

وإنْ تَفْخَـرِ آلْفَتْـوَى بهـا فلَكَمْ بهـا لأهـل القضـا مِن تـاج عزٍّ يُـرصَّـعُ

15 فسبحـان مختـار الإمـام محمّـدٍ لهـا وهـو أدرى أيّهم هـو مـوضـع

وكيف وبيتُ الـدّيـن والعـلم بَيْتُـه وللمجـد والتّقـوى مَقِيـلُ ومَرْبَـعُ

عفـافٌ على وجـدٍ وعفـوٌ بقـدرةٍ وَجَـاهٌ ولكن لم يُـدَنّسْـهُ مـطمـعُ

وخفضٌ على رفـعٍ وتليـينُ منـطقٍ على أنّـه لَلصّلْدُ في الحقّ يصدع[2]

وفَضْـلُ ثباتٍ مـا الـرّواسي راوسخـاً لـدَيْـه إذا طـارت نُهًى وهـي وُقّـعُ

20 وقـدرٌ تـمنّـى النُّجْمُ نَيْـلَ مَحَلّهِ فكيف ترى مَنْ في الثّرى فيه يطمع ؟[3]

الى مـا يفـوت آلْعَـدَّ مِنْ كـلّ حِلْيَـةٍ بهـا شَمْـلُ أشتـاتِ الكمال مُجَمَّـعُ

فَدُمْ واحداً لا مَنْ يضاهيك في الورى وعـزُّك مـوصـولٌ وأمْـرُكَ يُسْمَـعُ

---

(1) في التعطير : « للمنازل » .

(2) في التعطير : « للصدّ » .

(3) في التعطير : « تمنّى المجد » .

ولا تحتقِرْ شِعْرِي وإن كان أهله   فَقَدْرُكُمُ من أبلغ الشّعر أرْفَعُ
ولكنّني حاولتُ شرحَ مودّةٍ   وشافِعُ شعري في الوِداد مشفَّعُ
25 وأزْكىَ سلامٍ من سَلِيمِ مودّةٍ   عليك بِرَيْحَانِ الرّضى يتضوَّعُ[1]

* * *

100 - وقال رحمه الله في تأريخ الأمير حمّودة باشا ، وقد مات يوم الجمعة [كامل][2]:

[77] / لمّا ارتقى أرّختُه :   إنّي شهيدُ الجُمُعَة

1229

* * *

(1) أورد صاحب التعطير جواب بيرم الثاني ، وهو ثمانية أبيات من الوزن والرويّ .

(2) الإتحاف ، 11/3 ، وقد أرّخ وفاته (ص 88) « بليلة الجمعة عيد الفطر من سنة 16/1229 سبتمبر 1813 » . والبيت يوهم أنه أرّخ لارتقائه العرش ، وإنّما المقصود ارتقاؤه الى الرّفيق الأعلى .

حـرف الفـاء

101 ـ قال قدّس سرّه ، وطاب مستقرّه ، يمدح سلطان المغرب مولاي سليمـان ، حين قام عليه بعض أبناء عمّه وأخذ منهم الثأر [كامل][1] :

بُشْرَى الورى بِـاَلْأَمْنِ بعد مَخَـافِ ... وقفـوا بـه في مـوقف الأعـراف[2]

قـرّت به عين الهُـدَى أمّـا الهـوى ... فَلِحُـزْنِه حـزنت بنـو الإرجـاف[3]

أغفت جُفـون الرّشـد ثم تنبّهت ... بلطائِفٍ قـد كُنّ تحت سجـاف

مـا صحّ لـولا ذاك في حقّ آمرىءٍ ... رؤيـا سـليمـانٍ بـعيـن خـلاف

5 وهُـوَ الـذي عمّ البـريّـةَ فضلُه ... فـأحاط بـالـدّنيـا إحـاطـةَ قـاف[4]

والـدّين في عِزٍّ بـه والنّاس من ... بـركـاتـه في جنّـةٍ أَلْـفَـافِ

قُـلْ للمغارب هـل جهلتِ كمالَـه ... وكمـالُه في الكـون ليس بِخَافِ[5]

أَضْحَكْتِ سِنَّ الشّرق إذْ أَبْكَيْتِ في ... مـا قد أتيتِ مـدامعَ الإنصـاف[6]

رُمتِ القيـاسَ بغيرِ معنى جـامـعٍ ... وغـرستِ لاستثمار غُصْنِ خـلاف

10 فـأتيتِ بِـالخطإِ الـذي لا يُـرْتَضَى ... حتّى لأحمقَ في المـدارك جـاف

---

(1) التعطير 26/1 ، مسامرات الظريف ، 167/1 ، مجمع ، 12 ب . والقائم على السلطان مولاي سعيـد ابن أخيه .

(2) في التعطير : « موقف الإرجاف » .

(3) البيت مثبت في المسامرات وساقط من التعطير .

(4) لم نفهم : « إحاطة قافٍ » . وإذا كان القافي هو المتتبّع للأثر يقفوه ، فلعلّ المعنى : فضله يبحث عن العفاة ويلاحقهم .

(5) في التعطير : « في الناس » الخطـاب للمغارب دون أن يذكر الثائر صراحة .

(6) في التعطير والمسامرات : « مسامع » .

إنّ الكـواكبَ في السّمـاء كثيـرةٌ   لكنْ ذُكـاءُ فـريـدةُ الأوصـاف[1]

وكـذلـك الأشـراف كـلٌّ جـوهـرٌ   وأبـو الرّبيـع فريـدة الأصـداف[2]

أنَـقِمْتُمُ منـه التُّقى فـسئـمـتـمُ   نِعَماً سَوابِـغَ سُتْرُهُنّ ضـواف ؟[3]

أمْ عـلمَـه أم حلمَـه أمْ عـدلَـه   أمْ وَكْفَ كَفِّ يَمينِهِ المِتْلَافِ ؟[4]

15 أم رُمْتُمُ بـطراً وكـم من قـريـة   بَطِرَتْ فَجُرَّ بها الى الإتـلاف[5]

فنقضتمُ العهدَ الـذي قـد أُوْثقَتْ   كفُّ الشّريعة في يـد الأسـلاف

[78] / ونسِيتمُ يـومَ الـولايـة وهـو في   كَـرْهٍ لهـا والقـوم فـي إلحـافِ

لم يَـرْضَهَـا لـولا صـلاحُ رامَـه   وتَضَـرُّعُ العـلمـاءِ والأشـرافِ

حتّى إذا استولى كما شاء الهُدى   وبَشِمْتُمْ بِـآلْـبِرِّ والألـطاف

20 قلتم : نخـالفـه ، وأيّ فـضيـلة   في منهلٍ عذبِ المواردِ صاف؟[6]

لم يُـرْضِني والعـالَمين بـأسْـرهم   إدٌّ أَتَـيْـتُـمْ لـلرّشـاد مُـنَـافِ[7]

تستـوجبون بـذاك ، لولا حِلْمُـهُ ،   مـا آسْتَوْجَبْتَـهُ آلْقَوْمُ بـالأحقاف[8]

لكن عفـا والعفـوُ منـه سَجِيَّـةٌ   وأتى بِصَفْـحٍ وافـرٍ وعفـافِ[9]

لم يلتفت لـنفـاذ قـدرتـه الـتي   بـالنّون مـدّ مـديدهـا والكاف[10]

---

(1) ذكاء : هي الشّمس .

(2) أبو الربيع هو سليمان العلوي الممدوح . وفي التعطير : « فريدة الأوصاف » .

(3) في المخطوط : أنعمتم أو : أنقمتم ، وهي القراءة التي اعتمدناها . وفي التعطير والمسامرات والمجمع : « هل عمّكم » ، وهي قراءة صالحة أيضاً . والنعم السّوابغ : الضافية (ضوافي) .

(4) الوَكف : السّيلان .

(5) بطِر بالنعمة : طغى بها وتكبّر وأخذته الخيلاء .

(6) سقط هذا البيت من التعطير .

(7) في المسامرات والتعطير : « لم يرضنا » . والإدّ : الأمر الفظيع .

(8) إشارة الى عذاب قوم عاد بالرّيح الصّرصر (الأحقاف 21-26) .

(9) في هامش المخطوط : بعض صفاته (والعفو . . .) .

(10) في هامش المخطوط : بحارها (مُدَّ بحارها) .

25 لـو شاء قَهْـرَ عَـدُوِّهِ لم يفتقـر لـقعـاقـع الأرمـاح والأسيـاف

وأمِـدَّ من جنـد السَّمـاء وراثـةً من جـدّه المـختـارِ بـالآلاف[1]

لـكنّ طَـوْدَ ثَبـاتِـه لم يـهتـزز بعـواصفٍ من غيّهم أصنـاف

ورعى حقـوقَ اللّهِ والأرحـامِ في قَـوْمٍ زعانفَ للضّـلالِ خِفـاف[2]

كرهوا الهـدى والحقَّ لمّا جاءهم جَنفـاً الى الإهمـال والإسـراف[3]

30 ولـوِ آتَّبَـعَ ٱلْهُدَى أهـواءهم جـاؤوا بِسُمٍّ لـلأنـام زُعـافِ

يـا خـاتَمَ الخلفاءِ لا تَحْفِـلْ بهم واصْـدَعْ بأمر اللّه صدعَ مُصَافِ

واصْبِـرْ كمـا صَبَـرَ الهُـدَاةُ فـإنّها مِحَـنٌ يَلِدْن مَنَـائِـحَ الإتحـاف

فـاللّه حسبُك والـذينَ استيـقـنوا فتصـامَمُـوا عن نـاعقٍ استخفـاف

واحْلُمْ على المولى السّعيدِ فـإنه بَـرُّ البُنُـوَّةِ صـادق الإسعـاف[4]

35 أنت اليـزيـدُ وإن يقـولـوا : عمُّـه والابنُ قـد يَهْفُـو وليس بجـاف[5]

مثـل اليـزيـدِ هفـا فجـاء بصـارفٍ في فيه للسّلطان ، ذا استعطافِ[6]

فَـأَنَـالَـهُ بـالحلم واسـعَ عـطفـه عـطفَ الأُبُـوَّةِ سابغَ الأعـطاف

[79]/ لا تَيْأسِ ٱلْقُرْبَى حَنَانَكَ بعـدما فـاضت سحـائبُهـا على الأطـراف

---

(1) إشارة الى المدد من الملائكة في وقعة بدر .

(2) الزّعنفة بالفتح أو الكسر : النّذل ، والجماعة من أخلاط النّاس .

(3) الجَنَفَ : العدول عن الطريق السّويّ .

(4) السّعيد هو ابن أخي السلطان المارق عليه .

(5) اليزيد : هو والد السعيد الثائر (انظر الاستقصاء للناضري السلاوي ، 152/8) . ويهفو : يخف ويعتريه الطيش .

(6) ثار اليزيد بن محمّد غيرَ مرّة على أبيه محمد بن عبد الله ، وحين يغلبه جيش أبيه يحتمي بأضرحة الأولياء الصّـالحين (الاستقصاء ، 72/8) . وتـوالي القاءات ركيـك ولعلّه يعني بصارف : مـا يصرف السلطان عن الانتقام وفي المسامرات والتعطير : بصارم ، وليست بأكثر وضوحاً .

إنّ السّعيدَ مُبَرَّأٌ لكنّها ... أطماعُ قَوْمٍ مُسْنِتِينَ عجافِ[1]

40 ما هَمُّهم نَصْرٌ لـه ، لكنّهم ... نَصَروا سَخَائِمَ في النّفوس خوافِ[2]

مَنَّتْهُمُ الأحلامُ أَنْ سَيَنالُهُمْ ... عِزٌّ لأنَّهُمُ ذوو سفساف

فاستيْقظوا من نومهم في خَيبةٍ ... وندامةٍ ممتدّةِ الآساف

ولهم إذا انكشف الغطا يومَ اللّقا ... خِزْيٌ بأنواعِ المكاره واف[3]

ولك الثّناءُ مخلّداً في هذه ... والفتح والنّصر العزيز مُوافِ

45 أمّا بتلك فلا تُرَعْ ، بل دُمْ لَنَا ... فلك الهنا بنهاية الأزلافِ

يا من إذا تُلِيَتْ محاسنُ مَدْحِهِ ... طَرِب النّهى من كأسها بسُلاف

ومتى يَرُمْ مُثْنٍ عليك بلوغَه ... في الأرض قال له المديح : أَنَا فِي[4]

دامت حياتُك للقلوب مسرّةً ... واللّه - جلّ - بنصره لك كاف

خُذْها جِناناً في جَنانِ أجلّةٍ ... ولها لهيبٌ في قلوبِ سخافِ[5]

50 قَصُرَتْ نِبالي أن تُناضِلَ دُونَكُمْ ... فَبَرَيْتُ من نَبْع الجدال قَوافِ[6]

ترمي العُدَاةَ بكلّ معنىً مُصْعِقٍ ... وبكلّ لفظ مُبْرِقٍ خَطَّافِ[7]

شكراً لِأَنْعُمِكَ التي أَسْبَغْتَها ... ولَوَ آنّهُ لِعُلَاكَ غَيْرُ مُكَافِي[8]

أُهْدِي اليك تحيّةً عِطْرِيَّةً ... تغشى منازلَ آلِ عبدِ مَنَافِ[9]

---

(1) أسنت القوم : أصابهم الجدب والقحط . والبيت ساقط من التعطير والمسامرات .

(2) السخيمة : الضغينة . وخواف عوض : خوَافيَ بالنصب .

(3) الأبيات 41-43 ساقطة من المسامرات والتعطير وهي ملحقة بالهامش في المجمع، 13 ب.

(4) بيت ساقط من التعطير . وأنا في : لعلها : أبتعد وأخالف المطلوب .

(5) في المخطوط وفي التعطير والمسامرات : « في عيون أجلّة » . وأخذنا بإصلاح في الهامش : (جنان في) جَنان . والمقابلة بين الأجلاء والسخفاء وتباين موقع القصيدة منهم ، واضحة .

(6) قوافيَ هي الأسلم في النّحو .

(7) في التعطير : « بكلّ معنى مطرف » .

(8) أي : مكافىء .

(9) السلاطين شرفاء من سلالة الرّسول ﷺ .

بعد اختصاص المصطفى بصفّيها   وَتَعُمُّ نَشْراً كلَّ من هو قافِ[1]

* * *

102 ـ وقال ، أجزل الله صلته ، ورفع في الجنّة منزلته ، يمدح سلطان المشرق محمود خان ، حين وفد عليه باسلامبول عن إسقاط الخراج عام 1838/1254 [طويل] :

ركبتُ متونَ اللّجّ وهي لها رَجْفُ   وأرواحُها بالسّابحات لها عَصْفُ[2]

ولـي منـه أهـوالٌ يـودّ رهينُهـا   وقد خَشِيَ الإغْلاقَ لو جاءه الحَتْفُ[3]

[80] / ولكنّني مـا زلت أمزج مُـرَّهـا   بِحُلْوِ رَجَاءٍ طاب منه ليَ الرَّشْفُ

عسى مُقلتي تَحْظَى بأنـوار غُـرَّةٍ   على غـرّة الرّائي سَناهـا لـه عـطف

5 خـليفـةُ ربّ العـالـمـين وَظِـلُّهُ   إذا آشتدّ بَأْسُ الدّهرِ فهـو له كهف

فـإنّي صَرَفْتُ الـوجـهَ نَحْوَ فِنَائِهِ   وأَنْزَلْتُ رَحْلِي حيث يمتنع الصَّرفُ

الى حضرة السّلطانِ محمودٍ آلذي   ملوكُ الـورى رِقٌّ لـدولتـه صِرف

أيـا عـزّةَ الإسـلام إن خـاف ذلّـةً   ويا مَفْزَعَ الأملاك إن مَسَّهم وَجْفُ

لـك الأرضُ مُلْكٌ والسّمـاءُ مُؤازِرٌ   وعـونُ إلهِ العـرش رُمْحُكَ والسَّيْفُ

10 فما ثَمَّ فوق الأرض مَنْ لم يكن له   رجـاء أيـاديـك الجليلةِ وآلْخَـوْفُ

يُـرَجِّيكَ مسكينٌ ويخشـاك قـاهـرٌ   فلِلأوّلِ آلْجَدْوَى وللآخرِ آلْقَصْفُ[4]

لَكَ آلْحَمْدُ في كـلّ البسيطة عـابقٌ   لـه مَشْرِقُ الـدّنيـا ومَغْـرِبُهـا أنْفُ

بـذكـرك تهتـزّ المنـابـرُ بَهْجَـةً   وبـآسمك أفـواهُ الـدّعـاء لهـا هَتْف

---

(1) أي : مَنْ يأتي بعد الرّسول من الآل والصحابة .

(2) مجمع ، 16 ب ، مسامرات الظريف ، 200/1 والإتحاف ، 24/4 ، وفي المخطوط « إسقاط الإخراج » .
وأرواحها : رِياحُها .

(3) إغلاق الرّهان : افتياته على الرّاهن إذا عجز عن فكّه .

(4) في المخطوط : يرجاك ، ولا توافق الوزن .

إذا ما دَعَوْا بالنّصر مُدَّتْ ضراعةً ... أكُفٌّ ونحو العرش مُدَّ لها طَرْفُ

15 خُصوصاً لدى البيت العتيق ، وروضةٍ ... لِكونِ سَحَابِ الجُودِ منك لَهَا وَكْفُ

فأَخْصَبَ بعد الجَهْدِ والجَدبِ عيشُهم ... ومِن بحرك الطّامي تَأَتّى لهم غرف[1]

وكَمْ لك يا مولايَ من حُسْنِ خلّةٍ ... تُوَحَّدُ إن عُدَّتْ وفي ضمنها ألف

تُذَكِّرُ أسلافاً كِراماً تَقَدَّموا ... سلاطينَ جاءتنا بأنبائها الصُّحْفُ

بدولتهم جاء الكتاب مُنَبِّهاً ... وفي الأنبيا عند الختام أتى الوصف

20 وإن فاتح الأرض سليمان جنده ... لهم دون أجناد الورى إرْثُها وَقْفُ[2]

تمتّعَ أهل الدّين في روض عهدهم ... كما ٱنتقضت للكفر أَفْئِدَةٌ غُلْفُ[3]

وفاتح إسلامبولَ جاء مديحُه ... عن المصطفى رَفْعاً وليس به وقف

مَضوْا ومزيد اللّطف لم يمض حيثما ... سليلُهُمُ المحمودُ آثارَهم يقفو

[81] / نعم يا إمامَ المسلمين وكهفَهم ... إذا مَسَّهُمْ ضُرٌّ فمنك له كَشْفُ[4]

25 أتيْتُكَ ضَيفاً مستغيثاً وشأنُكم ... إغاثةُ لهفانٍ وأن يُكْرَمَ الضَّيْفُ[5]

توالى علينا الضّعفُ من كلّ جانب ... وما زال ذاك الضّعفُ يتبعه ضُعْفُ

فجئناك نبغي ٱلعفوَ واللّطفَ والرّضى ... وهل مِنْ سواك العفوُ يُطْلَبُ واللّطفُ؟

فعيشةُ مَنْ ترضى عليه هنيئةٌ ... وكيف لِعَيْشٍ دون عَفْوِكَ أن يصفو؟

رِضاكَ رضى المولى لأنّك ظِلُّهُ ... وللظلّ من أوصاف صاحبِه وَصْفُ

30 أدام لنا ٱلْمَوْلَى إضاءةَ شَمْسِهِ ... وليس لها يوماً غروبٌ ولا كَسْفُ

بِجَاهِ نبيِّ اللّهِ سيّدنا الذي ... له خُلُقٌ يقضي عليه بأن يعفو

---

(1) في المخطوط وفي المجمع : بعد الجهد والجدّ . والإصلاح من مسامرات الظريف ، هامش 300.

(2) صدر هذا البيت مختلّ الوزن . وفي المجمع ، 17 أ : وان سليمان فاتح . . . والوزن يبقى مختلاً .

(3) بيت ساقط من المسامرات .

(4) في المسامرات : « يا أمير المسلمين » . وفي الإتحاف : « يا أمير المؤمنين » .

(5) في المسامرات : « وإن كرم » .

عليـه صـلاةُ اللّه مـاذرّ شـارقٌ   وما خُطَّ بالأقلام في طِرْسِها حَرْفُ
ولـلآل والأصحـابِ طيبُ تحيَّـةٍ   يفوح على الأتباع من نشرها عَـرْفُ

* * *

103 ـ وقال رحمه الله ، مجيزا شيخ الإسلام أحمد عارف في سفره في العام المذكور [كامل][1] :

حَمْـدا لمكرمنـا بـأيّ عـوارف   شَمَخْتَ عن الإحصا بـأنفٍ آنفِ
وصـلاتُـهُ وسـلامُـهُ أبـداً على   مُجْلِي الـرّجا بصـوارم وعوارفِ[2]
ولكـلّ من والاه أَغْـدَقُ رَحْـمَـةٍ   ينهـلّ دائمُها آنْهِـلالَ الـواكفِ
هـذا ولمّـا سـاقني القَـدَرُ الـذي   مـا في وقوع صـروفه من صـارف
5 نَحْـوَ القُسْنْـطينيَّـةِ البَلَدِ الـذي   لا يُسْتَـطاعُ جـمـالُـه للواصـف
نَفَحَتْ لـروحي نفحـةً مِسْكِيَّـةً   كـانت مُسَكِّنَـةً لقلبي الـواجفِ
وأنـار لي منهـا ضيـاءٌ خـاطفٌ   خِلْتُ البيوتَ سماءَ ذاك الخاطفِ
فسألتُ ما هذا النّسيمُ وذا الضِّيا ؟   قالوا : ألم تسمع بأحمدَ عارِفِ ؟
ذاك الـذي أخلاقُـه كـالـرّاح في   لُـطْفٍ يَلَذُّ مَـذَاقُـه لـلرّاشـفِ
10 أو أنّهـا هـاروتُ في سحـر النّهى   إن لـم نقل : سرٌّ سرى من آصف[3]
[82] / وإذا رأيـتَ جبينَـه مُتَـهـلِّلاً   فعلى بـدور التِّمِ لستَ بِـآسِـفِ
وإذا سمعتَ علومَـه فـآسْمَعْ إلى   تلك البحورِ طَمَتْ فهل من غارف ؟
قَسَمـاً بما يحـويه من حَسَبٍ ومِنْ   نَسَبٍ وفضـلٍ لاحقٍ أو سـالِفِ

---

(1) مسامرات الظريف ، 202/1 والإتحاف ، 25/4 ومجموع ح.ح. عبد الوهّاب 18841 ومجمع ، 17 ب .
(2) في المخطوط : « ومعارف » .
(3) آصف أو آصاف بن برخيا : وزير سليمان بن داود الذي حذّره من عبادة الأوثان . الطّبري ، 497/1 .
وانظر دائرة المعارف الإسلامية ، 707/1 .

لَـوْ أَبْصَـرَ النّعمـانُ بهجـةَ حُسْنِـهِ   لاهتـزَّ عِطْفـاً كآهتـزازِ العاصفِ[1]

15 هـذا ومن عَجَـبٍ رأيتُ سُـؤَالَـه   منّي إجـازتَـه كَـشَيْـخٍ عـارِفِ

كـلّا وإنّي والـذي رفـع العُـلا   أَحْـرَى بأن أَرْوي عليـه صحائِفِي

لـكنّني لا أسـتـطيـع خـلافَـه   وعليـه فيما شـاء لَسْتُ بخـالِفِ[2]

فأقول : إنّي قـد أَجَزْتُ لـه الذي   قـد صحّ لي من تـالـدٍ أو طـارفِ

مـوصىً لإبـراهيمَ منـه بـدعـوةٍ   يرجو الرّياحي بها أمان الخائف[3]

* * *

104 ـ وقـال[4] رحمه الله مخـاطباً بعض الـوزراء ، مستعطفـاً له على بعض الضّعفـاء

[طويل] :

جميـلُ ظنوني نَحْـوَ عفـوك سـاقني   وإن كـان لي قلبٌ بِخَوْفِـكَ واجفُ

وذنبي وإن حـقّت علـيّ جحيمُـه   فَـعَـفْـوُكَ ظِـلٌّ لِـلْمُـؤَمِّـل وارفُ

وفي المصطفى الهادي لمثلك أُسْوَةٌ   وكم مُجْـرِمٍ وَافَتْـهُ منـه عـواطفُ

وهـل ذاك إلّا أنّ ذُخْـراً تُـعِـدّه   وذكـرا تـولّى نَشْـرَهُ لـك عـارفُ

5 ومـا بعد نَشْـرِ الذّكـر للمـرء مَفْخَـرٌ   ولا بـسـوى مـدحٍ تشفّـع خـائفُ

وحـاشا لفضلٍ منْكَ أنْ يُنشِدَ الورى   وقـد عَلِمُـوا أنّي بِبَـابِـكَ واقفُ

ومِنْ قَبْـلُ نـادى كـلُّ مـولى قـرابـةً   فمـا عطفت مـولىً عليـه العـواطفُ

* * *

---

(1) في الإتحاف : العاطف ، ولعلّها تعني : المتثنّي الذي يميس . والعـاصف في المخطوط وفي المجمع والمسامرات لا وجهَ لها .

(2) في الإتحاف : « لست بحائف » ، من الحيف وهو الظّلم والجَوْر .

(3) الـعجز مختلّ الوزن، وفي المجمع، 18 أ : الرياح (وبها يتّزن البيت) أمـاني الحالف. هـذا وقد جـاء في الدّيوان بعد هذه القصيدة رسالة نثريّة موجّهة إلى أحمد عارف مع أحمـد بن أبي الضياف حين سـافر إلى اسلامبول سنة 1842/1258، وهي من تأليف الـشيخ إبراهيم الرّياحي. ولكنّ صاحب الإتحاف، لم ينقلهـا حين لخّص لنا وقـائع وفـادته (الإتحـاف 59/4). ورأينا إسقـاط هذه الـرّسالـة من الدّيـوان، لأنّنا اهتممنا بالشعر لا غير.

(4) مجمع ، 26 أ .

105 ـ وقال قدّس سرّه يمدح الأكتب الشيخ محمد قلاّلة والتزم فيها التشريع [كامل][1] :

زَمَنُ السّرور بما يسرّ ـكُ مُسْعِفُ — رحبُ المهاد ومسعدٌ لك متحفُ
فَاجْنِ المنى من روضها فلطالما — حنّ الفؤاد الى بروق تُخلِف
واخْلَعْ براقعك التي مَنَعَتْكَ من — نَيْل المُرَادِ فإنّ دهرك منصف
وأْنَسْ بعسّال القَوَا مِ مهفهفٍ — طلقِ القياد وَدَعْ عدوَّك يرجف
[84] 5 / واقْطِفْ ثمار اللّهو قطـ ـفَ مُراغم — أنْف الأعادِ ولا يَصُدَّك مُسْرِفُ
وأدِرْ بذكر محمّدِ بْـ ـنِ قلاَلةٍ — كأسَ الوداد فإنّما هي قَرْقَفُ
وآصْدَعْ بحبّك فيه لا تخش آمْرَءاً — يبغي البعاد فليس يخشى المدنف[2]
عِلْمٌ أبان بعلمه لمن اهتدى — سبُلَ الرّشاد فأين مَن لا يعرف؟
وأضاء تونس من سنا ه فأصبحَتْ — شمسُ البلاد ضياؤها لا يُكْسَفُ
10 وتزيّنتْ من حسنه فكأنّها — ذات العماد ولاح فيها يوسف[3]
وغدَتْ به مَنْحَى الورى وملاذَ مَنْ — يبغي الإياد له فؤاد يرجف[4]
يا مَنْ به جاد الزّما ن ولم يكن — يدعَى الجواد ولا بفضل يُعْرَفُ[5]
ومن اغتدى من حُسْنِه كلُّ الورى — إلفَ السّهاد له دموعٌ ذُرَّفُ

---

(1) عنوان الأريب 94/2 . وقال : « هي من الكامل ، وتقرأ من مجزوء العروض » أي من مجزوء الكامل . وفي المخطوط : التزم فيها التشريع . وهو إدخال قافية ثانوية في القصيد ، وهي هنا الدّال . وظفرنا بهذا المصطلح في قاموس كازميرسكي ، فلا اللّسان ذكره ولا التّاج . وفي المجمع ، 33 ب : يمدح أبا عبدالله محمد قلالة مستجيراً به عندما أوقعوا بالوزير يوسف صاحب الطابع وبكلّ مَن انتسبَ إليه .
هذا والشيخ محمّد قلاّلة كاتب وأديب نشأ بالقيروان . فاستقدمه حمّودة باشا إلى تونس كاتباً للإنشاء وتوفي سنة 1822 ، انظر الإتحاف ، 127/7 .

(2) في المخطوط : « يبغي القياد » .

(3) إرم ذات العماد .

(4) الإياد : ما يُتقوّى به ، وكذلك ما يَستُر .

(5) في المخطوط : يدعو والضمير عائد على الزمان البخيل .

لـك في المكـارم سُنّـةٌ وشـريعـةٌ بين العبـاد ومـذهـبٌ مُتَـحَنّـِفُ

15 وعليـك من حُلَلِ المهـا بـة مَـا بِـهِ خضع المُعَادِ وعـاد إلفـاً يُنْصِفُ[1]

ومـن الجمـال مـلابسٌ يصبـو لـهـا صَلْدُ الجماد كـأنّـه بـك مُـدْنَـفُ[2]

ومـن العلوم منـاهـل تـروي بهـا مَنْ هـو صادٍ بـالجهـالـة مشـرف

ومـن البـلاغـة مـا بـه سحبـان في فـرش القتاد من الفـهـاهـة يلهف

ومـن القـريض سـوابـق جـلّت على كـلّ الجيـاد ودون شـأوك مـوقـف

20 ومن الكتـابـة مـا بـه تسمـو على رتب العمـاد وأنـت أنت الأشـرف[3]

ولـك اليـراعـة صـارمـا تـوقيعـه نـفـعُ يُـرَاد وديـمـة تـتـرشّـف

وبـك الـوزارة أشـرقت لـو جئتَـهـا بـادي السّداد وحـدّ سيفـك مـرهـف

وبـك العلومُ وأهْلُهَـا فَـرِحـاً نَفَتْ لبس الحِداد وأصبحت تـتـرشّـف[4]

25 ولـذاك أضحى بِـآسْمِـهِ وبـحُسْنِـهِ شعـري يُنَاد ومقـلتـي تَـتَـشَـوَّفُ[5]

[85] / وَغَدَتْ ظنوني مِن سـوا ه سليـمـةً فهـو السّنـاد وهـل إذن أتـخـوَّفُ ؟

لا زال فـي فـلك العُلَى مُتَـرَقِّـيـاً حتى المعـاد وبـالمـدائـح يُتْحَفُ

* * *

---

(1) المعاد عوض المعادي ، وكذا مرّ الأعادي في البيت الخامس .

(2) في المخطوط : « به مدنف » .

(3) العماد الأصفهاني صاحب الخريدة .

(4) في عنوان الأريب : « تتشرّف » .

(5) يناد عوض : ينادي .

حرف القاف

106 ـ قال قدّس سرّه مقرّظا قصيدة الشيخ محمد التّهامي الحسني [المغربي] التي مدح بها الرّوضة النبوية ، على ساكنها أفضل الصّلاة وأزكى التحيّة ، [لمّا وفد لتونس قاصداً الحجّ وتوفّي بالحجاز في عامه] ، عام 1827/1243 :(1)

الحمد لله مزهر رياض الآداب ، ومفيض بدائعها على أولي الألباب ، والصّلاة والسّلام ، الفائح منهما مسك الختام ، على من تفتخر المدائح بشمائله ، وتحتضر المنح الى نائله ، سيّدنا محمد صورة الكمال المطلق ، وينبوع بحر الرحمة المتدفّق ، وعلى الآل والأصحاب ، ومن تبعهم بإحسان على تعاقب الأحقاب .

وبعدُ فقد أطْلَعنا الشّيخ العلاّمة ، الدرّاكة الفهّامة ، أبو عبد الله سيّدي محمّد التّهامي ، ذو العلم الهامي ، والعمل السّامي ، على قصيدته القافيّة ، التي امتدح بها خيرَ البريّة ، فألفيتُها عَيْبة القرائن اللّغوية ، وروضة العجائب الأدبيّة ، شمّرت في قود كلّ صعب ، عن الكعب ، وجرّت الذّيل على جرير الى ساحة كعب(2) . فلمّا سرّني مُحيّاها ، وسرت فيّ سُرى حُميّاها(3) ، اقتضت منّي بليغ المديح ، ولم تدرِ أنّ سهمي فيه الوغد والمنيح(4) . فقلتُ ، وبها الى النّبي ﷺ توسّلت [رجز] :

أُعِيـذُهـا هيفـا بـربّ الفَـلَقِ ... مـاذا حَـوَتْ من بهجـةٍ ورَوْنَقِ

---

(1) التعطير ، 107/1 ، وهذه الأرجوزة ساقطة من المجمع .

(2) كعب بن زهير . وفي التعطير : وحاكت فصاحة كعب .

(3) في المخطوط : « حماياها » ، وفي التعطير : « محيّاها » أيضاً .

(4) الوغد والمنيح : من سهام الميسر ، هما اللّذان لا نصيب لهما .

قـد آنـقـتْ كـلَّ حبيب رَمِقِ	وفَـلَّقـتْ قـلبَ حسـودٍ حَـنِـقِ[1]

إذ وسـقت مـا يُـنْتَقى فـي نسـق	من رائق المعنى ومبنى رَيّقِ[2]

كم قنصت من شـاردٍ في وَلَـقِ	وقيّـدت من عـابـدٍ فـي طَلَقِ[3]

5 وفتّـقت من مُـلْتَـوٍ مـرتبـق	وفتّحت من كـلّ كـنـزٍ مُغْـلَقِ[4]

[86] / لـلرّوضـة الغـنّـاء في تـألّـق	بنـورهـا مبتسـمـا عن عَـبَقِ[5]

وسلسبيلُهـا المَعين الغـدقِ	يجـرى على حصبـاء درّ لـقق[6]

نسيمهـا الصّبا آنْبرت من مشـرق	للصبِّ قـد هبّت بِبُـرْء الحـرق[7]

وطيـرهـا بسجعـه المفتـرق	يجلو عن القلب الأسى كالغَسَقِ[8]

10 تحكي لهـا بعض جمال مبرق	إذ مـا لها في ذاك مـن تَـعَلُّقِ

ولا رداع هـي قـيـد الـحـدق	قـد أقبلت بكلّ حُسْنٍ مُشْـرِقِ[9]

يقـول رائيـهـا بفـرط الـحـرق	كـأنّـهـا مـا خُـلِقَـتْ مـن عَلَقِ

سبحـان من خلقـهـا من علـق	ولا مـثـانٍ أطـربـت ذا قـلق[10]

---

(1) في التعطير :

قـد قلعت قـلب حسـود حـقـق	إذ وسـقـت مـا ينتقى فـي نـسق

وآنقتِ : أعجبت أو أفْرَحَت وسرّت . والرَّمِق من الناس : الفقير الحزين .

(2) وسقت : نظّمت ورتّبت . وفي التعطير : وفنّ ريّق .

(3) الوَلق : الإسراع وكذلك الطعنُ الخفيف . والطّلَق : الحبل الشديد الفتلِ .

(4) المرتبق من الحبال : كثير العُرَى ، كلّ عروة فيها رَبقة .

(5) في التعطير : « لا الروضة »وفيهما : عن غبق ، بالمعجمة . والعبق بالمهملة : الرائحة الطيّبة .

(6) اللّق : الصدع والشقّ . وأيضاً المسك . ولا يوافق صفة الدرّ . ولعلّها : يقق أي أبيض .

(7) في التعطير : « قد جاءت » .

(8) في التعطير : « بلحنه » . والغسق : ظلمة اللّيل .

(9) الرداع : أثر الطّيب في الجسد .

(10) سقط الصّدر من التعطير . ويبدو لنا أن العجز محوّل عن موقعه ، والأولى أن يلحق بالبيت 11 :

ولا رداع هـي قـيـد الـحـدق	ولا مـثـان أطـربـت ذا قـلـق

يقول رائيها الخ . . . .

مـمّـن تـثـنـى بـقـوامٍ رشِـقِ   يسقي نـداماه بكـأس مُـذْهَقِ[1]

15 من سحـر عينيـه وخمـر المنطق   وكـيف لا وقـد أتـت بـفـيـلق

من مـدح سيّـدٍ عـظيم الخُـلُقِ   فـأضـرمت نـاراً بقـلبٍ شيّـق

ونـشـرت عـقـيـق دمـع مـغـرق   مـا هي إلاّ جَنّـةٌ في مُهـرَق[2]

قـد أثمـرت بكـلّ خيـر مغـدق   من دونها في القدر تاج المفرق[3]

وكـلّ عقـدٍ فـوق جيـد غـوهق   وكـلّ شـاعـر مجيـدٍ مـفلق[4]

20 لـيس لـه إلاّ انـحـطاط الـعتـق   لـلّه مُنْشِئُهـا رئيسُ الـسّبق

ابنُ التّهـامِيّ الـرّضَى المُـوَفّقِ   مـحمّـدٌ ذاك الـهُمَـام الـمُتّقِي

نـسيـجُ وحـدِه لـقـول مُـطْلَقِ   جـازاه ربّـه مـقـامـا يـرتـقـي

[ومـنيــة والأمـن يـوم الفـرق]   بـمـا امتـطى من نصَبٍ وأَرَقِ

[ومـا ابتغـى من سـلّم ونفق]   حتّى أتى بمـدح بحـرٍ دغفـقِ[5]

25 في حقّ خيـرِ صـادقٍ مصـدّقِ   صـلّى عليـه الـلّه من مؤتـلق[6]

أضـاء بـالأنـوار كـلَّ أُفُـقِ   والآل والأصحـاب أهـلِ السّبَقِ

[87] / وكـلّ مـؤمن بـهم مـلتحـق[6]

---

(1) مدهق أو دهاق : ملآن . وفي التعطير : « مدفق » .

(2)المهرق : الصحيفة .

(3) في المخطوط « من مرهفا في القدر » . وفضّلنا قراءة التعطير .

(4) في المخطوط والتعطير : عوهق بالمهملة ، ولم نجدها فيما لدينا من معاجم . . أمّا الغوهق والغيهق فهو الطويل ، والعنق كثيراً ما يوصف بالطول . وبعد ، فهذا منا تأويل ، وسامح الله الشيخ إذ حشر في هذه الأرجوزة ألواناً من الغريب كأنه رؤبة أوأبوه .

(5) الدغفق : الماء المصبوب ، والبحر الدّغفق : الطّامي . وصدر هذا البيت وصدر البيت السابق ساقطان من التعطير . وفي التعطير : « ببحر دمع دغفق » .

(6) في المخطوط : « من مرتعق » ، ولم نجد لها معنى ، فأخذنا بقراءة التعطير وهو أوفق للأنوار الآتية .

(7) في التعطير شطران زائدان بين البيتين 19 و 20 :

وكـلّ من يـريـدهـا من أحمق   قلنـا لـه : يـا أحمق فلتُـطرقِ .

قاله بلسانه ، ورقَمه ببنانه ، بعدما جال في جَنـانه ، الفقيـر ، الى رحمة ربّـه القدير ، إبـراهيم بن عبد القـادر الرّيـاحي المحمودي نسبـا ونِجاراً ، التّـونسي داراً وقراراً ، المالكي مذهباً ، الأشعري عقيدة ، التجاني مشربا .

* * *

107 ـ وقال قدّس سرّه ، وطاب في أعلى علّيين مقرّه ، مقرّظاً رسالة العلاّمة صاحبه الشيخ محمد بن الشيخ صالـح الكوّاش في الـرّد على سعود الـوهابي عـام 1811/1226 [طويل][1] :

شمـوسُ الهُدى والحمـد للّه شارقـة	وأسيـاف أهل الـدين بـالحقّ بـارقَـة
وإنْ خَـرِسَتْ عن نُصرَة الـدّين أَلْسُنٌ	فكَمْ ألسنٍ مثـلَ الأسنّـة نـاطقَـة
متى لَـمَسَـتْ كفُّ الـغُـوَاةِ سمـاءَه	فلم تَرْمِهِمْ من حُرَّسِ الشُهب صاعقة
ولا تحسَبوا أهلَ الحمـاية قـد قضَت	فمـا سبقت إلاّ هـنـالـك لاحقَـة
5 ولا تيـأسوا من ذاك إن مـات صالـحٌ	فهـذا آبنُـه رايـاتـه فيـه خـافقَـة[2]
ألم تنـظروا مـا أَطْـلَعَتْـهُ عـلومُـه	من الحُجَجِ اللّاتي أبـانت حقائقَـه
كـأنّ سَنَـاهـا في دُجى البِدَعِ التي	بـدت، شمسُ أفقٍ للحنادس خـارقـة
[بـواتـرُ ، أمّـا شهمُهـا فمحمّـدٌ ،	وأمّـا لِـهَـامِ الـزائِغين فـفـالقـة
لَعَمْـرِي لقـد حلّى من الـدّين جيـدَه	وتـوّج بـالتّصنيف فيـه مَفَـارِقَـه][3]
10 وأنْـطَقَ من داعي الهُـدَى مُتَكَلِّمـاً	وأَخْرَسَ من فحل الضّلال شقاشقه

(1) مجمع ، 33 ب ، التعطير ، 77/1 . وسعود هو أمير نجد سعود بن عبد العزيـز بن سعود من أنصـار الإمام محمد بن عبد الوهّاب .

(2) الشيخ صالح الكوّاش والد صاحب الرّسالة ، عالم وفقيه ، أصيل مدينه الكـاف . توفي سنة 1804/1218 (الإتحاف ، 44/7) .

(3) هذان البيتان ساقطان من التعطير .

وذاك بيمن السيّد الأسعدِ الذي | لنُصْرَتِهِ للدّين حَمَّلَ عَاتِقَه
[وأخْلَصَ في دَرْءِ الفساد طَوِيَّةً | أدَارَ على قُطْبَيْ هُدَاه مناطقَه][1]
هو النّاصرُ المنصورُ حمّودةُ الذي | محامِدُه في الشّرق والغرب عابقة[2]
[لئن تخْلِف الأيّام أن لا ترى له | - ولم تَرَ - مِثْلاً فهي في ذاك صادقة][1]
15 فدامت له الأيّام وهي مواسم | وآمالُنا فيها به وهي وارقة[3]

* * *

108 - / وقال رضي الله عنه ، مجيباً ابنه الخطيب الشيخ سيدي علي حين قرّظ رسالته قطع اللّجاج في نازلة أولاد سليمان ابن الحاج[طويل][4] :

جزاك إلهُ العرش كلَّ فضيلة | تُسَرُّ بها في الدّهر بالعلم والرّزق

* * *

---

(1) وهذان البيتان أيضاً .

(2) في هذا البيت إشارة الى الأمير حمودة باشا الحسيني الجالس على العرش عصرئذ .

(3) في التعطير : « وهي بواسم » .

(4) مجمع ، 45 أ . والشيخ علي الرياحي له ترجمة في الإتحاف ، 83/8 . والأبيات التي قرّظ بها رسالة والده منقولة في مسامرات الظريف ، 191/1 . والنّازلة التي ألّفت فيها الرسالة كانت للشيخ مع قاضي الحاضرة الشيخ محمد البحري بن عبد الستار .

حرف السّين

109 ـ وقال رضي الله عنه يمدح خير الأنام عليه أفضل الصّلاة والسّلام [وافر][1] :

كفـاني من زمـاني مـا أقـاسي	ومن أهليـه مـا بـالقلب راسي[2]
[زمـانٌ مـالـه بـالنّاس مَيْـزٌ	بـالحميـر ألْـوَى جنـاسـي][3]
فـدهـرٌ بـالحقيقـة غيـر دهـر	ونـاس في الحقيقة غيـر نَـاسِ
[أعمّم في الجميـع ولا أحاشي	وأقصـده واني غيـر قـاسِ][4]
5 ومـا أنـا فـيهـمُ إلاّ غـريـب	وإن كَثُـرَ المُـؤَاخي والمُـوَاسي
ولـولا سِحْـرُ ألْحَـاظٍ نِـيَـامٍ	سَبَاني ، صحّ من دنيـاي آسي[5]
تصـول بـه الـظِّبَـاءُ على أسـودٍ	فتخضع ما رأت غـابُ الكِناس[6]
ففي كـلّ الـقلوب لـهـا جِـرَاحُ	وفي كـلِّ الجفـونِ لهـا مُقَـاسِ
وذَابَ لِفَتْكِهَـا مـا هـو صَلْبٌ	ولان لـفعـلهـا مـا هـو قَـاسِ
10 فلستَ تَـرى سوى صَبٍّ صريـع	يقـاسي في الصبـابـة مـا يقـاسي
وكـلُّهُـمُ وإنْ تـاهُـوا فَـمِنّـي	قَدِ آقْتَبَسُوا الهوى بَعْضَ آقْتِباسِ[7]

---

(1) التعطير ، 113/2 . وكشف الحجاب ، ص 140 ومجمع ، 5 ب .

(2) في التعطير : « وما من أهله بالقلب » .

(3) بيت ساقط من التعطير ، وهو مختلّ الوزن .

(4) بيت ساقط من التعطير .

(5) هكذا في المصدرين . ولعلّها : [لـ] صح من دنيا إياسي . أو : من دنياي يأسي .

(6) في المخطوط : الكناسي . والكِناس : مأوى الظبية .

(7) في المخطوط : « تاهوا بمعنى » ، ولا معنى له .

وَمَنْ في النّـاس لازمـه عـذابُ تـزول لِـحَمْـلِهِ الشُمُّ الـرّواسي
وكلّفـه الهـوى بـأسـاً شـديـداً إلى غـوْلٍ من النّـاس الخِسَـاسِ
سـوى هـذا القتيـلِ ولا قتيـلٌ كمقتـولِ العنـاء من النّعـاس
15 ولا مثـلَ النِّصـالِ نِصَـالُ جَفْنٍ يُجَـرِّحْنَ القلوبَ بـلا مسـاس[1]
[89] / على صفحـات مُقْمَـرٍّ جبينٍ وخـدٍّ وَرْدُه مـن تـحـت آسٍ
[بـه داءُ العضـال وهَـلْ لِصَبٍّ سوى وَصْلِ المحبِّ - فُدِيتَ - آسي][2]
غـزالٌ لا يُـحـاكيـه غـزالٌ وشمسٌ نـورُها للكَـوْن كـاسي

*

أَغَيْـرَ ٱلمصـطفى أبغي بِجِـدِّي أفي خَيْـرِ ٱلْبَرَايَـا مِنِ ٱلْتِبَـاسِ ؟
20 من العُـرْبِ الكِـرام أنـار لمّـا أُرِيـدَ هناك تصحيـحُ الأسـاس
وَأَوْمَضَ في اللّيَالي السُّـودِ حتّى أبـان الـدّينَ من بَعْـدِ ٱنْدِرَاسِ
وَأَطْلَعَ في سمـاء الـدّين شُهْبـاً لهـا بين الـورى أيّ ٱحْتِـرَاسِ
فصـار الـدّينُ ذا وجـهٍ صحيحٍ ومُلْكُ الحقِّ منصـوب الكراسي
وعـاد الكُفْـرُ من بعـد ٱعْتـزازٍ حليفَ ٱلـذُّلِّ محكومَ الـدِّراس[3]
25 فيَا كَمْ هَـدَّ مِنْ قَصْـرٍ مَشِيـدٍ وفـرّق بيـن جـثـمـانٍ ورأس !
بـأبـطالٍ تـدين القِـرنَ جبنـاً وتكسـوه الـدّمـاءَ من اللِّبَـاسِ
عليهم مـا شَـدَا في النّـاس شَادٍ سـلامٌ كُـلَّ آنٍ فـي ٱعْتِـراس[4]

* * *

(1) في المخطوط : « ولا مثل الصّعال » ، وهي بعيدة . وفي التعطير : « يجرعن » .
(2) بيت ساقط من التعطير .
(3) الدّراس والدّروس : البِلَى .
(4) في التعطير : « عليه » .

110 ـ وقال رحمه الله يمدح شيخه القطب المكتوم ، الجامع لأسرار المنطوق والمفهوم ، الغوث الربّاني ، الشيخ أحمد التّجاني [بسيط][1]:

صَاحِ آرْكَبِ العزمَ لا تُخْلِدْ الى اليأس ... وآصْحَبْ أخا الحزم ذا جِدٍّ الى فاس

وآشْرَح متونَ صباباتي لِجيرتها ... وحَيِّ حَيًّا بهم قد كان إيناسي

وآقرَا السّلام على تلك المعاهد مِنْ ... حَيْرَانَ تلفظه ناسٌ إلى نَاسِ

وقُلْ لهم : ذلك المضنى وحَقِّكُمُ ... باقٍ على العهد ذو وَجْدٍ بكم رَاسِ

5 لا يُبْصِرُ الحُسْنَ إلاَّ في وجوهِكُمُ ... وليس يجنح في حبٍّ لِوَسْواسِ

وعُجْ الى حيثُ مَنْ عَيْنِي لفُرْقته ... تبكي ، وتَزْفَرُ بالأشواقِ أنفاسي

ومَنْ أنا فيه هَيْمانٌ يقلّبني ... دهري بأنواع تهيامي وأجناس[2]

[90] / ومَنْ فؤادي به مُضْنًى يحمّلني ... ما بعضه دُكّ منه الشّامخُ الرّاسي

ذاك الذي نال ما لم يِحْوِه بشَرٌ ... من العَطايا ولم يُعرف بمقياس

10 غَوْثُ البرايا أبو العبّاس أحمدُ مَنْ ... معناه أعظمُ أن يُجْلَى بقرطاس

روحُ الوجود وقُطبُ الكون مركزه ... مُمِدُّه سرّه الساري إلى النّاس

رمزُ الوجود وسِرُّ الحقّ طَلْسَمُه ... مكنونُه كنزه المَخْفِي بحرّاس

حقيقة الكون معنى السّرِ مُجْمِعُه ... فَيْضُ الإلٰهِ بلا لَبْسٍ ولا باس

أعني التجانيَّ تاجَ العارفين ومَنْ ... بسابغ الفضل مِنْ عرفانه كاسي

15 ومَنْ محبّتُه دِيني وخِلّتُه ... عقلي وروحي وجُلاّسي وأحداسي

ومسمعي وفؤادي وآنبساطُ يدي ... ومُقْلتي ولساني بين جُلاّسي

يا سامعي ، إنْ تكنْ للسِّرِّ ذا ظَمَإٍ ... فَجِئْ لِأحمدَ ساقي السِّرِّ بالكأسِ

رِدْ وِرْدَهُ العذْبَ وآستنشِقْ روائحه ... تَظْفَرْ بأعطارِ ذاك الورد والآس

(1) التعطير ، 62/1 . وكشف الحجاب ، ص 138 ومجمع ، 7 ب .

(2) في المخطوط : « ومن أنا في هُيَام » . وفي كشف الحجاب : « ومن أنا فيه حيران » .

وٱستَعْمَلِ ٱلْجِدَّ في تحصيل واجِبِـهِ | إنْ لم تكن في بِسَاطِ القُرْبِ ذا ياس
20 وٱهْـرَعْ إليه إذا مـا كُنْتَ ذَا ظَـمَـإٍ | وٱسْـرِعْ إلى اللّه مَشَّـاءً على الـرّاس
وٱنهَضْ فقـد لاح لـلإسعـادِ طـالعُـهُ | وقُـمْ ولا تَـكُ لـلإسعـاد بـالنّـاسِي
وٱخلَعْ ظـلاماً على قلبٍ مُنِعْتَ بـه | أن تستضيءَ من ٱلمعنى بنبـراسِ
ومـا ظنُونُـك بـالـوِرْدِ الـذي نـظمت | يَـدُ النُّبُـوَّةِ هـل يُبْنَى بـلا سـاس ؟
ومـا تـظنّ بـمنهـاجٍ لسـالكـه | أمْنـاً مِنَ ٱهْـوَالِ نيـرَانٍ وأرمـاس
25 يـا ربِّ أَدْعُـوك بالأَسْمَا وأَعْـظمِهَـا | وأَعْظَمِ الرُّسْلِ ذي الإحسان والبأس
وحـمـزةٍ وعـليّ وٱبـنـه حَسَـنٍ | مـع الـحُسَين وزهـراءٍ وعبّـاسِ
ٱجْعَـلْ قـلادة جيـدي في أصابعـه | وٱرْحَمْ به قلبِيَ المُضنَى به القـاسي
وَٱبْعَثْ لـه عند سمـع النّظم مـرحمةً | تـنفي عليّ شَـقَـاوَاتِي وإفـلاسـي
[وَٱجْعَـلْ نِظَامي وإن نـالت مَفَاصِلُه | إلّا بـه أُرتجي مَحْـواً لأرجـاسي][1]
30 وَعُمَّ مشـواه تسليمـاً فليس سـوى | تسليمِ ذاتك كُفْءَ القُطب في النّاس[2]

* * *

111 ـ وقال قدّس سرّه مخاطباً الشيخ أحمـد زرّوق الكافي[3] وملغـزا في اللّيم[4]، وذلك سنة 1802/1277 [كامل] :

يـا مفـرداً في الـظّرف والإينـاس | مَنْ لم يكن للعهـد بـالـمتنـاسي
مَـا ٱسْمٌ غـدا ثُلُثَـاهُ لي مَـعْ ثُلْثِـهِ | ولَمِ ٱنْفَـرِدْ يـومـاً بـه في النّـاس

---

(1) بيت ساقط من التعطير .
(2) جاء في كشف الحجاب (ص 139) : « أن هذه القصيدة لها تأثير في نفي الكروب وانشراح القلوب ، كما جرّبت لكلّ من تلاها » .
(3) مجمع ، 46 أ . وأحمد زرّوق الكـافي عالم وأديب ، تـولّى التدريس بجـامع الـزيتونـة وقضاء المحلّة ، وتوفّي سنة 1831/1246 (الإتحاف ، 158/7) .
(4) الليم : هو الليمون الحلو .

فــي قـلبــه مَــيْـــلٌ ولا قــلـبٌ لـــه ... حتّى يميلَ ، ولم يَمِــلْ كــالـنّــاس

ولـطالمـا ســارت بــه الــرّكبـانُ تــا ... عـبــةً فـمِــنْ إبِــلٍ ومَـنْ أفْــراسِ

5 فــأَجِبْ إذا مـا ســرتَ فيــه أوفَقِفْ ... « ما في وقوفـك ساعـةً من باس »[1]

ولقــد ذكــرتــه فــالسّؤالُ جــوابُــه ... مــا فيــه من خــلطٍ ولا إلْبــاسِ

* * *

(1) مطلع قصيدة لأبي تمّام (ديوانه 242/2 رقم 81) .

حرف الهـاء

112 ـ وقال تقبّل الله عمله ، ورفع في عليّين منزله ، مخاطباً سيّد الوجود ﷺ ، حين رأى أعلام المدينة المنوّرة في حجّته [وافر] :

أتـيـتُـك راجـلاً وودتُ أنّـي ... جعلتُ سـواد عيني أمتـطيـه

ومـالي لا أُسَعّي على المـآقي ... الى قبـرٍ رسـولُ اللّه فيـه[1]

* * *

113 ـ وقال قدّس سرّه ، يرثي الأمير محمود دباي رحمه الله [كامل][2] :

مـا مـاتَ مَن يُبقي الثنـا ذِكـرَاهُ ... ويـمينُـه ظفِـرت بكُـلّ مُـنـاه

كالسيّد الباشا الرضى وهو الـذي ... طِيبُ آسْمِـهِ يُهدي شـذا معناه

سَمَّوْهُ [محمودا] ....[3]

مـلكٌ إذا عُـدَّ الملوك فـإنّـمـا ... هـو صـالـح قـد فـاق في تقـواه

[92] / أَحْنَى على الضّعفاء من لِينِ ٱلْحَشَى ... وأَمَـنُّ مـن أرواحـهـم رُحـمـاه

5 وهُـوَ الـذي بسط الهنـا بيمينـه ... فـالهرج مـا نـاب الـورى بـرجـاه

سبحـان من جمع الكمـالَ لِمُفْـرَدٍ ... لَمْ يَحْكِـهِ في ذاك إلاّ آبْنَـاهُ[4]

---

(1) مجمع، 6 ب. وقراءة الصدر لا توافق الميزان إلاّ بتضعيف سعى كما فعلنا، وهو غير وارد في المعاجم.

(2) ارتقى الأمير محمود بن محمّد الرشيد بن حسين باي العرش يوم 9 محرّم 1230 (21 ديسمبر 1814) وتوفي يوم 28 رجب 1239 (28 مارس 1824) .

(3) بيت لم يثبت منه إلا الكلمة الأولى ، وزاد المجمع ، 20 أ الكلمة الثانية .

(4) وهما حسين باي الثاني (1824-1835) ومصطفى باي (1835-1837) .

ثم آختفى كالشّمس قرصا لاسناً فـآبنـاه في فَلَكِ الحيـاة سنـاه[1]

قُـلْ للألـى سفكـوا دماءَ عُيـونِهم أأسىً بمـن قـرّت لـه عينـاه ؟

10 لـم ينتـقـل إلاّ لـخيـرٍ وافـرٍ فيـرى جَـزَا مـا قـدّمتـه يـداه

ولـذا بحسن الظنّ قلت مؤرّخـاً : كـان التحيّـة والسَّـلام قِـراه[2]

1239

* * *

114 ـ وقـال رضي الله عنـه مؤرّخـاً وفـاة شيخـه العـلاّمـة الشيـخ صـالـح الكـوّاش [كامل][3]:

كـلّ الى بـطن الثّـرى رُجعـاه لـو بـالسّمـاء تمسّكت يـمنـاه

لا فضـلَ فيـه لـذي كمالٍ إنّمـا يـرجو جـزيلَ الفضـلِ في أُخـراه

(هذا ما اتّصل بنا منها).

---

(1) قراءة البيت عسيرة ، ففي المخطوط : قرص الأسى ، فـانفاء . فـأخذنـا بقراءة المجمع ، 20 ب ، وما أثبتناه ظنّي .

(2) حساب الجمّل يوافق التاريخ المذكور : 1239 .

(3) مجمع ، 37 ب . وانظر ترجمة الشيخ صالح الكوّاش في الإتحاف ، 44/7.

حرف الواو

115 ـ قال رضي الله عنه يمدح مقدّم الطريقة القادرية[1] العلامة الشيخ محمد بن عيسى تغمّده الله برحمته [طويل] :

هَلُمّوا بني أمّي إلى جنّة المأوى ... تَرَوْا حُسْنَ ما فيها من ٱلْمَنِّ وٱلسَّلْوَى

الى مجلسٍ طابت عناصر سرّه ... بفضل الإلٰهِ عالمِ السرّ والنَّجْوَى

جرت فيه من فَيْضِ الرّسول سحابةٌ ... فهو كما تدري حصونٌ من البَلْوَى[2]

على كلّ ذي شَأْوٍ فأصبح في الورى ... عَلِيَّ الذّرى لا يدركون له شَأْوَا

5 فَقُلْ للّذي ينهاك عن طيب نشره ... ويعذل : ما لي عن محاسنه سَلْوَى

الى حضرة الأَزْكَى المكمّل مَنْ له ... بَراهِنُ فضلٍ عن جميع الورى تُرْوَى

[93] / إمام الهدى هو ٱبْنُ عيسى محمّدٌ ... شريفُ الورى أَصْلاً وأَكْرَمُهُمْ مَثْوَى

قديماً عَلاَ حتى تمهّد ذروةً ... تُذَرّي فحولَ النّاس ما دونها ذروى[3]

ألا يا ٱبنَ عيسى مَنْ يساويك رفعةً ... وهل يستوي أعلى الروائح بالأَسْوَا ؟

10 حِمَاك وإلا ما تُنالُ حمايةٌ ... وحُسْنُك أَوْ كُلُّ المحاسن لا تُهوى

وفيك وإلاّ ما تَوَشَّحُ مِدحَةٌ ... ومنك وإلاّ مَنْ يجيب بذي الشَّكْوَى

---

(1) نسبة الى الوليّ الصالح الشيخ عبد القادر الجيلاني . والقصيدة في المجمع ، 10 ب .

(2) فهو : يختل بها الوزن ، إلاّ بتشديد الواو .

(3) تذري : قراءة تقريبية ، بمعنى : تتركهم وتشتّتهم .

ففيك أماني يا مُناي ومنيتي — وأترك من يروي ملاميَ لا يروى[1]

وأقتل نفسي في رضاك صبابةً — إلى أن أرى وَجْهَ العواذل لي يُشْوَى

دعوني ولومي في آبن عيسى فإنّني — أرى لَوْمَهُ أشهى من المنّ والسّلوى !

* * *

(1) في المخطوط : منائي يا أماني ، والتصويب من المجمع .

حرف لام ألف

116 ـ قال رضي الله عنه مؤرّخاً وفاة العدل العلاّمة الشيخ عبد الله التّميمي ، خال الشيخ إسماعيل التميمي رحمهما الله تعالى ورضي عنهما ، آمين [كامل][1] :

يا سالكاً في الأرض سُبْلاَ ... ما يتّقى للموت نَبْلاَ
قف واعتبر بحُلاحِلٍ ... متوحّد فضلا ونُبْلاَ[2]
كانت به الأيّام لا ... مَثَلاً لها بَعْداً ولا قَبْلاَ
والعلم كان به حَياً ... لِلْعَالَمِينَ وكان وَبْلاَ[3]
5 ولَكَمْ أفاد من آعتفى ... ولكم أزاح عليه جهلا[4]
وأبان عن طرق الهدا ... يةِ ما يرى صِدْقاً وعدلا
وعلى أهالي الفضل مِنْ ... أهل العدالة زاد فضلا
وعلى الكِرام مِنَ الكرا ... مِ من الكرام الأصل جُلّى
وعلى عيون الكاتبيـ ... ـن ذوي البراعة كان جلاّ
10 والآن سار إلى الرّضى ... لمّا تبيّن منه إلاّ[5]
[94] / ودعاه : عبدَ الله يا ... بَدْرَ التّميميّين أهْلاَ !
لبّى لدعوة ربّه ... وتخيّر المُلْكَ الأجلاّ

(1) التعطير : 8/1 . مجمع ، 38 أ .
(2) الحلاحل : السّيد الكريم .
(3) الحيا : المطر .
(4) عليه ، والأصوب : عنه .
(5) الإلّ : العهْدُ .

ولـذاك فـي تـاريـخـه : كـانت لـه الفـردوس نُـزْلا[1]

1205

* * *

117 ـ وقال رحمه الله يرثي الأميرة آمنة آبنة علي باشا باي [كامل][2] :

سَكَنَتْ فسيحاً في الجنان ظليلا ... وقطوفها قد ذُلِّلَتْ تذليلا

لا تحسبوها في الثّرى ومَقيلها ... تهوى الثريّا أن تكون مقيلا

بنتُ الهُمَامِ عليٍّ الملكِ آلّذي ... لم يتّخِذْ غَيْرَ الصّلاح خليلا

وحليلةُ الباشا الهمام أبي الثّنا ... وكفى بمحمودِ الخليل حليلا

5 أمُّ الملوكِ وأختُهُم يا مَنْ رأى ... حَسَباً لذا الحَسَبِ العريقِ مثيلا

شرفُ لَوَ آنَّ الشّمس تملِك بعضَه ... لم تتّخِذ نحو الغروب سبيلا

ألَهَا كآمِنَةٍ يدٌ مبسوطة ... عَطْفاً على الفقراء أو تقبيلا

طالت خطاها والخطى مقصورة ... فيما يكون به الكمال طويلا

نَسَجتْ على النّوْل القديم طرازَها ... وَرَأَتْ سَدَى ذاك الهدى تبديلا

10 وتمسّكت بِعُرَى الدّيانة كفُّها ... وتبتّلَتْ لمعادها تبتيلا

ثمّ آنقضت والفيضُ يعبق نشرُه ... عبقا على حُسْنِ المآب دليلا

ومضت الى الفرْدَوْس في تاريخها: ... يا حبّذا جودُ حَوَتْهُ جميلاً[3]

1238

* * *

(1) في الإتحاف ، 36/7 ، ترجمة وجيزة لهذا الفقيه الموثّق . وقال إنه مات سنة 1214 . وحساب الجمّل هنا يوافق سنة 1205 .

(2) مجموع ح.ح. عبد الوهّاب 1/29 ب (18548)، مجمع، 20 ب. وهذه الأميرة التي توفّيت في سنة 1238 (1822) هي آبنة الباشا علي بن حسين باي (1759-1777) وشقيقة الأمير حمّودة باشا (1777-1824) وزوجة الأمير محمود باي (1814-1824) ووالدة الأميرين حسين باي الثاني (1824-1835) ومصطفى باي (1835-1837) وهذا ما يشير إليه الشيخ إبراهيم الرياحي في مرثيته (أنظر، الإتحاف، 141/3) .

(3) تاريخ الشطر : 1238 .

حرف اليـاء

118 ـ وقال قدّس سرّه معارضاً القصيدة اليائية [سائق الأظعان يطوى البيد طيّ] لسلطان العاشقين الشيخ عمر بن الفارض[1] رضي الله عنه [رمل][2] :

حَيِّهِمْ إن جِئْتَهم يا سَعْدُ حَيّ ... فَهُمُ أهل الحيا في كلّ حيّ[3]

[95] / عِشْ بهم صبًّا ومُتْ في حبّهم ... مَنْ يَمُتْ في حبّ حيٍّ فهو حيّ

هم ملوكُ الأرضِ سادات الورى ... فآرْوِ عنهم وآطْوِ ذكرَ الغيرِطيّ

لم يَزَلْ إحسانُهم يغمرنا ... مطلباً بالفيض في نشر وطيّ

5 كم كذا ألفاظهم تأتي بما ... فيه للقلب شفاءُ ودُوَيّ

لفظهم والجود ، ذا فيه شفا ... لذوي السّقم ، وهذا فيه ريّ

من كلا هذين لا أبرح في ... سكرة فآرْوِهم عن سَكْرَتَيّ

فثناهم لامعٌ في فكرتي ... ونَداهم هامعٌ في راحَتَيّ

أنا منهم لم أزل مكتسِباً ... كلَّ ما يُنْسَبُ في الخير إلَيّ

10 طَرَقَتْنِي نفحةٌ من سِرِّهم ... فكسا ضَوْءُ سناها أصغريّ

سيّدتني مُنْشِئاً مرتحلاً ... كلُّ ما أطلُبُه في قبضتيّ[4]

---

(1) عمر بن الفارض (1180-1234) من كبار شعراء الصوفيّة وهو من أصل حموي ، عاش في مصر ثم انتقل إلى الحجاز حيث نظم كثيراً من قصائده ، وقد كان متأثراً بالشيخ محيي الدين بن عربي ، انظر : محمد البهلي النيال ، الحقيقة التاريخية للتصوّف الإسلامي .

(2) التعطير ، 114/2 والمجمع ، 2 ب .

(3) في التعطير : « الوفاء » .

(4) في التعطير : « سوّدتني » . وقراءة منشئا تقريبيّة .

أَسْعَدَ اللّهُ بهم فكري فلا | يعتريني نَصَبٌ في ساعديّ
واجبٌ عنديَ أن أسعى على | بَصَرِي حقّاً لهم لا قدميّ
[يا لساني أَدِمِ المدحَ لهم | دائمَ الدّهر ويا فكري تَهَيّ][1]
15 أنا واللّه محبٌّ لَهُمُ | صدِّقوني ليس بعد اللّه شيّ
مُخْتَفٍ حبّهُمُ في مُهجتي | عن جميع الخلق إلا ملكَيّ
قد منحت بوفا دون جفا | فلذا أَنْسَيْتُمُوني أَبَوَيّ
وسقاني كفّكم كأسَ نَوًى | من رحيقٍ باردٍ فيه شفيّ
فلكم منّي صلاةٌ كلّما | أَمْطَرَتْ سحبٌ بصُبح وعِشيّ
20 وكذا الآل مع الأصحاب ما | وَجد الحيُّ فتىً في كلّ حيّ
وآستمرّ المدح يأتيكم على | « سائق الأظعان يطوي البِيدَ طيّ »

* * *

119 ـ وقال رحمه الله معارضاً أيضاً الشيخ المذكور [رمل][2] :

[96] / حُبُّكُمْ قد شدّني من عضدَيّ | وافتقاري لَكُمُ أغنى يديّ
يا جلوسي حيث لا جُلّاسَ لي | ثمّ أُنْسي حيث لا أُنْسَ لديّ
[طاب لي فيكم عَذابٌ واصبٌ | قَدْ لَوَى الأحشاءَ منّي أيَّ لَيّ][3]
شِئْتُمُ كَيَّ فؤادي مغرماً | فآنكوى منكم بكَيّ أيِّ كيّ
5 فجزمتم لي فؤاداً تَعِباً | عَجَباً كيف يُرَى الجزْم بكَيْ[4]

---

(1) بيت ساقط من التعطير .
(2) التعطير ، 115/2 . مجمع ، 3 أ .
(3) بيت ساقط من التعطير .
(4) تورية وملحة نحويّة .

أنـتُم أَدْرَى بـمـا بيـن الـحـشـا وآنْـطَوتْ عنـه ضُلوعي أيَّ طيّ

آفـعـلوا مـا شئـتُـم إنّـكُـمُ كـلُّ فعـل منكمُ عَـذْبٌ لـديّ

وإذا عـنّـفـنـي ذو عـذَلٍ قـائلاً : حُبُّـكَ فيهم كـان غيّ

قُـلْتُ : مَـهْ دَعْـني فلَوْ أَنَّـهُـمُ منحـوني الحُبَّ مـا كنت بحـيّ

10 هـم فؤادي وحيـاتي مثـلَمـا أنّـهم سـمعي ومَـرْأى مُـقْلَتَيّ

يـا أُسَـاتي حيث مـا أنتُـمْ أنـا وتـنـزّهتـم عـن الـشّبْـهِ بـشـيّ

فـآكشِفـوا عن عَيْنِ قلبي غَشْـوَةً وآقْـلَعـوا لي صَـمَـمـاً فـي أُذُنَيّ

كي أرى بعضـاً من الحُسْنِ الذي دُونَـه الأفكـارُ في عـجـزٍ وعِيّ

وتـعـي نـحـوكُـمُ أذْنـي وإنْ كنتُ أرجـو منصبـاً صعبـاً عليّ

15 فـأرى مـنكـم رِضًـى يُـلْبِسُـنِـي تحت أطبـاق السرى أَحْسَنَ زيّ

بـالنبيء الهـاشمِيّ المصـطفى خَـيْـرِ خلقِ اللّهِ مِن آل قُـصَـيّ

* * *

أرجـوزة

120 ـ وقال رضي الله عنه يستغيث ويتضرّع في شفاء الشيخ البشير الزواوي رضي الله عنه عام 1801/1216 [رجز][1] :

يـا من يجيب دعـوةَ الـمضـطرِّ ... أبـدل إلٰهي عُسْـرَنـا بـاليُسْـرِ

الحمدُ للّه المجيبِ من دعـا ... وفـاتحِ ٱلْبـابِ لِعَبْـدٍ قـرعـا

سبحـانـه من راحمٍ رحمـانِ ... تـبـارك اللّطيـف من منّـانِ

[97] / مَنْ ذا الـذي ما شَمَلَتْـهُ رَحْمَتُـهْ ... وأيّ خـلقٍ لـم تَـنَـلْهُ مِنَّـتُـهْ

5 هـو الـذي مَنَّ بـإرسال الحبيبِ ... فيـا سعـادةَ المنيب المستجيبِ

جعله نـوراً بـه تُجْلَى الـظُّلَمْ ... وكَـمْ لنـا مـن نعمـة بـه وكَـمْ

نـرجو بـه مَحْوَ ذنـوبٍ كَثُرَتْ ... ونَيْـلَ إصـلاحِ قلوبٍ فَسَـدَتْ

صلّى عليه اللّه مِنْ صدرٍ سَمَـا ... وخَلْفَـهُ صلّى الصُّدورُ في السّمـا

صـلّى عليـه اللّه مِنْ ذي جَـاهِ ... لـم يَـدْرِ مـا مَعْنَـاهُ غيْـرُ ٱللّهِ

10 وآلِـه وصـحـبِـه وكـلِّ مَـنْ ... سار من الإيمان في نهجٍ حَسَنْ

صـلاة مُـدمِنٍ لقَـرعٍ فَـوَلَـجْ ... ونـال من جدواه مـأمولَ الفَـرَجْ

ثمّ بـذاك الجاه والقـدر الكبيـر ... نسـأل في شفـا شيخنـا البشيـر

نـسـألـك اللّهُـمَّ كشفَ ضُـرِّهِ ... وبُـرءَ سُـقـمـه ونُـجـحَ أمْـرِهِ

وٱجْمَـعْ لـه بين شفـاء الجَسَـدِ ... ونـيْلِهِ حُسْنَ الأجـورِ في غَـدِ

---

(1) التعطير ، 9/1 ، والشيخ البشير الزواوي هو شيخه في الطّريقة الشاذلية وقد مرّت مرثيّته . والأرجوزة مفقودة من المجمع .

15 يـا منجيـاً من غـمّـه ذا النّـون — من بعـد ما أشفى على المَنُونِ[1]
وسـامـعَ الـدّعـاء من أيّـوبَ — وراحـمـاً بـيـوسُـفٍ يـعـقـوبَ
ومُـبْـردَ الـنّـارِ لإبْـرَاهـيـمَ — ومـانِـحَ الـتّـنـزيـه لـلكَلِيمِ[2]
ومُـسْـرِيـاً بِـسيّـدِ الكُـلِّ الـى — مـا ليس يـرجـوه ذَوُو قَـدْرٍ عَـلا

جَـلِّلْهُ يـا رَبِّ ثيـابَ الـعـافيـة — وَهَـبْ لـه نفحـةَ خيـرٍ وافيـة
20 وآنفض فراشه على أيـدي الشّفـا — بحقّ مـا في مُسْلِمٍ وفي الشّفـا[3]
يـا ربِّ قـد وَهَـنـتِ آلْـعِـظَامُ — وأنـهـكـت قـوّتـهـا الـسّـقـامُ
وغـاب عـنّـا وجـهُـه لـذاك — فصـارت الـدّنيـا لنـا أحْـلاَكَـا
وأنـت حَـسْـبُ ذاك لـيس إلاّ — فـآمْنُنْ علينـا نِـعْمَـةً وفَـضْـلا
يـا رَبَّنـا الـلّهُـمَّ وآشْفِ أُمَّنَـا — زوجتَـه التي حَـوَتْ طيبَ الثَّنَـا
[98] 25 / وعَـافِهـا من كـلّ ضُـرٍّ وضَنَى — وفُـكَّهـا من كـلّ ضيـقٍ وعَـنَـا
أطـاعتِ آلـرَّحْمَـانَ في بشيـرهِ — ووافَـقَـتْ رضـاه فـي أُمُـورِهِ
فـأصبحَتْ في حُلَلِ الـرّضـوانِ — رافـلةً لَـيْـسَـتْ كـمـا الـنّـسـوانِ
وهَـبْ إلـهـي بـعـد ذا ذرّيّـة — طيّبـةً صـالحـةً مَـرْضِـيّـة[4]
تَـرِثُ مـنـه الـعـلمَ والأسـرارا — والـحِكْـمَـةَ الـعَـلْيَـاءَ والأنـوارا
30 سـالكـةً مسـالـكَ الصـوفيّـة — كـارعـة من عينهـا الـصفيّـة
يـا واهبـاً يَحْيَى على وَهْنِ آلْكِبَـرْ — ومُتْحِفـاً زَوْجَ الخَلِيلِ بِـالبَشَـرْ
ولـيس فـي أمـر الإلـه عَـجَـبُ — وهـو لتحسين الـرّجـا مُسْتَوْجِبُ
سـألتُـك اللّهـمّ بـالمـخـتـار — وآلـه وصـحـبـه الأخْـيَـار

---

(1) ذو النون : هو لقب سيّدنا يونس عليه السّلام .
(2) في التعطير : « للسّليم » . والكليم موسى عليه السلام .
(3) مسلم : أي صحيح مسلم . وشفاء القاضي عياض .
(4) في التعطير : « صالحة ذرّيّة » .

ومُحرز ذاك الإمامِ بنِ خلَفْ ... مَنْ جاء في التّقوى على هَدْيِ السَّلَفْ[1]

35 بما أَنَلْتَهُ من المعارفِ ... وما وَهَبْتَهُ من العوارِفِ

وآبن عروسٍ عِيبةِ الأسرارِ ... ذي الحِكَمِ السّاطعةِ الأنوارِ[2]

كم نَبَّهتْ بزجرها قلباً غَفَا ... وكم شَفَتْ من واقفٍ على شفَا

وصاحبِ الإمام مالك عليّ ... ابن زيادٍ صاحب القَدْرِ آلْعَلِيّ[3]

وجَاهِ تلك الدرّة المكنُونَة ... عائشةَ السيّدةِ المصونة[4]

40 ذاتِ التصرّف الكبير القاهرِ ... والسِّرِّ والنّورِ القويّ الظاهر

وجاء لَيْثُ الغابِ مَنْصُورٌ وَمَنْ ... نال من الأسرار فوق ما يُظَنّ[5]

وسائِر الرّجال من أهل البَلَدْ ... وكلِّ مَنْ كان له فيه مَدَدْ

وأولياء اللّه في كلّ الجهاتِ ... مَنْ قد أتى فيما مضى أو هو آتِ

يا رَبِّ قدّمنا لَكَ الرّجالاَ ... فلا تُخَيِّبْ سيّدي الآمالا

45 وقد دعوناك على آضْطِرارِ ... منكّسي الرّؤوسِ والأبصارِ

[99] / مستنجزين وَعْدَكَ المُوَفَّى ... وكارعين وِرْدَه المُصَفَّى

أَغِثْ أَغِثْ أنت مُغِيثُ المستغيثْ ... فما لنا سِوَاكَ يا رَبِّ مُغِيثْ

وآغْفِر إلهي للجميع ما سَلَفْ ... وآمْنُنْ على الكلّ بإسْكَانِ آلْغُرَفْ

وأَنجِحِ آلمَقَاصِدَ الجميعا ... ويَسِّر آلصَّعْبَ لنا سريعا[6]

---

(1) الولي الصالح الشيخ محرز بن خلف (951-1023) ، وهو معروف بالعبادة والتقوى وتحفيظ القرآن الكريم للصبيان . وقد اشتهر في مدينة تونس باسم « سلطان المدينة » .

(2) أحمد بن عروس ، من أشهر الأولياء الصالحين بتونس في العهد الحفصي . بنى له السلطان المنتصر زاوية بالقرب من جامع الزيتونة أقام بها أكثر من 30 سنة وتوفّي سنة 1463 .

(3) عليّ بن زياد : أوّل من أدخل الموطأ الى تونس . توفّي سنة 183 . (شجرة النور الزكية ، 60 رقم 33) .

(4) عائشة المنوبية من أتباع أبي الحسن الشاذلي توفيت بتونس سنة 1267 .

(5) منصور بن جردان من المتصوفين المشهورين في مدينة تونس . توفي سنة 1498 .

(6) في المخطوط : « وصيّر » .

50 وَيَسْأَلُ آلنَّاظِمُ إبراهيمُ مَحَبَّةً بذكرها يَهِيمُ
والعطفَ من شيخ الوفا البشيرِ وَآلْجَمْعَ في اليقظة بالبشير[1]
صلّى وسلّم عليه اللّهُ ما لا يَفِي آلْعَدُّ بِمُنْتَهاهُ
وآلِهِ الأشرافِ والأصحابِ وكلِّ مَنْ يُعَدُّ في الأحْبَابِ

* * *

(1) في المخطوط : « شيخ الصّفا » .

مسائل فقهيّة وغيرها

121 ـ قـال رحمه الله نـاظماً الصّلوات التي تفسـد على الإمام دون المـأموم [طويل][1]:

وأيّ صلاةٍ لـلإمـام فسادُهـا ... تبيّنَ ، فـالمـأموم في ذاك تـابعُ
سوى عدّة ضاهت كواكب يوسف ... وهـا أنـا مُبْـدِيهـا اليك وجـامعُ :
ففي حَـدَثٍ ينسى الإمـام وسبقـه ... وقهقهـة والخـوف في العـدِّ رابع
وإعـلام مـأمـوم بفـوز إمـامـه ... بتنجيسـه والبعض فيـه منـازع
5 وقـطع إمـام حين كشفُ لِعَـوْرَةٍ ... على ما لِسَحْنونٍ وقـد قيل واسـع
ومستخلف لفـظاً لغير ضـرورةٍ ... لأجل رعاف : هي في العدّ سابع
ومستخلَف بـالفتح لم يَنْـوِ ثمَّ مَنْ ... بتسليمـه فـات التـدارك تـابـع
وتـارك قبلي الثّـلاث وطـال إن ... همُ فعلوا ، لكنْ بـه الخلفُ واقع
ومنحـرف لا يستجار انحـرافـه ... وهـذا غـريب بـالتتمّة طـالـع
[100] 10 / وذا في صلاة ما الجماعة شرطها ... وإلا فبطلانٌ على الكـلّ شـائـعُ

* * *

122 ـ وقال رضي الله عنه فيمن يجب عليه إمساك اليوم الذي أفطر فيه ومن لا [يجب عليه] ، على ما ذكره الشيخ الخرشي رحمه الله . [طويل][2]:

---

(1) التعطير ، 105/2 ، ومجموع ح.ح. عبد الوهاب 18841 . مجمع ، 46 ب .

(2) التعطير ، 106/2 ، والزيادة منه . مجمع ، 47أ .

إذا صائم يعروه فَطْرٌ وقد أتى يسائل عن إمساك آخِر يَوْمِهِ
فإمْسَاكُهُ حَتْمٌ بيوم معيّنٍ لدى العَمْدِ والمظنون منفيّ حتمِهِ
وفي غيره حتم بشهر صيامه وإنْ يَقْضِهِ فالنّدْبُ غايَةُ حُكْمِهِ
وفي كلّ محتوم التتابع ندبه يرى إن عراه الفطرُ في بَدْءِ صَوْمِهِ
5 وفي غير محتوم التتابع حكمه الـ ـخيارُ كصَوْمِ العيدِ فاظفَرْ بفهْمِهِ

* * *

123 ـ وقال رحمه الله ، ناظماً المطالب السبعة [طويل][1] :

لتحقيق برهان الوجود مطالب محصّلها سبع فَخُذْ كَشْفَ لَبْسِهِ
فأوّلها في العدّ إثباتُ زائد وثانيها إبطال القيام بنفسه
وثالثها في العدّ إثبات نقلة ورابع إبطال الكمون وعكسِه
وإبطال عدم للقديم وسادس لزوم مزيد في المحلّ لجنسه
5 وإبطال تجويز التسلسل سابع فَزَاحِمْ بحفظ العلم وَاعْنَ بدرسه

* * *

124 ـ وقال قدّس سرّه ، ناظماً ما يمنع من بيع الطّعام بالطّعام والنّقد بالنّقد والعرض بالعرض [طويل][2] :

إذا بِعْتَ مطعوماً بمطعوم آخر فإن كان بالتأجيل فامنعه مطلقا
ويُحْرَمُ في الجنس التّفاضلُ إنْ هما يكونا ذوي قوتٍ وذخرٍ فيُتّقى
وحرِّمْهُمَا في النّقد والجنسُ واحدٌ وللنسء فامْنَعْ حيثما الجنس ما الْتَقى
ومهما تَبِعْ عَرْضاً بِعرضٍ فإنّه سوى الجنس بالتأجيل والفضل يُنْتَقى

---

(1) مجمع ، 46 ب .

(2) التعطير، 106/2 . مجمع، 46 ب.

5 وأَجْرُ اختلاف النفع مجرى تخالف   بجنس هنا فاحفظ فلا زلت ذا تُقى

* * *

125 ـ / وقال رحمه الله ملغزاً معنى قول ابن عاصم :

« وديّـة الجـروح في النّسـاء   كـديّـة الـرّجـال بـالسّـواء »

إلى آخر الأبيات . [طويل][1]:

أخا الفقه هل تَهْدِي الى الرّشد سائلاً   تَحَيَّـرَ في أمـرٍ عـويصِ المسالـك

أَمَـا قـرّروا أنّ الجـريمـةَ مثلهـا   يكون الجزا عـدلاً لدى كـلّ ناسـك

ويـزدادُ إنْ زادت ولـكـنْ قـد أتـى   بنقصـانه في الـزَّيْـدِ مـذهبُ مـالِـكِ

* * *

126 ـ وقال قدّس سرّه مجيباً بعض المغاربة على قوله ملغزا . « ألا أيّها القاضي لنا هالكُ خلا » إلى آخر الأبيات ، عام 1817/1223 [طويل][2] :

أخو الزّوجة الغرّا الذي مات جدّه   وقدمات عنه بعدما مات عنـه أبْ

وذاك أنّ الـجـدَّ زوّج نَـجْـلَه   بـأمٍّ لها جـاءت بنجل ولا عَجَبْ

فيحـوي أخوهـا مـا تبقّى لأنّـه   لِمَيّتِنا نَجْلُ آبْنِهِ فهـو قـد عَصَبْ

فهـذا جوابي مُسْعِفـاً فيـه سـائـلاً   وإنْ لم يُوفِّ اللّفْظُ منه بها وَجَبْ

* * *

---

(1) التعطير، 107/2 ومجموع ح.ح. عبد الوهاب 18841 والمجمع، 46 أ. والبيت الموالي في العـاصميّة هو:

« إلاّ إذا زادت عـلى ثـلُث الـديَـة   فمـا لهـا من بعـد ذاك تـسـوِيَـة »

(2) مجمع ، 46 أ ، التعطير ، 107/2 . وسؤال المغربي هو :

ألا أيّهـا القـاضي لنـا هـالِـكٌ خـلا   عن الـزّوجـة الغـرّا وأخٍ لهـا نُسِبْ

فـتـأخـذُ ثُمْـنَ الـمـال ، والأخُ كـلّه   وهـذا سؤالٌ ، والشـوابُ لِـمَنْ يُجِبْ

استدراك ما ذهلت عنه

127 ـ قال قدّس سرّه مكاتباً الشيخ سيدي الطاهر بن عبد الصّادق رحمه الله [متقارب][1]:

[102] / ألا قل لسكّان وادي العقيق   هنيئاً لكم في الجنان الخلود[2]

أفيضوا علينا من الماء فيضا   فنحن عِطاشٌ وأنتم وُرودُ[3]

* * *

128 ـ وقال رحمه الله مجيباً الشيخ العربي الدمناني أحد الكتبة بفاس عن كتاب أرسله اليه عند وصوله الى تونس متوجّهاً الى الحجاز عام 1827/1242 [4] :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف ، 3) . الحمد لله ربّ العالمين .

---

(1) التعطير ، 22/2 وكشف الحجاب ، ص 397 . والبيتان مفقودان من المجمع .

وفي مسامرات الظريف ، 183/1 : هو أحد أتباع الشيخ أحمد التجاني ، قدم الى تونس سنة 1838 فأصطحب الشيخ إبراهيم الرياحي الى بلدة تماسين بالجنوب الجزائري للقاء شيخ الطريقة التجانية بها ، وهو الحاج علي التّماسيني ، فسارا اليها عبرَ القيروان ثم الصحراء ، والبيتان غير مذكورين في المسامرات . .

أنظر ترجمة السيد الطاهر بن عبد الصادق الأقماري في كشف الحجاب ، ص 396-397 .

(2) في كشف الحجاب : « ألا قل لساكن . . . » .

(3) بقية الخطاب رسالة نثرية أعرضنا عن نقلها . وهي منشورة أيضاً في كشف الحجاب ، ص 397 ، بتاريخ « أواسط حجة الحرام سنة 1260 » .

(4) مجمع ، 29 ب . التعطير ، 97/1 . وفيه نصّ الرسالتين بين الشيخ محمد العربي الدمناني المغربي والشيخ إبراهيم الرياحي . وفي رسالة الكاتب الفاسي عتاب للشيخ التونسي ، فكان ردّ شيخنا قويّا .

والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمد خاتم النبيّين ، وإمام المرسلين . وعلى آله وصحبه والتابعين ، الى يوم الدين [طويل] :

عجبتُ وهل ذا الدّهرُ إلاّ عجائِبُ لمن قال ذا عتبٌ بِحُسْنِ بيَانِ

أتيناكُمُ من بُعْدِ أرضٍ نزوركم وكم منزلٍ بِكْرٍ لنا وعَوانِ

نُسائِلُكم هل من قِرًى لنزيلِكُم بِمَلْءِ جُفُونٍ لاَ بِمَلْءِ جِفَانِ

أتأتوننا قصد الزيارة ثمّ لا توافوننا من بعد نَيْلٍ تدانِ ؟

5 وتَغْنَوْنَ بالإرْسال عن وصل حِبِّكُمْ وقد صار منك الوصلُ طَوْعَ بَنانِ

لقد جلّ هذا الحبّ حتّى كأنّه سرابٌ تراءى لامِعاً لِعِيَانِ

وساءلتُمُ مِلْءَ الجفون قراكمُ أشرتم الى بُخْلٍ بملء أوانِ[1]

بعيشك ما صدّ الجفونَ عن القرى وما احتجتَ في لقياه للوخدان

وقد لاح لي في شرح ذاك ضمائر أنزّه عن إعرابهنّ لِسَانِي

كتابك أيّها السيد الذي بذّ الأقران . وأذكر بإحسان بيانه بيان حسّان . لعلّه مجرّد إبراز لإبريز البلاغة . ومحض حسن تخيّل ببنان البيان صاغه . وإهمال المراقبة لأمر العاقبة ساغه . تبغي بنفثاته البالية . قلب الحقائق العقليّة والنقليّة . وإلاّ فكيف يسوغ[2] في معقول أو منقول ، قرب الحبيب وما إليه وصُول[3] ، والقناعة عن ملء الجفون برسول . بعدما ادّعيتم من معاناة البعد البعيد . ومكابدة الشّوق الطويل المديد . وقد قال القرب : ﴿ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾ (ق ، 23) . وإنّ حبّكم مبنيّ على غير أساس . أولم يَعُدْ من شرّ الجنّة والناس . فابْتُلِيَ عَقدُه بالفسخ . وقبل التبليغ وقع النّسخ . ثم إنّك لم تَأْلُ جهداً في السّباب . وأُتِيتَ من فنونه / بالعجب العجاب ، ورُمْتَ ترويجه على أولى الألباب . باسم الدّعابة والعتاب . وهل تخفى الشمس ليس [104]

(1) في التعطير : « عن القرى » .

(2) في التعطير : « يتصوّر » .

(3) لم يتمكن الزائر من لقاء الشيخ ، وذاك سبب حنقه .

دونها حجاب ؟ فكنتم كهادم محلّ سكناه . أو كباسط كفّيه الى الماء ليبلغ فاه . ولو كان القلب ما زال تستفزّه البروق . وصهباء الشّباب بمزاج السّرور تروق . لجريتُ معك في هذا الميدان . خليع العذار طلق العنان . وأبنتُ متشابه كتابك بأتمّ بيان . ولكن :

صحا القلبُ عن سلمى وأقْصَرَ باطلُه وعُرِّيَ أفراسُ الصّبا ورواحلُه[1]

والله تعالى يقابل جميعنا بالعفو . ويسامحنا فيما ارتكبناه من اللّغو . والسّلام .

* * *

129 ـ وقال رحمه الله متعذّراً للوزير مصطفى خزنه دار[2] عن وضع ختمه في قرطاس أبيض ملاصق للقرطاس الذي كاتبه به غلطا من غير شعور عندما وجّه الوزير اليه القرطاس المطبوع :

المقام الوزير الذي أوتي الأخلاق السنيّة ، والشمائل اليوسفيّة ، [فابتَهَجتْ به الدولة الأحمدية المشيرية][3]. السّلام التام ، المحمول على كاهل المبرّة والإكرام ، والدعاء المرجوّ بدوام العزّ وحسن الختام . وبعد فقد وصلني جوابي الذي كنت أرسلته الى السّيادة ، مصحوباً بالورقة التي وقع فيها الختم على وجه الخطإ . ونبّهتنا عليه تنبيه المحسن لمن أساءَ وسبحان من لا يضلّ ولا ينسى . لكن ظهر لي في هذا الخطإ سرّ مناسبٌ لقدرك الأعلى . وهو أن الختم لو كان مباشراً لوقع على اسمك الشريف ونعتك اللّطيف . فيصير اسمك العالي ونعتك العالي أسفل والختم أعلى . ويأبى الله إلاّ أن يكون العلوّ لقدرك الأسمى ، ذاتاً وصفةً وآسماً . ولهذا قلت

---

(1) البيت لزهير . آنظر ، شعر زهير بن أبي سلمى للأعلم الشّنْتَمْري ، نشر فخر الدّين قباوة ، حلب 1970 ، ص 41 .

(2) تقلّد مصطفى خزن دار الوزارة الكبرى من سنة 1837 الى سنة 1873 والاعتذار منقول في التعطير ، 116/2 .

(3) والدّولة الأحمدية المشيرية هي مُدّة المشير الأول أحمد باشا باي (1837-1855) . وهذه الجملة ساقطة من التعطير .

في ذلك نظماً [كامل][1] :

الختمُ أدرك أنّ قدرَك جلَّ أن يختارَ لاسمِكَ أن يُصيِّر أسفلا
خاف الوقوعَ على آسمِك الأعلى إذا فوق الكتابة لو توَسّطَ فيصلا
[105] / أخطأتْ في ظنّي فكان صنيعُه فضلاً يجلّ به مَقاماً أفضَلاَ

والله تعالى يبقيك ، ومن كلّ سوء يقيك . والسّلام من معظّم قدركم العلي ، إبراهيم بن عبد القادر الرّياحي .

* * *

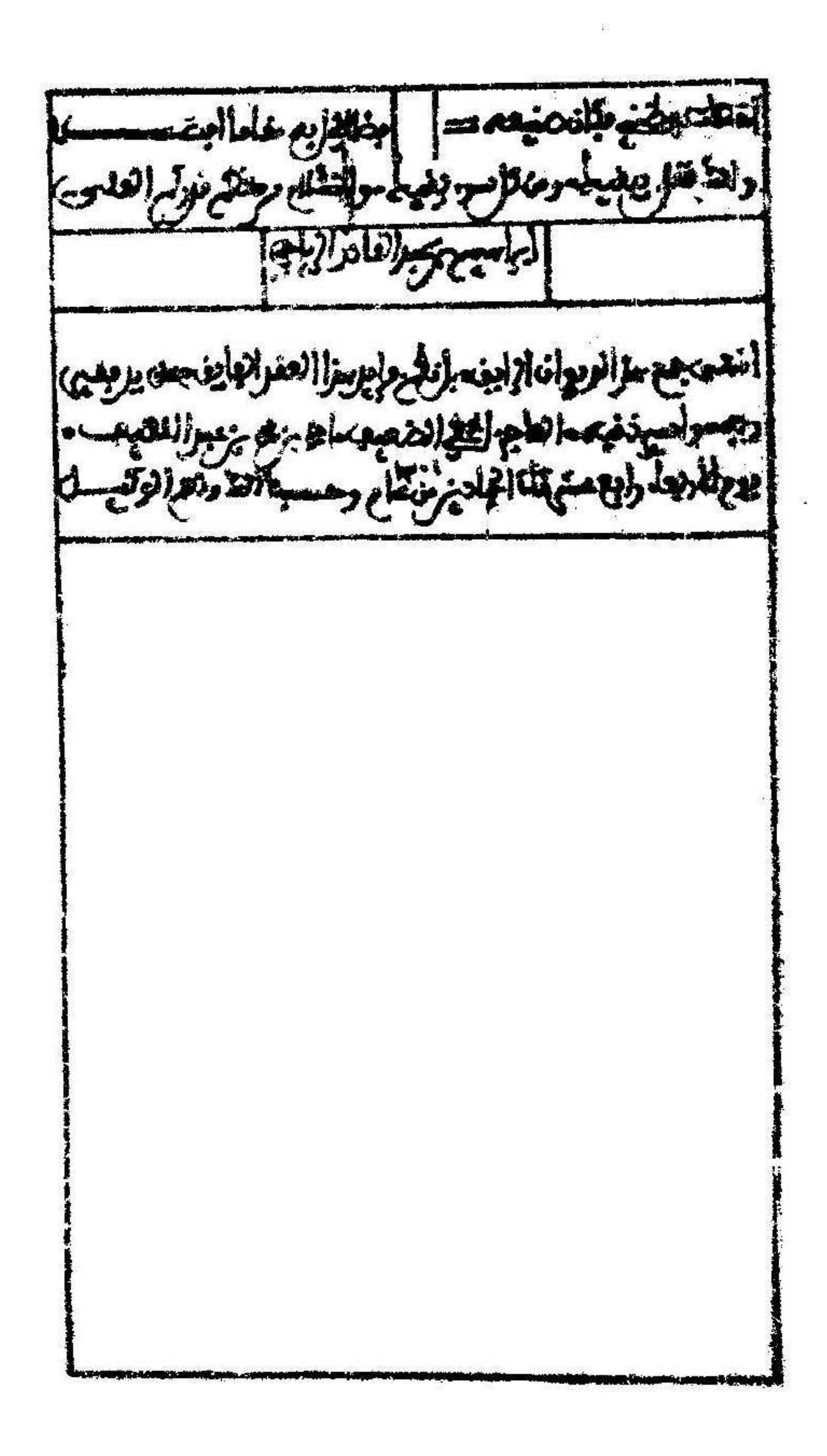
آخر المخطوط

انتهى جمع هذا الديوان الرائق . بل نظم فرائد هذا العقد الفائق . على يد فقير ربه ، وأسير ذنبه ، العاجز الممضي الضعيف ، أحمد بن محمد بن عبد اللّطيف ، يوم الأربعاء رابع عشر ثاني الجمادين من عام 1884/1301[2] وحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(1) مجمع ، 26 أ .

(2) من الجدير بالملاحظة أن كتاب « تعطير النواحي » منشور بتونس سنة 1320 .



الصفحة الأخيرة من الديوان

ملحقات

قصائد ومقطوعات
غير واردة في الدّيوان

1

ملحقات من التعطير

130 ـ قال الشيخ إبراهيم الرياحي مادحاً الشيخ محمّد بوراس الـواسطي من بلد أم العسـاكـر بـالمغرب الأوسط [الجـزائـر] ، حـال سفـره وجـولانـه بتـونس [بسيط][1] :

يـا هـل درى جيرَة بـالسّفـح قُـطّانُ ... أنّي بهم بين فِيـح البيـدِ وَلْـهـانُ ؟

أشتـاقهم ، وَسَـوادُ القلب مسكنُهم ... وأَسْـوَدُ العَيْنِ إِذْ لم يَحْظَ سَيْـحَـانُ

وأجـتلي عـنهـمُ الأنبـاءَ إذ عَـمِيتْ ... عيني ، وكالعين بَعْضَ الحِين آذانُ[2]

فـإنّ روحي بـذكـراهُمْ لهـا طَـرَبٌ ... ولـلـفـؤاد بـهـا رَوحٌ ورَيْـحَـانُ

5 فـلا تَلُمْ أيُّهـا اللاّحي ، فـإنـك عـ ... ـمـا كبـدَتْ كِبـدي الحـرّاءُ وسنـانُ

لم تَـأْسَ قطُّ على إلْفٍ أَنِسْـتَ بـه ... ولم يَـرُعْ رُوعَـك الملتـاعَ هجـرَانُ

ولم تبتْ تُسبحُ الدّمـع الرّخيصَ ومـا ... لـه إذا بيـعَ لـولا الحـبُّ أثمـانُ

وهـل أرِقْتَ تـراعي الشُّهْبَ مُـدَّرِعـاً ... حنـادسَ اللّيـل ، والأحشـاء أحزانُ

ترثي لك الشّهبُ ، هذا ساقط صَعِقٌ ... وذاك في السّيـر مـرتـابٌ وحيـرانُ

10 وَبِـتَّ أَيْـأَسَ في صُبْـحٍ تُـراقِبُـه ... من أن يقـومَ من الأجـداث إنسـانُ

وصِـرْتَ أكثرَ مـا تهوى المقـابـرَ لـو ... أنّ الـفـؤاد لـمـا تـهـواه يـقـظانُ

خَـلِّ العناءَ لأهـلٍ ، مثلمـا تـركـوا ... لـك الهنـاءَ ، فَلِـلأوجـال إخـوانُ

---

(1) التعطير ، 1/4 . وهي مفقودة من المجمع .

(2) إشارة أخرى الى بيت بشّار : الأذن تعشق قبل العين أحيانا .

وآسْلَمْ بنفسك لا تجعل لها سبباً إنّ الهوى هو للإنسان فتّانُ[1]
وسلّم الأمْرَ تسليم الورى لأبي راسٍ ودِنْ مثلما دانوا ليردان[2]

*

حَبْرٌ تفيض بعِرفانٍ جوانبُه إن لم تَقُلْ هو في التحقيق عرفانٌ[3]
أنفاسُه بضروب العلم سامحة وكلّ غصنٍ له درسٌ وتبيانُ
تراه جامعَ أشتات الفضائل مِنْ قوم مَضَوْا ، فكأنّ القوم ما بانوا
إذا تحدّث فآسمع مالكا ، وإذا تفقّه آهتزّ بالإعجاب نعمانُ
وما شعَرتَ بغير الأشعريّ إذا تكلّمَتْ منه بالتوحيد أركانُ
20 ولا نظرتَ إلى غير الجُنَيْدِ إذا أبصرتَه وهو بالشوق ولهانُ[4]
وليس إلا آبنَ بشر حينَ تبصرُه وفي كساء الكسائي منه أضغانُ[5]
ما ضرّ ذا الحقد لو كان آمرءاً خطراً أن يقتدي ، وهو بالتّسليم جذلانُ ؟
إنْ خاف بالحقّ نقصاناً يحاذُره ففي الضّلالة نقصان ونيرانُ
ومن يَكُنْ لم يَرَ اللّه له خطراً فهو الذّليل وان حابَتْهُ خلصان[6]
25 لا تُصْغ للإفْكِ بالتقليد ، وآرْقَ الى عَيْنِ اليقين ، فللتقليد حرمانُ
هذا الإمامُ أبو راسٍ محمّدُ مَنْ سارت بتبريزه في الخلق ركبان[7]

---

(1) في التعطير : « فهو للانسان » ، ولا حاجة بالرابط .
(2) هكذا في التعطير ، ولم نفهمها .
(3) هنا أيضاً ربط فضولي بالفاء : « فهو في . . . » .
(4) في التعطير : « وله بالشوق » ، وولهان صفة لا مصدر .
(5) المقصود سيبويه ، وهو أبو بشر ، عمرو بن عثمان ، واذا قرأنا أبا بشر كما في التعطير ، آختلّ الوزن . .
(6) في التعطير : « وإن يكن حابته » .
(7) في التعطير : « صارت » .

هــذا الـذي أقلعت أَنْبَـاؤه صَمَمـاً وأبصـرَتْ نـورَه المِلْتَاحَ عِمْيـانُ

أجلى الجهـالةَ فـآنجالت غياهِبُهـا وآشتـدّ منـه لـديـن اللّه بنيـانُ

فـكم أفـاد بـتحـريـر وقـدّر مِنْ قـوْلٍ ، وحـرّر من بحثٍ لـه شأن

30 وكم أفـاد ، وكم أهوى ، وكم أرِقَتْ لـه آبتغـاءَ رضى مـولاه أجفـان[1]

آيـاتـه البيّنـاتُ الغرُّ قـد نـطَقَت بـالفضل إن يُلْتَمَسْ للشمس برهـانُ

بهـا الدّلائـل لا تنفـكّ عـاطـرةً من عَـرْفِها الكـوْنُ بـالأعطار مـلآنُ

تفتـرّ عن بـرق أسـرارٍ وتُسفِـرُ عن معنىً لـه من جـلال السحر سلطانُ

وذي الحواشي التي جيدُ الخَرَاشي بها لـه قـلائـد مـرجـانٍ وعقيـانُ[2]

35 تـومي اليـك بجفن العين أنّ أبـا صدرٍ ، وليس لمن ضاهاه وجدان[3]

عذراءُ أحفلُ من عَفْـرا ، وأجملُ من ليلى ومَـي إمَّـا يـرَيْنَ غـيـلان[4]

لا تـطْمَعَنْ بمعـانيهـا فتفـهمَـهـا ما لم يكن في مَجَالِ العلم ميدان[5]

هي البيـانُ لـذي رشـدٍ ، وتبصـرةٌ لـذي التبصّـر فيهـا لِلْغِـذا مـانُ[6]

وهي التي إن تكن للفقـه في ظَمَـإٍ فـأنتَ من وِردهـا السّلسـال ريّـانُ

---

(1) أهوى : لعلّها أهدى .

(2) الخرشي أو الخراشي ، كما في أعلام الزركلي /118 ، وهو أوفق بإسكان ياء النسبة ـ هو شيخ المالكية بمصر محمد بن عبد الله (ت 1102) ، له شرحان على مختصر خليل ولعلّها الحواشي التي يُشيد بها الشيخ هنا . وانظر شجرة النّور ، 317 رقم 1234 .

(3) في التعطير : « بجفـر العين » . وأبو صـدر : لعلّه يتلاعب بـاسمه : أبـوراس . والكلام يبقى نـاقصَ الخبر .

(4) غيلان هو ذو الرمّة صاحب ميّة ، والصواب أن يقرأ منصوبا ، والوزن مختلّ بإمَّا ، ولعلّها : إذا .

(5) في التعطير : ما لمْ تكن .

(6) البيت محرّف في طبعة التعطير ، وقد حاول أحد القرّاء قبلنا أن يصلحه فجاء في الهامش بشيء ، وزدنا على دربه . وكان البيت :

هـي البيـان لـذي رشـد وتـبصـرة إذا الـتبـصّـر بهـا بـالـعـدا مـانـوا

والمان في قراءتنا مخفّف المأن وهو القوت والمؤونة ولذلك أعجمنا العين والدال من العدا .

40 فإن حَنَنْتَ الى نحوٍ فدونَكَ ما ... بـه المكوديُّ طالت منه أردانُ[1]

من الحواشي التي ضاءت محاسنُها ... وأشرقت بحواشي الصدغ عريان[2]

تغدو القلوب بأجفانٍ لها مُلِئَتْ ... سحراً ، وهل لك بالسحّار أعوان ؟

لا تحسَبنَّ خِضابَ الجفن غيرَ سوا ... دِ القلب هَبْ أنّ ذاك الجفنَ نَعْسَانُ[3]

ولا تقل حيثما لانت محاورةً ... بهرّة ، فَلِطُعْنِ الحيّ فُرْسَانُ

45 وآسْلَ الهمومَ بشرحَيْهِ اللذين هُما ... شرحُ الصدور ، وللثكلان سُلْوَانُ

كانت عليك عُقاب الجوّ ممتنعا ... فأَصْبَحَتْ ولها طَوْعٌ وإذْعانُ

رَوْضٌ أزاهرُه تُحيي الرُّفَاتَ إذا ... ماجت بأدواحها في الرّوض أفنانُ

ما هي إلّا جنانُ العلمِ زَخْرَفَها ... آدابُ حُسْنٍ لها التحقيق رضوانُ

بها الحريريُّ في ديباج رَوْنَقِها ... على أرائكها الحسناء نشوانُ

50 تثني عليك أبا رأس وتشكُرُ ما ... أَوْلَيْتَه وَلَه بالشكر إعلانُ

قُلْ للبسيطة تُثني حيث صار لها ... من سُحْبِ فضلِك بالإفضالِ هتّانُ

وما على الغير تُثنِي حيث أنتَ لها ... روحُ الحياة وكلُّ النّاس جثمانُ

لَا خَيْرَ للدّهرِ إلّا أن تكونَ بِهِ ... يا مَنْ به خُتِمَتْ للعلم خِلّانُ

* * *

131 ـ وقال متوسّلاً بالنبي (ﷺ) وبأهل بيته (رضهم) [وافر][4]:

إلٰهي قد سألتُك بالنبيّ ... وفرع الطّهر : بالحَسَنِ الوليّ

(1) المكودي (ت 807 هو أحد شرّاح الألفية . وطالت : لعلها طابت .

(2) هكذا في التعطير ، ولم نفهم العجز ، ولعلّ عريان تقرأ : عُربان .

(3) هذا البيت صحيح ، والفكرة غامضة .

(4) تعطير النواحي ، 93/1 . وهي مفقودة من المجمع .

بمولانا الحسين ، ومَنْ قدَ أضحى ... شهيداً من يد الشَّمِرِ الشّقيّ [1]

بزين العابدين وقد تسمّى ... عليًّا ، وهو ذو القدر العليّ

بمن بقر العلوم وكان فرداً ... محمّدٍ الذكيّ ابن الذكيّ

5 بصادقِنا المسمّى في البرايا ... بجعفرنا أخي السِّرّ الجليّ

بموسى الكاظم الشّهم الذي قد ... سما في الخَلْقِ بِٱلْخُلُقِ السّنيّ

بِمَنْ في طوسَ قد أضحى دفيناً ... أبي الحَسَنِ الملقّبِ بالرّضيّ

بِمَنْ قد فاق في أدبٍ وعلمٍ ... محمّدٍ الملقّبِ بالتّقيّ

بذاك السيّد الهادي عليّ ... حميدِ الفعل ذي العِرْض النقيّ

10 بمولى الفضل ، بالحسَن المسمّى ... بسلطان الكِرام ، العسكريّ

بخاتم أولياء اللّه جَمْعاً ... بمهديّ الزّمان الهاشميّ [2]

* * *

132 ـ صحب الشيخ إبراهيم الرّياحي الشيخ الطاهر بن عبد الصادق الى تماسين حيث لقي الحاج علي التّماسيني قطب التجانية ، فخاطبه بقوله [طويل][3] :

إذا ما وضعتَ الأرضَ في فلكِ ٱلْعُلَى ... ونزّلتَ سكّانَ السما بِجبَال

---

(1) شمر بن ذي الجوشن العامري الضّبابي : قاتل الحسين بكربلاء . وفي التعطير : «من يد الشرّ» .

(2) عدّد الشيخ أئمة الشيعة الاثني عشريّة ، وهم ، بعد عليّ (رضه) :
الحسن ، الحسين ، علي زين العابدين ، محمد الباقر ، جعفر الصادق ، موسى الكاظم ، عليّ الرضا ، محمّد الجواد ، علي الهادي والحسن العسكري . وختم بالمهدي المنتظر ، وهو الذي سيقدم في آخر الزّمان بعد الغيبة الطّويلة ـ دور السَّتْر ـ فيملأ الأرض عدلا .
ولا تخلو هذه القصيدة ـ بل هذا الدّعاء ـ مثل غيرها ممّا مرّ في مديح الشيخ للنبيّ وآله ، من نفحة شيعيّة مستغربة من هذا الفقيه المالكي الكبير ، وهي نفحة تفوق بكثير التعاطف المشروع مع آل البيت ومحبّتهم الموصى بها .

(3) التعطير ، 95/1 ، والحاج على التماسيني من كبار أتباع الشيخ أحمد التجاني وخليفته بعد مماته . توفّي سنة 1260/1844 ، انظر ترجمته في كشف الحجاب ص 126 . والأبيات مفقودة من المجمع .

وسقتَ شمـال الـدّار نحـو يمينهـا ... وأهـل يـمينٍ في مكـان شمـالِ
وطـوّعتَ من أقـطارهـا كـلّ جـانبٍ ... وبـيّنـتَ منهـا مـا بـدا بجمـال
فـأنت حكيمُ الـوقت صـاحبُ سـرّه ... فـدونـك أقـفـال بـلغـز مـقـال

* * *

133 ـ وقال مخاطباً مولانا سلامة بن محمد السّلطان المخلوع وقد وفد على حمّـودة باشا بتونس [طويل][1]:

ولمـا نـزلنـا في ظـلال بيـوتكم ... أمِنّا ونلنا الخصب في زمن المَحْلِ
ولـو لم يَـزِدْ إحسـانُكم وجميلُكم ... على البِرّ من أهلي حَسِبْتُكمُ أهلي

* * *

134 ـ وأهدى اليه السّلطان المخلوع سلامة بن محمّد خاتما ، فقال [وافر][2] :

نـظرت لخـاتم قـد جـلَّ قـدراً ... تحفّ بـه الجلالـة والكرامـة[3]
فـقـلت : شـرفـتَ وأيَّ فـضـل ... حـويتَ بلبس مـولانـا سـلامـة

* * *

---

(1) مجمع ، 16أ، التعـطير ، 76/1 والإتحاف ، 52/3. وجاء فيـه أن سلطان المغرب مـولانا سـلامة ابن مـولانا محمد بن مولانا عبد الله ابن مولانا اسماعيل الشـريف نزل بتـونس سنة 1811/1226 وأكـرم حمودة بـاشا وفادته . وقد بويع بالسلطنة بعد وفاة أخيه مـولانا اليـزيد وخلعـه أهل فـاس وقدمـوا للسلطنة أخاه مولانـا سليمان ، فخرج إثـر خلعه وجـاب الآفاق. وتوفّـي بحاضـرة تونس في منتصف جمـادى الثانيـة من سنة خمسين ومائتين والف (19 اكتوبر 1834).
وأضاف صاحب الإتحاف : « وكان آية الله في الكرم . زاره شيخنا العلامة أبو إسحاق الرياحي ، ولما أراد الخروج قال له : لا أسرّحك في حرّ الشمس ، وألزمه أن يتغدّى عنده ويقيل ، ولما أراد الرجوع عشية أنشده . . . » .

(2) التعطير ، 77/1 والإتحاف ، 52/3 والمجمع ، 16 أ .

(3) في الإتحاف : « تحقّ له » .

135 ـ في سنة 1822/1238 تولّى بالمغرب السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام بعد [عمّه] مولاي سليمان ، فأرسل له الشيخ قصيدة يهنّئه بالولاية ، ونصّها [كامل][1] :

نصرٌ من الرّحمان جَلَّ لعبده	أيروم خلقٌ نقضَ مُبْرَمِ عَقْدِه ؟
وَعَدَتْ به الأقدارُ ، وهي نوافذ	لا تحسبنَّ اللّه مخلفَ وعده
واللّه أَعْلَمُ حيث يجعل نصرَه	في الشاكرين له سوابغَ رِفدِه
فليبتسم ثغرُ الهنا مُسْتَبْشِراً	فالوقت ينطق عن سعادة جَدِّه
5 إن يَمْضِ مولانا سليمانُ الرّضى	وعليه تبكي الباكياتُ لفقدِه
العلمُ والتّقوى وكلُّ فضيلةٍ	منشورةٍ طُوِيَتْ به في لحده
فلقد أقام لنا أبازيد هُدىً	نوراً مبينا يُسْتَضَاءُ برشده
لو لم يكن كُفْؤاً لما أوصى به	وبنوه ترفل في ملابس مجده[2]
سعدت به الأيّامُ ثم أراد أن	تبقى السّعادةُ للورى من بَعْدِه
10 أَعْظِمْ به نصراً يدومُ سرورُه	للخافِقَيْنِ سرى تضوّع رنده[3]
أهدى الى الأعداء أَقْتَلَ غصّةٍ	والأوليا مُتَنَعِّمون بِشَهْدِه
فآستبشروا باليمن من مرضاته	وآستمطروا نيل المنى من وِدِّه
ما هو إلّا ابنُ الرّسول ، وهل فتىً	في النّاسِ يعدل عن مكارم جَدّه ؟
وتناسقت أسْلافُهُ كَرَماً كما	راق النّواظرَ لؤلؤ في عِقْدِه
15 لا غرو أن جمع المحاسنَ كلَّها	منهم ، فَإِرْثُ الجمع حُقَّ لفَرْدِه
لا يأفك الخرّاصُ حيث يقول : قد	ذهب الزّمان بِعَمْرِه وبِزَيْدِه

(1) التعطير ، 95/1 والاستقصاء ، 5/9 . والقصيدة مفقودة من المجمع .

(2) في التعطير : « جدّه » . والسلطان الجديد هو ابن أخي السلطان الرّاحل سليمان .

(3) الخافقان : الشرق والغرب . والرّند : شجرة طيّبة الرائحة .

فبِسيف « مَا نَنْسَخْ » يقدّ أديمه حتى ولو وفّى العيان بردّه[1]

فلَكَمْ وكَمْ من آخرٍ زمناً له فضلُ عظيمٌ لا يُحَاطُ بسرده

يا أهلَ فاسٍ والمغاربِ كلِّها والشّرقِ من مِصْرٍ لغاية حدّه

20 يهنيكمُ هذا الزّمانُ فإنّ في أيّامه للدّين مَطْلَعَ سَعْدِه

والعلمُ والتّقوى وكلُّ مُعَظَّمٍ عند الشّريعةِ فَهْوَ بَالِغُ قَصْدِه

النّورُ أوْقَدَ منهمُ ، أتُرَاهُمُ يَرْضَوْنَ إلّا باستدامةِ وقدِه ؟

اللّه يبقي نورَه متوقّدا يفنى الزّمانُ ولا فناءَ لِخُلْدِه

ويَخُصُّ مولانا الأميرَ بنعمةٍ لا تنقضي ، وعنايةٍ من عنده

25 ويُديمُه ظِلًّا وريفاً ، كلّما حَمِيَ الورى هرعوا لجَنَّةِ بَرْدِه

وحُسَامَ فَتْحٍ كلّما نهضت به عَزَمَاتُه فالنّصرُ شاحذُ حَدِّه

وتَمَامَ بدرٍ كلّما اقتعد السّرى لم يَسْرِ إلّا في منازل سعده

وعليه تسليمٌ تأرّجَ نَدُّه لكنّه في الفضلِ عادمُ نِدِّه[2]

ثمّ الصّلاةُ على النبيّ وآله والحمدُ في بَدْءِ الكلامِ وعَوْدِه

* * *

136 - وسُئِلَ عن استعمال مفردات الكيميا ، فأجاب عنها رضي الله تعالى عنه بقوله [رجز][3] :

أُهدي سلاما للإمام المرتضِي يملأ طيبُه بسيطَ الأرضِ

---

(1) آستشهاد بالآية : ﴿ مَا نَنْسَخْ من آيَةٍ أو نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ (البقرة ، 106) .

(2) النّدّ : عود البخور ، وتكسر فاؤهُ أيضاً . وبذلك تكون المجانسة تامّة .

(3) التعطير 159/1 ، وقد ختم جامعُه الجزءَ الأوّل من كتابه قائلاً : « هذا وقد وجدت بخطّه الكريم كتائب لا تحصى في الطبّ والكيميا والحكمة والعزائم . . . يعسر طبعها إن لم نقل إذاعتها . . . فكأنّه نزّه روح الشيخ جدّه عن أن تُعْرَفَ عنه هذه الترّهات والأرجوزة . مفقودة من المجمع .

هـذا وقد نـظرت ذاك النّـظمـا   فلم يفـد ومـا أردتُ منـظمـا
لـكنّـه جـارٍ عـلى مـألـوفِ   مـذهبهم في صنعة التـأليف :
من حـذفهم والعكس للتـرتيب   وغيـرِ ذا من معجـز اللّبيـب
5 أرجـع الى المسألـة المعهـودة   مبيّنـا صـورتَهـا المقصـودة
مـوفيـا لِـوَعْـدِيَ الـذي سبَق   إنّ الوفاء بالوعد أمر مستحقّ :
فخـذ هديت عبـدك الزّجـراجا   وآغسله كيمـا يكتسي ابتهـاجـا
أضف إليـه مثله مـن القمـر   بـرادة يَصِـرْ عجينـا في الأثـر
حينئـذ يسحق طرطـر وشبّ   وآخلطهمـا بـأسـدٍ كمـا يجبْ
10 فَلِتْهمـا بـأبيض البيض فَـقَطْ   لَتًّـا خفيفـاً مثلمـا العلم شَـرَطْ
ثمّ آجعـل العجينـة المعنبـرة   في وسط الملتوت وهي كالكرة
يكـون للكـرة مثـل الجبّـة   وخلّهـا حتـى تكـون صـلبـة
حينئـذ يجعـل وسط البـوط   محكم الـوصـل بـلا تفـريط
والبـوط في نار الرّمـاد يجعـل   ومن أراد النجـع ليس يعْجَـل
15 بـعـد ثـلاثـةٍ مـن الأيّـامِ   يـخـرجـه مؤمّـل المـرامِ
فـإنّـه يلفي اللّبـاس احتـرقـا   والعبـد والبـدر المنيـر آعتنقـا
يلقيـه إن تـمّ على الـنّحـاس   بـعـد طـهـارة مـن الأدنـاس
تنقلب الـزّهـرة بـدراً كـامـلا   ويصبـح المرء حكيمـا واصـلا
هـذا ومع ذا البيـان الـواضـحِ   لا بـدَّ من عيان عَـوْنٍ نـاصِـحِ

* * *

137 ـ وتلقّى سؤالا من قِبَل الشيخ أحمد ابن بابا الشنجيطي صاحب منية المريد في الطريقة التجانية وقت وفوده الى تونس ، وذلك في شوّال سنة 1260 (اكتوبـر 1844) ، فأجاب بقوله [رجز][1] :

---

(1) التعطير ، 22/2 وكشف الحجاب ، ص 142 والأبيات مفقودة من المجمع . وفحوى السؤال المنظوم =

أَحْمَدُ ربّي مُلْهِمَ الرّشادِ　　مصلّياً على الرّسول الهادي

وآلِهِ وصحبِهِ وكلِّ مَنْ　　سلك في اتّباعه هَذْيَ السُّنَنْ

هذا وليس في الذي جرى حَرَجْ　　ولا النّكاح عن سبيله خَرَجْ

فَلْيَطِبِ الزَّوْجُ بذاك نفسا　　فهي لعمري لا تزال عِرْسَا

5 هذا جوابي غاية في الاقتصارْ　　وحيثما أفاد فالتّطويل عارْ

وما به كان افتتاح النَّظْمِ　　به بحول اللّه حُسْنُ الخَتْمِ

* * *

138 ـ وأضاف الشيخ بيتين الى القصيدة التي مدح بها ولدُه علي الرياحي الأميرَ محَمّد باي الأمحال ، ذكر فيها الملك القائم آنذاك ، « لأن السياسة لا تسمح بمدح وليّ العهد من غير تعرّض للملك » ، وذلك سنة 1849/1265 [كامل][1] :

وبقيتَ محروسَ المعالي وادعاً　　في ظلّ سلطنةِ المشيرِ الأكملِ

أبقى الإلهُ عليه دَوْلَةَ عِزّه　　وأدام عِزَّك في رضاه الأجملِ

* * *

139 ـ وقال ناظما ما ذكره البعض في صفة تخلّق الجنين [طويل][2] :

تَأَمَّلْ صنيعَ اللّه في الخلق تلفَهُ　　حكيماً يَحارُ الخلقُ في بعض حِكْمَتِهْ

فقد ذكر الأعلامُ في الحمل حكمةً　　تدلّ بما تحوي على رفع قُدْرَتِهْ :

= أيضاً : هل يستبقي الزّوج زوجته ، وقد جهلت الجواب عن مسألة من علم الكلام أو أصول الدين ، أم يحلّ العصمة بحكم جهلها ؟

(1) التعطير ، 46/2 . والأمير الممدوح هو وليّ العهد محَمّد بن حسين باي ، والملك الجالس على العرش آنذاك هو المشير الأوّل أحمد باي (1837-1855) . والبيتان لا يوجدان في المجمع .

(2) التعطير ، 106/2 . مجمع ، 46 ب .

فيخلق في شهرٍ فشهران فيهما   تحرّكه ، فالوضع فيه لسِتَّتِهْ

ويخلق في شهر وتتلوه خمسةٌ   ففي الضّعف تحريكٌ ووضعٌ لِسَبْعَتِهْ

5 ويخلق في شهر ونصف ، فضعفهما   تحرّكه ، فالوضع جاء لِتِسْعَتِهْ

وذا غالب الأحوال فيه ، وإنّهم   رَأَوْا في بناء الحكم أقْصَرَ مُدَّتِهْ

إذاً لا يعيش آبْنُ الثّماني ، ولا ترى   من الجهل ذا خَمْسٍ فتقضي بِصِحَّتِهْ

* * *

140 ـ وقال ناظماً شروط الرّجوع بالنفقة على الصبيّ [رجز][1]:

إن كان للصّغير مالٌ حينَ أَنْ   أنفق والإنفاقُ بالعلم قُرِنْ

وقد نوى به الرّجوع وحَلَفْ   عليه والإنفاقُ من غير سَرَفْ

وكان مالُ الكفل غير عَيْنِ   فهذه ستٌّ بغير مَيْنِ

ذكرها العلاّمة الملتيطي   فَفُزْ بها وآحْذرْ من التفريطِ

5 ومَنْ على القصدِ بشيء عار   فالنصّ بالرّجوع في المعيار[2]

* * *

141 ـ وقال ناظماً الخلاف في محلّ العقل [رجز][3]:

العقلُ في القلب بِقَوْل مالك   وَجُلُّ أهلِ الشّرع قال ذلك

ومذهب النّعمان في الرأس كما   مشى على ذلك جلّ الحكما

* * *

(1) نفس المرجع .والمجمع ، 46 ب.

(2) لعلّه يعني معيار الونشريسي .

(3) الوزن مختلّ .

(4) التعطير ، 107/2 . مجمع ، 46 ب .

2
ملحقات من
مجموع حسن حسني عبد الوهّاب

142 ـ وقال يرثي الشيخ مصطفى الدنقزلي [كامل][1]:

المــوتُ رام لــلأنــام بِنَـبْلِهِ	مُتَخَـطِّفٌ كلّ آمـرىء من أجْلِهِ
لم يبق من أحــد ولا يبقى ولــو	بلغ الفتى في الفضـل غـايـةَ نُبْلِهِ
مــا هــو إلّا مــا يقــدّمــه الفتى	من علمٍ أو عمــلٍ يسيــر بِفِـعْلِهِ
مثل الإمـام العَـالِمِ العَلِم الـذي	في عصـره بَخل الـزّمـانُ بِمِثْلِهِ
5 هو الأفندي مصطفى الدنقزلي مَنْ	عَيْنٌ على الأحكام نُسْخَةُ عَـدْلِه[2]
أغنى ببهجته الزّمـان عن الضّحى	وبـوابـلٍ من علمــه عـن طـلّه
ولَكَمْ أجــاد وجـاد من تقــريــره	بـعجــائـبٍ مـن نـقـلِه أو عـقـلِه
وَلَكَمْ بتقـوى اللّه عـاش تمسّكـاً	مِـن حسن تــوفيق بــأوثـق حبـلِه

(1) مجموع أشعار ابراهيم الرياحي 18548 و25/2ب . انظر أيضاً : محمود إلياس : ابراهيم الرّياحي مفكّراً وأديباً ، تونس 1977 ، ص 202 . وهذه المرثية مفقودة من المجمع .
والشيخ مصطفى الدنقزلي هو عالم وفقيه، أصله من أبناء جند الترك . تولّى التدريس بجامع الزيتونة والإمامة بجامع يوسف داي ، وتقلّد خطة القضاء بالمذهب الحنفي ، ثم صرف عنها واحتفظ بامامة جامع يوسف داي . توفّي سنة 1819/1234 (الإتحاف ، 112/7) .

(2) « الأفندي » : لقب يطلق في تونس على القاضي الحنفي ، للتمييز بينه وبين القاضي المالكي .

ثم آستجاب لربّه مترجّياً منه الجزيل من القِرى في نُزْلِه
10 واللهُ أَجْدَرُ أن يبلّغ آمناً من فضله ما يرتجيه بنُبْلِه
ولذاك إذْ قَوِيَ الرّجا أدخلتُ في تاريخه : وسمت سحائب فضله(3)

1234

* * *

143 ـ وقال يرثي الشيخ أحمد الغرياني [بسيط](2) :

يَزْهُو وما البدرُ إلاّ من محيّاه قبرٌ تجلّى له المولى فحيّاهُ
فيه النّدى والهدى والخير أجمعُه والعلم والحلم والتّوفيق وآلْجَاهُ
أَكْرِمْ به من ضريحٍ قد تشرّفَ إذْ زكا فأمطرَه الرّحمانُ رحماه
ثوى به خيرُ مَنْ حلّ الثّرى كَرَماً في دهره وَوَفَى للّه مسعاه
5 ذاك الهُمَامُ أبو العبّاس أحمدُ الـ غرياني من لم تندّ قطّ مزاياه(3)
لقد توارت به الآراء وانعكسَتْ وهوى سَعْيُ الأماني من منا ياه
أمّا المعالي فقد دُكَّتْ معالمُها وغاض بَحْرُ الوفا من كفّ هداه(3)
يا راحلاً أَظْلَمَتْ دنياه من أسفٍ عليه وآبْتَهَجَتْ بالأنس أُخْرَاهُ
ما العلم بعدك إلاّ زهرةٌ قُطِفَتْ وإنّما العلم لفظٌ أنت معناه(4)
10 كفى بموت إمام العصر موعظةً وعبرةً لِمَنِ آسْتَهْوَتْه دُنْيَاهُ

(1) حساب الجمّل يوافق سنة 1234 .
(2) مجموع أشعار إبراهيم الرياحي و 83/1 أ (محمود إلياس ، 201) . وهي أيضاً مفقودة من المجمع .
(3) الوزن مختلّ .
(4) تضمين لشطر من شعر المتنبّي :
النّاس ما لم يروك أشباه والدّهر لفظ وأنت معناه

أجلّ من يَنْجَلِي علم الحديث بـه وخيـرُ من يـتّقـي الله ويَـخْشَـاهُ

مضى سعيدَ مناحي رحمـةٍ ورجا وفـي قـرارٍ مكيـنٍ كـان مـأواه

أَلَمْ تَرَ مَنْ رأى الرّاؤون مِنْ كَـرَمٍ كـلٌّ يعبّـر عن تعـبيـر رُؤْيـاهُ ؟

طابت سريـرتُه شكـراً وقد خُتِمَتْ في الخيـر سيـرتـه فـآختـاره اللّهُ

15 فَقِفْ بـه سائـلاً مَنْ تـرتجيـه تَفُزْ وجــدّ شكـرا لمـا أولاه مـولاه[1]

[. . .] من ذاك تجلّى سعدُه وبدت تلوح في منـظر التاريـخ بشـراه[2]

1208

* * *

144 ـ وقـال في مسـاجلة مـع الشيخين محمـد الخضّـار ومحمّــد بـن الخــوجـة [طويل][3] :

كمن يــدّعي نبـلا ولا عن فضيلة من العلم وهو الدّهرَ كسلانُ راقدُ[4]

* * *

(1) قراءة عسيرة .

(2) البيت ناقص . وحساب الجمّل يوافق : 1794/1208.

(3) مجموع و 25/1ب ـ إلياس ، 234 . والشيـخ محمّد الخضـار عالم وفقيه تولى عـدّة خطط علميّـة منها. التدريس بجامع الزيتونة والقضاء بالمحلّة والفتوى بالحاضرة . وتوفّي سنة 1851 (الإتحاف ، 81/8) . أمّا الشيخ محمد بن حميدة بن الخوجة فقد تولّى التدريس بجامع الزيتونة وتقلّد خطة القضاء بالمذهب الحنفي ثم انتقـل الى خـطة الفتـوى وارتقى الى منصب شيـخ الإسـلام الحنفي وتـوفي سنـة 1862 (الإتحاف ، 129/8) . والبيت مفقود من المجمع .

(4) أشار الجنرال محمّد بن الخوجة في كتابه « تاريخ معالم التوحيد » الى هذه المساجلة قائلاً :
« رأيت بخطّ بعض الأفاضل نقلاً عن كنّش للشيخ محمد بيرم الرابع ومن خطّ يده قوله : تساجل الشيخ محمد الخضّار والشيخ محمد بن الخوجة والشيخ إبراهيم الـرياحي في رجب عـام 1255 (غرة رجب 1255 توافق بالحساب الشمسي يوم 28 أغشت الأعجمي سنة 1839) بالمجلس المنعقد بحلق الوادي بما يأتي : =

145 ـ وقال [طويل][1]:

إذا عرضت لي في زمانيَ حاجةٌ — وقد أشْكَلَتْ فيها عليّ المقاصدُ
وقفتُ بباب اللّه وقفةَ سائلٍ — وقلتُ : اللّهُمَّ إنّي لك قاصدُ
ولستَ تراني عند بابِ مَنْ — يقول بقاء سيّد القوم راقدُ

* * *

= قال الشيخ الخضّار :
عجبتُ لمسلوبٍ من الفضل يدّعي — كمالاً وحظّ النّفس منه التّقاعدُ
وقال الشيخ ابن الخوجة :
ولا ينفع الإنسان دعوى فضيلة — إذا لم تكن منها عليها شواهدُ
وقال الشيخ الرياحي :
كمن يدّعي نَيْلاً لأعْلَى فضيلةٍ — من العلم وهو الدّهر كسلان راقدُ »
(تاريخ معالم التوحيد ، الطبعة الثانية ، ص 69 الهامش رقم 1) .

(1) مجموع و 110/1 ، الياس 235 ، والأبيات مختلّة الوزن عسيرة التقويم . وهي مفقودة من المجمع .

3

ملحق من كنّش ابن صالح[1]

146 ـ هذه قصيدة سيدي إبراهيم الرياحي نفعنا الله به [طويل] :

تذكّرت أيّامَ الوِصال بقربكم ... فهيّجني ، والقلبُ فيه لهيبُ
وواصله ما كان الفراق بخاطري ... ولكنّ تَصْريفَ الزّمان عجيبُ
ففارقتكم بالرّغم منّي أحِبَّتي ... فلا تهجروني قد أموت غريبُ
جرى قلَمُ الباري عليّ ببعدكم ... وعاد سِهامُ البَيْنِ منّي يُصِيبُ
5 وأجْرَيْتُ دمعي فوق خدّي لأجلكم ... بِمُصَوَّحِ الأجفان وعاد صبيب
سلامي على أيّامكم ما ألذَّها ... وأطْيَبَها بالقرب فيها حبيبُ
ليالِيَ بالوصال شهدتُها ... بلذّةِ عَيْشٍ واللّذاذ يسطيب
جنتني اللّيالي بَعْدَ طِيبِ وِدَادِها ... بِنَأْيٍ ، كذا دأبُ الزّمان يَريبُ
ألاَ لِزمانٍ لو يعود كما مَضَى ... ويَلْتَمُّ شملٌ بالحبيب قريبُ
10 لكنتُ أصوم الشّهرَ والدّهرَ دائما ... فيا رَبِّ هل يَلْقَى الحبيبَ حبيبُ
خيالُك في جفني وذكرُك في فمي ، ... وحُبُّكَ في قلبي ، فليس يَغِيبُ
وأستنشق الأرياح من نحو أرضكم ... كأنّي عليلٌ والنّسيم طبيبُ

---

(1) يحتوي هذا الكنّش (المكتبة الوطنية بتونس رقم 274) على أرجوزة حول حساب الجمّل من نظم الشيخ أحمد بن صالح ، مؤرخة في 1248 ، وعلى قصيدة للشيخ إبراهيم الرياحي موجّهة الى صاحب الأرجوزة ، وهذه القصيدة مختلّة الوزن في كثير من أبياتها غامضة المعنى ، ظاهرة التحريف ، فيصعب تقويمها ما دمنا لا نملك من نسَخها غيرَ هذا الكنّش . وهي مفقودة أيضاً من المجمع .

فـإن كانت الأجسـادُ عنّـا تبعّـدت   فـإنّ أحْمَـد في القلوب قـريبُ

وإن كـانت الأعـوادُ فينـا تكلّمت   على كـلّ كلمٍ شـاهـدٌ ورقيبُ

15 ولي أسفٌ منّي على العمر ينقضي   وليس لنـا في الاجتمـاع نصيبُ

يقولون : مسكين يتوب عن الصّبا   ولا جَنَـى ذَنْبـاً فـليس يـتـوبُ

فان كان لي ذنـبٌ سوى أنْ أحبّكم   فهـذا إلى ذنبي ليس عنـه أتـوبُ

سـلامٌ وتـسليـمٌ وألـفُ تـحيّـةٍ   عليكم وإنّي عـاشقٌ لكمُ وكئيـبُ

* * *

4

ملحقات من مجمع الدواوين التونسيّة

ظفرنا أخيراً ـ والديوان تحت الطبع ـ بمخطوط مجمع الدواوين التونسيّة لمحمد السنوسيّ وهو يتضمّن سبع مقطوعات وقصائد لم يذكرها الديوان ولا تعطير النواحي ولا كنّش ح.ح. عبد الوهاب فأردفناها هنا على ترتيب أبجدي ورقّمناها تباعاً انطلاقاً من آخر رقم في الملحقات .

*

147 ـ وقال أيضاً مؤرّخاً وفاة الشيخ محمد بن محمود جهث توفّي إثر قدومه من الحجّ بيومين ، وهو مقيم بحلق الوادي مطعوناً[1] [كامل] :

[41 أ] لا تبغ فيما للبقاء تسبّبا ... دار أخفّ من الجفون تقلّبا

يا مُخلِداً لغرورها ، أينَ الأُلى ... كانوا أشدَّ قُوىً وأعظَمَ منصبا ؟

ذهبوا فلا أثرٌ سوى حسن الثنا ... أو ما له اتّخَذَ المدقّقُ مَذهَبا

مثلَ ابن محمودٍ محمّدٍ الذي ... ترك الثناءَ طرازَ حُسنٍ مُذهبا

5 يا كَمْ تَروّى من كُؤوسِ تِلاوةٍ ... بمُدامةٍ أحلى وأطيبَ مَشْربا

ولكَم سحابُ الذكرِ أمطَرَ قلبَه ... ماءً يصيرُ به البعيدُ مُقَرَّبا

ولطالما صدع القلوبَ بخُطبةٍ ... لم تبد من سنن التصنّع مأرَبا

وغدا وراح بسيرةٍ محمودةٍ ... عبَقت بعنبر نشرها ريح الصّبا

ثمّ آستطار فؤادُه شوقاً إلى ... نيل المنى يُمنا فأحرز مطلبا[2]

---

(1) مطعون ، أي مصاب بالطاعون . وانظر الإتحاف 113/7 ، ولم يذكر ظروف الوفاة .

(2) قراءة هذا البيت ظنيّة .

10وسعى إلى الكرم الذي يَنْبُوعُه ... في طيبةٍ بيدِ الرسول المجتبى[1]

فقضى بها وطَراً ، وعند قدومه ... قالت شهادتُه له : يا مرحبا

من حجّةٍ لشهادةٍ فانظر له ... ماذا حباه إلاهه ، مُتعجِّبا

ولحسن عُقبى أمره قد قلت في ... تاريخه : يا نعم خَتماً طَيِّبا[2]

1234

* * *

148 ـ وقال أيضاً (رضه) ممتناً الأمير حمّودة باشا ببناء جامع الحلفاوين وبالحضور فيه لصلاة الجمعة [طويل] :

[19أ] هنيئاً بإدراك المنى والرغائب ... ونَيْل الذي أمّلتَه من مَطالبِ

بإتمام هٰذا الجامع المفرَد الذي ... يُرى كسماءٍ زُيِّنت بالكواكِب

تتبّعتَ أنواع المحاسن كلَّها ... فأفرغَها التدبيرُ في خير قالِبِ

فجاء على ما قدَّرَ الفكرُ ، هيكلا ... عظيما يُرى أعجوبةَ العَجائبِ

5 فأصبحت الخضراءُ تزهو ، وأصبَحَتْ ... تفاخِرُ أرضَ الشرق أرضُ المغاربِ

فقير بشكر الله نعمتَه التي ... تفاصيلها لا تستطاع لحاسبِ[3]

مليكٌ له الأملاكُ أضحَت حواسداً ... على ما حواه من عظيم المناقِب

فلا زال في حصنٍ منيع وعزّةٍ ... عليك رِواقاً من جميع الجوانب

بحرمة خير المرسَلينَ محمّدٍ ... شفيع الورى المرجو لحسن العواقب

10عليه صلاة الله ما لاح بارقٌ ... وقهقه رعدٌ من بكاءِ السحائب

* * *

149 ـ وقال أيضاً يدعو للأمير حسين باشا باي [طويل] :

[21أ] إلاهي ، أدِمْ في الملك شمسَ وجوده ... كما هطلَت فينا سحائبُ جودِه

---

(1) طيبة هي المدينة المنوّرة .

(2) حساب الجمّل : يا = 11 ، نعم = 160 ، ختما = 1041 ، طيّبا = 22 . المجموع : 1234.

(3) الكلمة الأولى عسيرة القراءة ..

وسدّده يا مولايَ في كلّ مقصد وأنعم علينا ربَّنا بخلودِه
مننْتَ على الإسلام منه بغُرّةٍ تبسّم منها فيها سعدُ سعوده
ووفّقتَه للصالحاتِ ، فلم يزَلْ وكلُّ الهدى والفضلِ حَشْوُ بُروده
5 فسار كما غصّت به نفسُ حاسدٍ وقرّت بذاك السيرِ عينُ صموده[1]
فزِده إلاهي بسطةً ومكانةً وهيّئْ له في النصرِ نشرَ بُنُوده
أمين بلا حدٍّ ، فإنّ صلاحَهُ يعقم من الإسلام كلّ جنوده

* * *

150 ـ وقال أيضاً في تمثال نعال المصطفى (ﷺ) [كامل] :

[23 ب]تمثال لنعال سيّد الإرسالْ ما زال يمنح كلَّ مَن قد سالْ[2]
يا صاحب[ـي] ذا نوالُه قد سالْ فأشرَب ذُلالا صافياً سلسالْ

* * *

151 ـ وقال أيضاً مؤرّخاً وفاة قاضي الفريضة الشيخ عثمان الرصاع [رجز] :

[40 أ] عزّ البقا لله جلّ والغيرُ لا يعدو الأجَلْ
حكمٌ جرى بين الورى ذي العزّ منح والأذلّ
لا فرقَ إلّا بالتُّقى علمٍ سَنيٍّ مَعْ عملْ[3]
مثل الإمام المرتضى الرصّاع ذي القدرِ الأجلّ
5 أنجاله جاؤوا على نهج سويّ معتدِل
حتّى أتى عثمان في زيّ جميل قد حفل
ثمّ آنقضى والحمد في آثاره نسج الحلل

---

(1) صموده : قراءة ظنيّة .

(2) الشطر الأوّل غير موزون .

(3) سنيّ : قراءة افتراضيّة .

وظنُّه الجميلُ في نَيل الأماني قد كمُلْ
لذاك قد أرّختُه : عُثمانُ سُرَّ بأمَلْ[1]

1234

* * *

152 ـ وقال أيضاً مؤرّخاً وفاةَ التاجر الشريف محمود النقّاش[2] [كامل] :

[40ب] كلُّ امرىءٍ مُتخَطَّفٌ من أهله … حكمٌ جرى كلُّ الورى في عَدلِهِ
لا فرقَ بين شريفهم ووضيعهم … إلَّا بذُخرٍ صالح من فعلِه
مثل الذي سكن الضريحَ مُنعَّماً … محمودِ النقَّاشِ طيّبِ أصلِه
قد كان في محياه فرداً جامعاً … لفضائل لم نلقَها في مثله
5 عفًّا نزيهاً خائفاً متواضعاً … يسقيك شهداً منْ حلاوة قوله
متسارعاً للقول ما يُدعى له … إلَّا أجاب بخيلِه أو رَجلِه
ما هو إلَّا زينةٌ في عصره … ما العصر إلا بهجةٌ من أجلِه
يمنيه ما قد حاز من نسبٍ، ومِنْ … فعلٍ يؤنّس في القبول بوصله
ثم استجاب ملبّياً داعي الرضى … متوقّعاً نيل الرضى في نقله
10 فإذا وقفتَ بقبره فآسأل له … من رحمةِ الرحمان فائضَ وبلِه
وآسمح بتأمينٍ على ما قلت في … تاريخه: سحّت سحائب فضلِه[3]

1234

* * *

(1) في الإتحاف 110/7 : مات في صفر ـ وحساب الجمل يفضي إلى سنة 1234 (عثمان : 661 ـ سر = 500 ـ بأمل = 73) .

(2) هذا التاجر غير مذكور في الإتحاف .

(3) في الإتحاف 113/7 = مات في ذي الحجّة سبتمبر 1819 . وحساب الجمّل يفضي الى سنة 1234/ (سحّت: 708 ـ سحائب : 321 ـ فضله :205).

153 ـ وقال أيضاً مؤرّخاً وفاة سليم خوجة [كامل] :

[40 ب] روض يفوح شذى الرضى من ظِلّه ... بشرى سليم يومَ مات بوصله

ذاك الفريدُ بحسنِه بين الورى ... هيهات لا يأتي الزمانُ بمثله

الله أزلفَ قُربَه ، وعليه في ... تاريخه : سحّت سحائب فضله

1234

* * *

الفهارس

1 - فهرس الأبيات[1]

الرقم	المطلع	القافية	عدد الابيات	البحر	الصفحة
		الهمزة			
1	ويشفي شفاء ثم فيه شفاء	وشفاءُ	2	طويل	21
2	يا إلاهي وأنت نعم اللّجاء	الشفاءُ	35	خفيف	22
		الباء			
3	الحمد لله وهو حسبي	الحسيبُ	16	مخلّع	25
4	ذا مورد جاد به	ربِّه	7	رجز	26
5	والورق مفتّنة الألحان راقصة	الشنبِ	3	بسْيط	27
6	جاء الكتاب من الحبيب مبشّرا	يا مرحبا	4	كامل	27
7	يا مَنْ إذا عضّ الزّمان بنابه	أعتابِه	8	كامل	28
8	قدّم لأهوال المآب متابا	صوابا	12	كامل	28
126	أخو الزوجة الغرّا الذي مات جدّه	عنه أبٌ	4	طويل	167
146	تذكّرت أيّام الوصال بقربكم	لهيبُ	18	طويل	190
147	لا تبغ فيها للبقاء . . .	تقلّبا	13	كامل	192
148	هنيئاً بإدراك المنى	مطالب	10	طويل	193
		التّاء			
9	يا روضة الرضوان والنفحات	والحرماتِ	10	كامل	30
10	جاء الشيوخ مجلّيا ومصلّيا	الإثباتِ	2	كامل	31
11	شرف الورى يا دهر كيف هدَمتَه	فردمتَه	20	كامل	31
12	الموت كم فجع الورى وثباته	سطواته	12	كامل	33
139	تأمّل صنيع الله في الخلق تلفه	حكمته	7	طويل	184
		الجيم			
13	قد أنعم السيّد القرشي بزورته	آبْتَهِجِ	2	بسيط	34

(1) القصائد المسبوقة بنجمة * هي التي انفرد بها الديوان .

2 - فهرس عناوين الكتب

- ش -

- ص -

- ط -

- ع -

- ف -

- ق -

- ك -

- م -

- ن -

3 - فهرس الأماكن والبلدان

4 - فهرس الأعلام

- ش -

- ص -

- ط -

- ع -

5 - فهرس المصادر والمراجع

1 ـ أحمد سكيرج ، « كشف الحجاب عمّن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب » ، فاس ـ 1961/1381 .

2 ـ أحمد بن صالح ، « كنّش » ، دار الكتب الوطنية تونس ، رقم 274 .

3 ـ أحمد بن أبي الضياف ، « إتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان » ، تونس 1963-1968 .

4 ـ خليل الطّواحني ، « كنّش الطواحني » ، مخطوط دار الكتب الوطنية ، تونس رقم 18375 .

5 ـ خير الدين الزركلي ، « الأعلام » ، دمشق ـ 1954-1959 .

6 ـ ديوان شعر إبراهيم الرياحي ، مخطوط الرّباط . رقم ك-1763 .

7 ـ الصادق الزمرلي ، « أعلام تونسيون » (ترجمة حمادي السّاحلي) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1986 .

8 ـ عمر الرياحي ، « تعطير النّواحي بترجمة الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي » ، (جزآن) ، تونس 1902/1320 .

9 ـ « مجموع أشعار إبراهيم الرياحي » ، دار الكتب الوطنية تونس :

- مخطوط رقم 18763 .
- مخطوط رقم 18841 .
- مخطوط رقم 18548 .

10 ـ مَحمّد بن الخوجة ، « تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد » ، (الطبعة 2) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1985 .

11 ـ محمّد البهلي النيّال ، « الحقيقة التاريخية للتصوّف الإسلامي » ، تونس ، 1965/1384 .

12 ـ محمّد السّنوسي ، « مسامرات الظريف بحسن التعريف » ، (الجزء الأول) ، تحقيق الشيخ محمد الشاذلي النّيفر ، تونس 1983 .
13 ـ محمّد الصالح مزالي ، « الوراثة على العرش الحسيني » ، تونس 1969 .
14 ـ محمّد محفوظ ، « تراجم المؤلفين التونسيّين » ، (الجزء الثاني) دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1982 .
15 ـ محمّد مخلوف ، « شجرة النّور الزكيّة في طبقات المالكية » ، القاهرة ، 1931/1350 - 1933/1352 .
16 ـ محمّد النيفر ، « عنوان الأريب عمّا نشأ بالمملكة التونسية من عالم وأديب » ، (الجزء الثاني) تونس ، 1932/1351 .
17 ـ محمود إلياس ، « إبراهيم الرّياحي ، مفكّرا وأديبا » ، (مرقون) ، كليّة الآداب والعلوم الإنسانية ، تونس ، 1977 .
18 ـ النّاصري السّلاوي ، « الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى » ، الدّار البيضاء ، 1954/1373 .
19 ـ الهادي حمّودة الغزّي ، « الأدب التونسي في العهد الحسيني » ، تونس 1972 .

6 - فهرس المحتوى

l'adresse de ses maîtres en soufisme, tels Ahmad Tijāni, fondateur de la confrérie des Tijāniyya; à cet égard, notons que le cheikh Ibrāhīm Al-Riyāḥī est honoré à Tunis comme saint personnage, presque marabout, davantage que comme savant malékite; c'est à ce titre que son souvenir est évoqué à l'occasion de chaque Mouled dans la Zaouia — sanctuaire — qui lui est dédiée en plein cœur de la médina de Tunis.

Le diwān d'Ibrāhīm Al-Riyāḥī a probablement été colligé à Tunis, mais il a été transporté au Maroc, où le cheikh avait noué de solides amitiés avec les sultans, et avec les lettrés de Salé et de Fès. Ce recueil d'une centaine de pages comporte des pièces pour ainsi dire inédites, c'est-à-dire ne figurant pas dans la biographie qui lui a été consacrée par son petit-fils et publiée en 1902 sous le titre de « Ṭaᶜṭīr Al-Nawāhī »; en revanche, il ne reproduit pas d'autres compositions, publiées dans le Taᶜṭīr ou demeurées manuscrites dans des anthologies — ou kunnaš.

Nous nous sommes employés à réunir tous ces poèmes, prenant pour base ceux du diwān marocain — qui nous a été aimablement communiqué en microfilm par M. Ibrāhīm Kettani, conservateur de la Bibliothèque Royale de Rabat — en y adjoignant ceux du Taᶜṭīr et des divers kunnaš, en attendant la redécouverte de la fameuse « Somme des diwāns tunisiens »[1] dont on attribue la recension au cheikh Moḥammed Senoussi, et qui comporterait un recueil exhaustif de la production poétique de notre auteur.

Tunis le 15 juin 1989
Moḥammed YALAOUI

---

1. Nous avons pris connaissance du 4e volume manuscrit de cette anthologie qui est propriété de M. Lemsi; les pièces et fragments du cheikh Riyaḥi se retrouvent toutes dans notre recueil.

Introduction

Le cheikh Ibrāhīm Al-Riyāḥī (né à Testour en 1767, mort à Tunis en 1850) était surtout un jurisconsulte — faqih, cadi et mufti. A ce titre, il occupa plusieurs postes dans la hiérarchie religieuse du royaume husseinite: ainsi il fut, tour à tour ou simultanément, grand mufti malékite, prédicateur à la Zitouna, professeur à la mosquée Saheb Ettabāᶜa, régent de médersa, etc...

Ses talents d'orateur et de fin négociateur l'appelèrent à diriger deux ambassades, au Maroc, pour demander des secours alimentaires contre la disette de 1804, et à Istamboul en 1838, aux fins d'exempter la Tunisie de la dîme qu'elle payait jusque-là à l'Empire ottoman. Ces deux missions furent couronnées de succès et le cheikh en vit sa réputation augmentée, dans son pays et hors de Tunisie.

Mais notre cheikh était aussi poète, poète-uléma, et poète de cour. C'est dire que sa poésie fait une large place aux thèmes religieux voulus par son état d'homme de jurisprudence: aussi nous y trouvons nombre de pièces constituées par des consultations — fetwas — rimées, ou des devinettes juridiques soumises à la sagacité de collègues ou de confrères.

Sa poésie comporte aussi un certain nombre de pièces de circonstance dédiées à de grands personnages de la Régence, panégyriques ou thrènes de vizirs, princes husseinites ou cadis et grand docteurs et hauts fonctionnaires; on y trouve aussi un grand nombre de courtes pièces composées à l'occasion de l'édification d'un monument, mosquée, fontaine publique, rempart, ou fondation pieuse; les grandes pièces s'ouvrent sur des introductions «amoureuses» — nasīb — dans la pure tradition des poètes anciens.

Mais c'est surtout dans les poèmes d'inspiration religieuse que se manifestent la ferveur et la force du cheikh Ibrāhīm — poète: poèmes en l'honneur du Prophète déclamés à Médine, panégyriques vibrants à



دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان

لصاحبها الحبيب اللمسي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء - بناية الأسود

تلفون : 340131 - 340132 - ص . ب . 5787 - 113 بيروت - لبنان

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI – B.P.:113-5787 - Beyrouth - Liban

الرقم : 90/3/2000/149

التنضيد : سامو برس / بيروت

الطباعة : مطابع الشروق

بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧١٥ - ٨١٧٢١٣ - برقياً: داشروق - تلكس: SHOROK 20175 LE

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٧٧٤٨١٤ - ٧٧٤٥٧٨ - برقياً : شروق - تلكس : 93091 SHROK UN

Cheikh 'Ibrāhīm al-Riyāhī

(m. 1266/1850)

Dīwān

Texte établi et annoté
par

Mohammed YALAOUI et Hamadi SAHLI



Dar al-Gharb al-Islami